كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن عشر

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولى

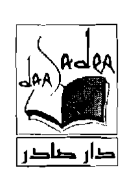
1423هـ -2002 م

الطبعـةالثـانية

1426 هـ - 2005م

الطبعـةالثـالثة

1429 هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[374] ـ ذكر ذي الرمّة وخبره[1]

اسمه غَيْلانُ بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

[أسباب تلقيبه بذي الرمّة]

وقال ابن سلاّم : هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان . ويكنى أبا الحارث ، وذو الرمّة لقبٌ . يقال : لقَّبته به ميَّة ؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جَنْب أمِّها فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمّها : قومي فاسقيه . وقيل : بل خرق إداوته لمّا رآها ، وقال لها : اخرُزي لي هذه ، فقالت : والله ما أُحسِنُ ذلك ، فإنّي لخرقاء . قال : والخَرْقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها ؛ فقال لأُمّها : مُرِيها أن تسقِيَني ماء ، فقالت لها : قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماءً ، فقامت فأَتَتْه بماءٍ ، وكانت على كتفه رُمَّة ؛ وهي قطعة من حَبْل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُّمَّة ؛ فلُقِّب بذلك .

وحكى ابنُ قُتَيْبة أنّ هذه القصّة جرت بينه وبين خَرْقاء العامِريَّة .

وقال ابن حبيب : لُقِّبَ ذا الرُّمَّة لقوله[2] :

أَشعَثَ باقي رُمَّـــةِ التَّقليدِ

وقيل : بل كان يُصيبه في صِغَره فزَعٌ ، فكُتِبت له تميمة ، فعلّقها بحَبْل ، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة .

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، عن أبيه ، وعن أشياخه ، وعِدّة من أهل البادية من بني عديّ ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم : أنَّ أُمَّ ذي الرُّمَّة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويّ وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما

---

1 ترجمة ذي الرمة في الشعر والشعراء : 437–447 وطبقات ابن سلام : 550–570 والموشح : 170 وشرح شواهد المغني : 52 والسّمط : 81 ووفيات الأعيان 4 : 11–17 وخزانة البغدادي 1 : 106–110 والعيني 1 : 412 وانظر بروكلمان 1 : 220 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونيّة وقد نشر مكارتني ديوانه (كيمبرج 1919) ثم طبعه محققاً عبد القدوس أبو صالح في ثلاثة مجلدات ، ونعتمد في الإشارة إلى شعره على الطبعة السابقة .

2 ديوانه : 22 .

يقيم لهم صلاتَهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ؛ إنّ ابْني هذا يُرَوَّع بالليل ، فاكتب لي مَعاذةً أُعلِّقها على عنقه ، فقال لها : ائتيني برَقّ أكتب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : فجيئيني بجلد ، فأتته بقطعة جِلد غليظ ، فكتب له مَعاذة فيه ، فعلّقته في عنقه ، فمكث دهْراً . ثم إنّها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَين وهو جالس في ملأ من أصحابه ومَوالِيه ، فدَنَتْ منه ، فسلّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه ؟ قال : بلى . فتقدَّم فأنشده ، وكانت المعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود ، فقال الحصين : أحسن ذو الرُّمَّة ؛ فغلبت عليه .

[إخوته كلّهم شعراء]

وقال الأصمعيّ : أُمُّ ذي الرُّمَّة امرأة من بني أَسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأبيه وأُمِّه شعراء ، منهم مسعود ، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرُّمَّة ويذكر ليلى بنته : [من الطويل]

إلى الله أَشكو لا إلى الناس أَنّني ... وليلى كِلانا مُوجَعٌ مات وافِدُهْ

ولمسعود يقول ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

صوت

أقولُ لمسعود بِجَرْعاء مالكٍ ... وقد همَّ دَمْعِي أَن تَسِحَّ أوائِلُهْ

أَلا هل تَرى الأظعان جاوَزْنَ مُشرِفاً ... من الرمل أو سالت بهنَّ سلاسلُهْ[2]

غنّى فيه يحيى بن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو .

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرُّمَّة ، ويرثي أَوْفى بن دَلْهَم ابنَ عمِّه . وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوى عنه الحديث .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان لذي الرُّمَّة إخوة ثلاثة[3] : مسعود ، وجِرْفاس ، وهشام ، كلّهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرُّمَّة أبياتاً أُخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه : [من الطويل]

نعى الركبُ أَوفى حين آبتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأوجعوا

نَعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخلَفونَه ... تكادُ الجبالُ الصُّمُّ مِنه تَصدَّعُ

---

1 ديوانه : 466 .

2 مشرف : موضع .

3 ابن قتيبة (441) وكان لذي الرّمّة إخوة ، هشام وأوفى ومسعود . وقال ابن سلام (565) : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان ، وهو ذو الرّمّة ، وأوفى ومسعود . وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر في الحاشية .

خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهمٍ ... فأَضحى بأَوْفى قومُه قد تضعضعوا

تعزَّيتُ عــن أَوْفــى بغَيْلانَ بَعْدَه ... عَــزاءً وَجفنُ العين مــلآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أَوفى المصيباتُ بعده ... ولكنّ نَكْأَ القَرْح بالقَرْحِ أَوْجَعُ

وأَخوه الآخر هشام ، وهو ربّاه ، وكان شاعراً . ولذي الرُّمَّة يقول : [من الطويل]

أغَيلانُ إن ترجع قُوى الوُدِّ بيننا ... فكلُّ الذي ولّى من العيشِ راجعُ

فكنْ مثل أَقْصى الناسِ عندِي فإنَّني ... بطول التَّنائي مِنْ أَخِي السوء قانِعُ

وقال ذو الرُّمَّة لهشام أخيه[1] : [من الطويل]

أغــرَّ هشاماً مــن أَخيــه ابنِ أُمِّه ... قــوادِمُ ضَأْنٍ أقبلَــتْ ورَبيــعُ[2]

وهل تُخلِفُ الضأْنُ الغزارُ أَخا النَّدى ... إذا حلّ أَمــرٌ في الصُّدُورِ فَظِيعُ[3]

فأَجابه هشام فقال : [من الطويل]

إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِك لم يكُنْ ... إليــك ورَبِّ العالمــينَ رُجوعُ

فأَنتَ الفتى ما اهتزَّ في الزَّهَرِ النَّدى ... وأَنْــتَ إذا اشتدَّ الزمــانُ مَنُوعُ

وذكر المهلَّبيّ عن أَبي كَريمة النحويّ ، قال : خرج ذو الرُّمَّة يسير مع أَخيه مسعود بأَرضِ الدَّهناء ، فسنحت لهما ظَبيةٌ ، فقال ذو الرُّمَّة[4] : [من الطويل]

أَقُولُ لدَهناويّــةٍ عَوْهَــجٍ جَــرَتْ ... لنــا بــين أَعلى بُرْقــةٍ بالصّرائمِ[5]

أَيــا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بــين جُلاجِلٍ ... وبــين النَّقــا آ أَنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ !

وقال مسعود :

فلو تُحسِنُ التشبيهَ والنعْتَ لم تقُلْ ... لِشاةِ النَّقــا آ أَنْـتِ أَمْ أُمّ سالمِ

جعلت لهــا قَرنَيْن فوق قُصاصِها ... وظِلْفَيْن مُسوَدَّيــن تحــت القوائِمِ[6]

وقال ذو الرُّمَّة[7] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 354 .

2 الديوان : يسرت وربيع .

3 الديوان : ولا تخلف . . . أخا الفتى .

4 ديوانه : 621 .

5 الدهناويَّة : ظبية من ظباء الدهناء والعوهج : طويلة العنق . وبرقة : موضع . والصرائم : الرمال . وفي الديوان : أعلى عرفة .

6 قصاص الشعر : حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره .

7 ديوانه : 622 .

هِـيَ الشِّبْهُ لولا مِذْ رواها وأُذْنُها سواء ولـولا مَشْقَـةٌ في القَوائِمِ[1]

وكان ذو الرُّمَّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة ، وكان طُفيليّاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن سعيد الكِنديّ ، قال : سمعت ابن عيّاش يقول : حدَّثني مَنْ رأى ذا الرُّمَّة طفيليّاً يأتي العُرُسات[2] .

[صفاته]

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن الزيّات ، قال : أخبرني محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال زُرعة بن أذبول : كان ذو الرُّمَّة مدوَّر الوجه ، حسن الشَّعرة جَعْدها ، أقنى ، أنزع ، خفيف العارضين ، أكحَل ، حسن الضحك ، مُفَوَّهاً ، إذا كلَّمك كلَّمك أبلغ النّاس ، يضع لسانَه حيث يشاء .

وقال حمّاد بن إسحاق : حدّثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، عن عمّته عافية وغيرها من أهله : أنّهم رأوا ذا الرُّمَّة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد الله شيخاً أَجْنأَ سِناطاً[3] متساقطاً .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدّثني ربيح النميريّ ، قال : اجتمع الناس مرّةً وتحلَّقوا على ذي الرُّمَّة ، وهو ينشدهم ، فجاءت أُمّه فاطّلعت من بينهم ، فإذا رجل قاعد وهو ذو الرُّمَّة . وكان دميماً شختاً[4] أَجْنَأ ، فقالت أُمّه : استمعوا إلى شِعْره ، ولا تنظروا إلى وجهِه .

قال هارون : وأخبرني يعقوب بن السكّيت ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرني أسيد الغنويّ ، قال : سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا[5] في الحديث أنَّ ذا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً[6] ، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً ، وكان أنفه ليس بالحسن .

[الإعجاب بشعره]

أخبرني ابن عمّار ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن صالح بن سليمان قال : كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرُّمَّة ، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه .

قال : وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرُّمَّة ، فأنشد يوماً قصيدةً له ، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع ؛ فقال : أشهد عَنّك ، أي أنّك ، لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تَتْلوه ، وكان يحسبَه قرآناً .

---

1 الديوان : . . . إلاّ مدربيها . . . وإلاّ مشقةٌ .

2 العرسات : جمع عُرُس . وهو طعام الوليمة .

3 الأجنأ : الذي يشرف كاهله على صدره . والسناط : الخفيف العارض .

4 الشخت : الخفيف الضامر .

5 هضبوا : أفاضوا .

6 ترعية : يحسن رعي الإبل .

نسختُ من كتاب محمد بن داود : وحدَّثني هارون بن الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال حمّاد الرّاوية : قال الكُميت حين سمع قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أَعاذِلُ قد أَكثرتِ مِنْ قول قائلٍ وعَيْبٌ على ذي الوُدِّ لَوْمُ العواذلِ

هذا واللهِ مُلهم ، وما عِلْمُ بَدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعدّ لذوي الألباب ! أحسنَ ثم أحسن .

قال محمد بن صالح : وحدَّثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكُميت ، وقال : لمّا أُنشدَ قوله في هذه القصيدة[2] : [من الطويل]

دعاني وما داعي الهوى مِنْ بِلادِها إذا ما نأَتْ خَرْقــاءُ عَنّي بِغافِلِ

فقال الكُمَيْت : للهِ بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قوله ! وما أجود وصفه ! ولقد شفع البيتَ الأوَّل بمثله في جودة الفهم والفطنة ، وقال قولَ مُستسلم .

قال ابن كناسة : وقال لي حمّاد الراوية : ما أخَّر القومُ ذِكْرَه إلاّ لحداثة سنّه ، وأنّهم حسدوه .

قال محمد بن صالح : وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو : قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف : لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرُّمَّة ، ولا أحسن جواباً ؛ كان كلامه أكثر من شعره .

وقال الأصمعيّ : ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريّين وغيرهم شكا حُبّاً أحسن من شكوى ذِي الرُّمَّة ، مع عِفَّةٍ وعَقْلٍ رصين .

قال : وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمَّة يخبر فيُحسن الخبر ، ثم يردّ على نفسه الحجَّةَ من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذر فيحسن التخلّص ، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ ، عن مولًى لجدِّه ، قال : رأيتُ ذا الرُّمَّة بسوق المِرْبَد ، وقد عارضه رجلٌ يهزأ به ، فقال له ، يا أعرابيّ ، أتشهد بما لَم تَرَ ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أشهد أنَّ أباك ناك أُمَّك .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي عُبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير عند بعض الخلفاء ، فسأله عن ذي الرُّمَّة ، فقال : أخذ من طريف الشعر وحَسِنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة ، فلم أرَ أفصح ولا أعلَم بغريب منه .

---

1 ديوانه : 500 .

2 ديوانه : 492 .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أبو عبيدة ، عن أبي عمرو ، قال : خُتِم الشِّعْر بذي الرُّمَّة ، وختِم الرَّجَز برُؤبة .

قال : فما تقول في هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم ؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن بعض أصحابه ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرُّمَّة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمِّه عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل : أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أُمَيّة ، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد عن ذي الرُّمَّة ، فكلاهما قال : أخذ من طريف الشعر وحَسنه ما لم يسبقه إليه غيره . فقال الخليفة : أشهد لاتّفاقكما فيه أنَّه أشْعَرُ منكما جميعاً .

أخبرني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي قال : أُنشِد الصَّيْقَلُ شعر ذي الرُّمَّة فاستحسنه ، وقال : ما لهُ قاتلَه الله ! ما كان إلاّ رُبَيْقَة[1] ، هلاَّ عاش قليلاً !

وقال هارون بن محمد : أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق البلخيّ ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابن شُبرمة ، قال : سمعت ذا الرُّمَّة يقول : إذا قلتُ : كأنّه ، ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني .

قال هارون : وحدَّثني العبّاس بن ميمون طائع ، قال : قال الأصمعيّ : كان ذو الرُّمَّة أشعرَ النّاس إذا شبَّه ، ولم يكن بالمُفْلِق .

وحدَّثني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كان لذي الرُّمَّة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميِّين ، كان علماؤنا يقولون : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وأحسَنُ أهلِ الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمَّة .

[حبّه لِمَيّ]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمّته أُمّ القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأُمّ ميّ ، قالت : كنّا نازلين بأسفل الدهناء ، وكان رهط ذي الرُّمَّة مجاورين لنا ؛ فجلست ميّة ، وهي حينئذٍ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته ، تغسل ثياباً لها ولأُمّها في بيت منفرد ، وكان بيتاً رثّاً قد أخلق ، ففيه خروق ، فلمّا فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أُمّها ، فأقبل ذو الرُّمَّة حتى دخل إلينا ، ثم

1 الربقة : العروة من الحبل .

سلَّم ، ونَشد ضالَّةً وجلس ساعةً ثم خرج . فقالت ميّة : إنِّي لأَرى هذا العدويّ قد رآني منكشفة واطلع عليّ من حيث لا أدري ؛ فإن بني عديّ أخبث قوم في الأرض ، فاذهبي فقُصِّي أثره فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه ، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردَّد أكثر من ثلاثين طرقة ، كلّ ذلك يدنو فيطّلع إليها ، ثم يرجع على عَقِبيه ، ثم يعود فيطّلع إليها ، فأخبرتها بذلك ، ثم لم تنشب أن جاءنا شِعْرُه فيها من كلّ وَجْه ومكان .

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ : أنّ هارون بن مسلم بن سَعْد حدَّثه عن حسين بن براق الأسديّ ، عن عمارة بن ثقيف ، قال : حدَّثني ذو الرُّمَّة أن أول ما قاد المودَّة بينه وبين ميَّة أنّه خرج هو وأخوه وابن عمّه في بِغاء إبلٍ لهم ؛ قال : بينا نحن نسير إذ وردْنا على ماءٍ وقد أُجهدنا العطش ، فعدلنا إلى حِواء[1] عظيم ، فقال لي أخـي وابن عمِّي : ائت الحِواء فاستَسْقِ لنـا ، فأَتيتُه وبين يديْه في رواقه عجوزٌ جالسة . قال : فاستسقيتُ ، فالتفتَتْ وراءَها فقالت : يا ميّ ، اسْقِي هذا الغلام . فدخلتُ عليها فإذا هي تنسج عِلْقةً[2] لها ، وهي تقول : [من الرجز]

يـا مَنْ يَرى بَرْقـاً يمُرُّ حِينا زَمْـزَمَ رَعْـداً وانتحى يمينا
كأَنَّ في حافاتِــهِ حنينـا أَو صوتَ خيـل ضُمَّرٍ يَرْدِينا

قال : ثم قامت تصبُّ في شكوتي[3] ماءً ، وعليها شَوْذب[4] لها ، فلمّا انحطتْ على القِرْبة رأيتُ مُولًّى لم أرَ أحسنَ منه . قال : فلهوْت بالنظر إليها ، وأقبلَتْ تصبُّ الماء في شكوتي والماء يذهبُ يميناً وشمالاً . قال : فأقبلت عليّ العجوز وقالت : «يا بنيّ أُلهتْكَ ميّ عمّا بعثك أهلُك له ، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً !» فأقبلت على العجوز فقلتُ : أما والله ليطولنَّ هُيامي بها .

قال : وملأْتُ شَكْوَتي ، وأَتيتُ أَخي وابن عمِّي ، ولففتُ رأسي ، فانتبذتُ ناحيةً ، وقد كانت ميّ قالت : لقد كلَّفك أهلُكَ السَّفَر على ما أرى من صغرك وحداثة سنّك ؛ فأنشأتُ أقول[5] : [من الرجز]

قـد سَخِرَتْ أُختُ بنـي لَبيدِ منِّي ومِنْ سَلْمٍ ومِـنْ وَليدِ[6]
رأَتْ غُلامَـيْ سَفَرٍ بعيــدِ يَـدَّرِعانِ اللَّيْــلَ ذا السُّدودِ

---

1 الحواء : مجموعة من البيوت المتدانية .
2 العلقة : قميص بلا كمّين .
3 الشكوة : وعاء من الجلد للماء واللبن .
4 الشوذب : الثوب الطويل .
5 انظر ديوانه : 157 .
6 قد سخرت في الديوان : قد عجبت . . . وهربت مني ومن مسعود .

مثـل ادِّراعِ اليَلْمَـقِ الجديد[1]

قال : وهي أوّل قصيدة قلتها ثم أتممتها :

هـل تعـرف المنزل بالوَحِيدِ

ثم مكثتُ أُهِيمُ بها في دِيارها عشرين سنة .

[زوج ميّ يأمرها أن تسبّه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، قال : سمعْتُ أبي يقول : ضاف ذو الرُّمَّة زوجَ ميّ في ليلةٍ ظلماء ، وهو طامع في ألاّ يعرفه زوجُها ، فيدخله بيتَه ، فيقريه فيراها ويكلِّمُها ، ففطن له الزَّوجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه ، وأخرج إليه قِراه ، وتركه بالعَراء ، وقد عرفته ميَّةُ ؛ فلمّا كان في جَوْفِ الليل تغنَّى غناء الرُّكبان قال[2] : [من الطويل]

أراجعـةٌ يـا مـيُّ أيّامُنـا الأُلى ... بذِي الأثْل أم لا ، ما لهنَّ رجوعُ[3]

[غزله في خرقاء]

فغضب زوجُها ، وقال : قُومي فصيحي به : يا ابن الزّانية ، وأيُّ أيّام كانت لي معك بذي الأثل ! فقالت : يا سبحان الله ، ضيفٌ ، والشاعر يقول ! فانتضى السيفَ ، وقال : والله لأضربنَّكِ به حتى آتِي عليك أو تقولي . فصاحت به كما أَمَرها زوجُها ، فنهض على راحلته ، فركِبها وانصرف عنها مُغْضباً يُريد أن يصرفَ مودَّتَه عنها إلى غيرها . فمرَّ بفَلْج في رَكْبٍ ، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه ، فإذا هو بجوار خارجاتٍ مِنْ بيتٍ يُرِدْنَ آخر ، وإذا خرقـاء فيهـنّ ، وهي امـرأةٌ مـن بنـي عامر ، فإذا جاريةٌ حُلْوةٌ شَهْلاءُ . فوقعَت عينُ ذِي الرُّمَّة عليها ، فقال لها : يا جارية ، أترقَعِين لهذا الرجل خُفَّه ؟ فقالت تهزأ به : أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل ؛ فسمَّاها خرقاء ، وترك ذكر ميّ ؛ يُريد أن يغيظَ بذلك ميّاً . فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ، ثم لم يلبث أن مات .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه عن الأصمعيّ ، عن عمارة بن عقيل ، قال : قال جرير : خرجتُ مع المهاجِر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ ، فلقينا ذا الرُّمَّة ، فاستنشده المهاجر فأنشده[4] : [من الطويل]

ومِنْ حاجتـي لَوْلا التَّنائي وربّما ... منحتُ الهَوى مَنْ ليس بالمُتَقاربِ

---

1 اليلمق : القباء .

2 ديوانه : 352 .

3 الديوان : بذي الرمث .

4 ديوانه : 56 .

عطابِيلُ بِيضٌ مِـنْ ربيعة عامرٍ عِذابُ الثنايـا مُثقَلاتُ الحقائبِ[1]
يَقِظْنَ الحِمى والرَّمْلُ منهنَّ مَحْضَرٌ ويَشْرَبْنَ أَلبانَ الهِجانِ النجائبِ[2]

فالتفت إليَّ المهاجر ، وقال : أتراه مجنوناً !

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : أخبرنا أبو البَيْداء الرّياحيّ ، قال : قال جرير : قاتل اللهُ ذا الرُّمَّة حيث يقول[3] : [من الطويل]

ومُنْتَزِعٍ مِـنْ بـين نِسْعَيْـهِ جِـرَّةً نشيجِ الشَّجا جاءَت إلى ضِرْسِهِ نَزْرا[4]

أَما واللهِ لو قال : «ما بين جَنبيهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل .

أخبرني الطوسيّ وحبيب المهلّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن أبي غزالة ، عن هشام بن محمد الكلبيّ ، عن رجل من كندة ، قال : سئل جرير عن شِعرِ ذي الرُّمّة فقال : بعرُ ظِباءٍ ، ونقطُ[5] عروسٍ ، يضمحلُّ عن قليل .

[شعره في نظر جرير وأبي عمرو بن العلاء]

أَخبرني أَبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان أَبو عمرو بن العلاء يقول : إنّما شعر ذي الرُّمَّة نَقْط عروس يضمحلّ عن قليل وأبعارٌ لها مَشَمّ في أوّل شمّة ، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر .

قال أبو زيد بن شبّة : قال أبو عبيدة : وقف الفرزدقُ على ذي الرُّمَّة وهو ينشد قصيدته (الحائيّة) التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

إذا ارْفَضَّ أَطرافُ السِّياط وهُلِّلَتْ جُرومُ المطايـا عذَّبتهنَّ صَيْدَحُ[7]

فقال ذو الرُّمَّة : كيف تسمعُ يا أبا فِراس ؟ قال : أَسمعُ حَسناً ، قال : فما لي لا أُعَدُّ في الفحول من الشعراء ؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعدك ذِكرُك الأبعار وبكاؤُك الديار ، ثم قال[8] : [من الطويل]

ودَوِّيَّـةٍ لو ذُو الرُّمَيْمـةِ رامَهـا لقصَّر عنهـا ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[9]

---

1 الديوان : عطابيل بيض من ذؤابة عامر رقاق الثنايا مشرفات الحقائب
2 صدر البيت في الديوان : يقظن الحمى والرمل منهن مربع
3 ديوانه : 173 .
4 نشيج الشجا : كأنّه يتنفس الصعداء كالذي اعترض حلقه عود .
5 نقط العروس : ما تنقط به العروس خدها من السواد لتجعله كالخال .
6 ديوانه : 87 .
7 جروم : جمع جرم وهو الجسد . هللت : صارت كالأهلة من الهزال . وصيدح : ناقة ذي الرّمّة .
8 ديوان الفرزدق 1 : 124 .
9 الشطر الثاني في الديوان : وصيدحُ أوْدى ذو الرميم وصيدحُ . والدويّة : المفازة .

قطعــتُ إلى معروفهــا منكراتِهـــا إذا اشتـــدّ آلُ الأمْعَزِ المتوضِّحُ[1]

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر : فقام إليه ذو الرُّمَّة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً ، فقال : إنّهما بيتان ، ولن أزيد عليهما شيئاً .

قال : وكان عمر بن شبّة يقول عمَّن أخبره عن أبي عمرو : إنّما شعره نقط عروس تضمحل عمَّا قليل ، وأبعار ظباء لها مشمّ في أوّل شمّها ، ثم تعود إلى أرواح الأبعار .

[هواه مع الفرزدق على جرير]

وكان هوى ذي الرُّمَّة مع الفرزدق على جرير ؛ وذلك لِما كان بين جرير وابن لجأ التَّيْميّ ، وتَيْمٌ وعديٌّ أخوان من الرِّباب ، وعُكْل أخوهم ، ولذلك يقول جرير لعُكَل[2] : [من الطويل]

فــلا يضغمنَّ الليثُ عُكْلاً بغِرَّةٍ وعُكـــلٌ يَشمُّـــونَ الفَرِيسَ المنَيَّبا

الفَرِيس هاهنا ابن لجأ ، وكذلك يفعل السبع إذا ضغم[3] شاةً ثم طُرد عنها ، أو سبقتـه ، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغْم ، فيفترسها السبع ، وهي تشمّ ، ولذلك قال جرير لبني عديّ[4] : [من الوافر]

وقُلْــتُ نصاحــةً لبَنـــي عَــدِيٍّ ثيابَكـــم ونَضْـــحَ دَمِ القَتيـــلِ

يحذّر عديّاً ما لَقِي ابن لجأ .

[الفرزدق ينتحل أبياتاً له]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام أنَّ أبا يحيى الضبّيّ قـال : قـال ذو الرُّمَّة يوماً : لقد قلتُ أبياتـاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً . قال له الفرزدق : ما هي ؟ قال : قلت[5] : [من الطويل]

أَحين أَعاذَتْ بــي تميمٌ نساءَها وجُرِّدْتُ تجريدَ اليماني من الغِمْدِ

ومَدَّت بضَبْعَيَّ الرِّبـــابُ ومالِكٌ وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ

ومـــن آلِ يَرْبُوعٍ زُهـــاءٌ كأَنَّه زُها اللَّيْلِ محمودُ النِّكايَةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق : لا تعودَنَّ فيها ، فأنا أحقُّ بها منكَ ، قال : والله لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك ؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

1 الشطر الثاني في الديوان : إذا خب آلٌ دونها يتوضح . والأمعز : المكان الكثير الحصى .
2 ديوان جرير : 20 .
3 ضغم الشاة : عضّها .
4 ديوان جرير : 352 .
5 ديوان ذي الرّمّة : 142 . وديوان الفرزدق 1 : 177 وفيه «دجى الليل» .
6 ديوان ذي الرمّة : 142 وديوان الفرزدق 1 : 177 .

وكُنّا إذا القَيْسيُّ نَبَّ عَتُودُه ضَرَبْناه فوْقَ الأُنثيين على الكَرْدِ

الأُنثيان : الأُذنان . والكَرْد : العُنُق .

وروى هذا الخبر حمّاد عن أَبيه ، عن أَبي عبيدة ، عن الضحاك الفقيميّ قال : بينا أَنا بكاظمة وذو الرُّمَّة يُنْشِدُ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

أحِينَ أعاذَتْ بِي تَمِيمُ نساءَها

إذا راكبان قد تدلَّيا مِنْ نَقْب كاظمة مُقنَّعان فوقفا . فلمّا فرغ ذو الرُّمَّة حسر الفرزدق عن وجْهه وقال لِراوِيته : يا عُبيد ، اضممْ إليك هذه الأبيات . قال له ذو الرُّمَّة : نشدتُك الله يا أبا فراس ! فقال له : أنا أحقُّ بها منك ، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات .

[تهاجيه مع هشام المرئي]

حدَّثنا محمد ، قال : حدَّثنا أَبو الغرّاف ، قال : مرَّ ذو الرُّمَّة بمنزلٍ لامرىء القَيْس بن زيد يُقال له : مرأة ، به نَخْل ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال[1] : [من الطويل]

نَزَلْنا وقد طال النّهارُ وأوْقَدَتْ علينا حصى المَعزاء شَمْسُ تنالُها[2]

أَنخْنا فَظُلِّلنا بأَبْرادِ يُمْنَةٍ عِتاقٍ وأَسيافٍ قديمٍ صِقالُها[3]

فلمّا رآنا أَهْلُ مَرْأَةَ أَغلقوا مخادِعَ لم تَرفَعْ لخيرٍ ظِلالُها[4]

وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرىء القيس قَريةٌ كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها[5]

فلجَّ الهجاءُ بين ذي الرُّمَّة وبين هشام المرئيّ ، فمرَّ الفرزدق بذي الرُّمَّة وهو ينشد[6] : [من الطويل]

صوت

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي فما زِلْتُ أَبْكِي عنده وأُخاطِبُهْ

وأَسقِيهِ حتى كاد مِمّا أَبُثُّه تُكلِّمني أَحجارُه وَمَلاعِبُهْ

غنّى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مُطلق في مجرى البنصر ، وسيأتي خبره بعد لئلاّ ينقطع هذا الخبر .

---

1 ديوان ذي الرّمّة : 542 .

2 طال النهار في الديوان : غار النهار .

3 رواية الديوان :

بنينا علينا ظل أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها

4 الديوان : فلمّا دخلنا جوف مرأة غلقت دساكر لم ترفع لخير ظلالها

5 الصوادي : جمع صادية ، وهي النخلة التي امتدت جذورها إلى الماء فهي لا تحتاج إلى سقي.

6 ديوانه : 38 .

فقال له الفرزدق : ألهاك البكاء في الديار ، والعبْدُ يرتجز بك في المقابر ، يعني هشاماً .

وكان ذو الرُّمَّة مستَعْلِياً هشاماً حتى لقِي جريرٌ هشاماً ، فقال : غلبك العبدُ ، يعني ذا الرُّمَّة . قال : فما أصْنَع يا أبا حَزْرَة ، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ ، والرَّجزُ لا يقوم للقَصيد في الهِجاء ؟ ولو رَفَدْتَني ، فقال جرير ، لتُهمَتِه ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق ، قل له[1] : [من الطويل]

غَضِبْتُ لرَجْلٍ منْ عَدِيّ تشمَّسوا ... وفي أيِّ يَـوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها[2]

وفيم عَديٌّ عنـد تَيْـمٍ من العُلا ... وأيّامنـا اللاَّتـي تُعَـدُّ فَعالُها

وَضَبَّةُ عَمِّي يا ابنَ جُلٍّ فلا تَرُمْ ... مَساعِيَ قـومٍ ليس منكَ سِجالُها

يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهـا ، لا تُجنُّه ... من الناس ما مَسَّت عَدِيّاً ظِلالُها

فقـل لعـديٍّ تَستعـنْ بنسائِها ... علـيّ فقـد أعْيـا عَدِيّـاً رِجالُها

أذا الرُّمِّ قـد قَلَّدْتَ قومَك رُمَّةً ... بطيئـاً بأمـر المُطْلِقـين انحلالُها

قال أبو عبد الله : فحدّثني أبو الغرَّاف ، قال : لمّا بلغت الأبياتُ ذا الرُّمَّة قال : والله ما هذا بكلام هشام ، ولكنّه كلامُ ابن الأَتان[3] .

أخبرنا أبو خليفة ، قال : حدَّثنا ابن سلاّم ، قال : وحدَّثني أبو البَيْداء قال : لمّا سمعها قال : هو والله ينتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريٍّ ، وغلب هشام على ذي الرُّمَّة بها[4] .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أبو عبيدة ، قال : حدَّثني فلان المرئيّ ، قال : أتانا جرير على حمار ، وأنا لا أعرفه ، فأُتي بنبيذ فشرب ، فلمّا أخذ فيه قال : أين هشام ؟ فدُعِي ، فقال له : أنشدني ما قلتَ في ذي الرُّمَّة ، فأنشده ، فجعل كلّما أنشده قصيدةً قال : لم تصنع شيئاً ؛ ثم قال له : قد دَنا رَواحِي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شُبّانكم بروايتها ، وذكر الأبيات التي أوّلها قوله : [من الطويل]

غَضِبْتَ لرَجْلٍ من تميم تَشَمَّسُوا

[جرير يرفد ذا الرُّمَّة]

قال : فغلبه هشام بها ، فلمّا كان بعد ذلك لقي ذو الرُّمَّة جريراً فقال : تعصَّبْتَ على خالك للمرئيّ . فقال جرير : حيث فعلتُ ماذا ؟ قال : حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا . فقال

1 ديوان جرير : 390 .

2 الديوان : عجبت لرجل . . . لم تشمس رحالها . ويروى غضبت لرحل . . .

3 ابن الأتان : يعني جريراً .

4 انظر طبقات ابن سلام : 557–559 .

جرير : لأنّك أَلهاك البكاءُ في دار ميّة حتى استقبحَتْه محارمُك .

قال : وقول ذي الرُّمَّة : تعصَّبتَ على خالك ، أنَّ النَّوار بنت جُلّ أُمّ حَنظلة بن مالك ، وهي من رَهط ذي الرُّمَّة ، وكذلك عنى جرير بقوله[1] : [من الوافر]

ولــولا أن تقــولَ بنو عــديّ ... أَلم تَــكُ أُمَّ حنظلة النَّــوارُ

أَتتْكم يــا بنــي مِلْكانَ منّي ... قصائــدُ لا تعاوَرُهــا البِحارُ

فقال ذو الرُّمَّة : لا ، ولكن اتهمتَني بالمَيْل مع الفرزدق عليك ، قال : كذلك هو ، قال : فوالله ما فعلتُ ، وحلف له بما يُرضيه ، قال : فأَنشدني ما هجوتَ به المرئيّ ، فأَنشده قوله[2] : [من الوافر]

نَبتْ عَيْناك عن طَللٍ بِحُزْوى ... عَفَتْه الريح وامتضح القِطارا[3]

فأَطال جداً ، فقال له جرير : ما صنعتَ شيئاً ، أفأرفدك ؟ قال : نعم ، قال : قل[4] : [من الوافر]

يَعُــــدُّ الناسِبُون إلى تميــم ... بُيوتَ المَجْــدِ أَربعةً كبارا[5]

يَمُــدُّون الرِّبــابَ وآلَ سَعْدٍ ... وعَمْراً ثــم حنظلةَ الخيارا[6]

ويَهْلــك بينهــا المَرئــيُّ لَغْواً ... كما أُلغيْتَ في الدِّيَّــةِ الحُوارا

ويروى : ويذهب بينها .

فغلبه ذو الرُّمَّة بها .

قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : حدَّثني جماعة من أَهل العِلم أنَّ ذا الرُّمَّة مَرَّ بالفرزدق فقال له : أنشدني أحدَث ما قلت في المرئيّ ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ، ثم قال : أعِد ، فأعاد ، فقال : كذبت وايم الله ، ما هذا لك ، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان .

فلمّا سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسَه ، ويصرخ ويدعو بوَيْله ، ويقول : قتلني جرير ، قتله الله ! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدّرته ، قتلَني ، وفضحَني .

فلمّا استعلى ذو الرُّمَّة على هشام أتى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا : يا أبا حَزْرة ، عادتُكَ

---

1 ديوانه : 193 .

2 لم نعثر عليها في طبعات ديوان جرير .

3 امتضح : شان . وفي الديوان : امتنح : من المنحة .

4 ديوان ذي الرمّة : 196 .

5 الديوان : بيوت العز .

6 الديوان : يعدون الرباب لهم وعمراً ... وسعداً ثم حنظلة الخيارا

الحسنى ؛ فقال : هيهات ، ظلمتُ أخوالي ، قد أتاني ذو الرُّمَّة ، فاعتذر إليّ ، وحَلف فلستُ أعِينُ عليهم .

فلمّا يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتب وقد طلع بمكاتبته ، فأعطوه عشرة أعنز ، وأعانوه على مكاتبته ، فقال أبياتاً عَيْنيَّة يفضِّل فيها بني امرىء القيس على بني عديّ ، وهشاماً على ذي الرُّمَّة ، ومات ذو الرُّمَّة في تلك الأيّام ، فقال الناس : غَلَبه هشام .

قال ابن النّطاح : إنّما مات ذو الرُّمَّة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ ، فقال الناس : غلبه ، ولم يغلبه ؛ إنّما مات قبل الجواب .

[قول ذي الرُّمَّة في شعره]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن محمد بن الحسن الأحول ، عن بعض أصحابه ، عن الشَّبْو بن قُسيم العُذْريّ ، قال : سمعتُ ذا الرُّمَّة يقول : مِنْ شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني ، ومنه ما أجهدْتُ نفسي فيه ، ومنه ما جُننت به جنوناً ؛ فأمّا ما طاوعني القول فيه فقولي[1] :

خليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ

وأمّا ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي[2] :

أإن تَوسَّمت من خَرْقاء منزلة

أمّا ما جُننت به جنوناً فقولي[3] :

ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ

[جرير يعجب ببائيّته]

أخبرني عليّ بن سليمان ، عن محمد بن يزيد ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير يقول : ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِن شعر ذي الرُّمَّة إلاّ قوله :

ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ

فإنّ شيطانه كان له فيها ناصحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : قال حمّاد الراوية : ما تمّم ذو الرُّمَّة قصيدته التي يقول فيها :

---

1 ديوانه : 491 ، وعجزه : بجمهور حزوى فابكيا في المنازل .

2 ديوانه : 567 وفيه :

أعن ترسمت من خرقاء منزلــة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

3 ديوانه : 1 وعجزه : كأنه من كلى مفرية سرب . وفيه «الماء» بدل «الدمع» .

مـا بـالُ عَيْنك منها الماء ينسكبُ

حتى مات ، كان يَزِيد فيها منذ قالها حتى تُوفّي .

[يسخر منه]

أُخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبي عدنان ، قال : أُخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهليّ ، عن كثير بن ناجية ، قال : بينا ذو الرُّمَّة ينشد بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون إليه ، إذا هو بخيّاط يطالِعُه ، ويقول : يا غيلان [من الطويل]

أَأَنتَ الذي تستنطق الدارَ واقفاً مِنَ الجهل هل كانت بكنّ حلولُ ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زماناً ، ثم عاد فقعد في المِرْبَد ينشد ، فإذا الخيّاط قد وقف عليه ، ثم قال : [من الطويل]

أَأَنـت الذي شبّهت عَنْزاً بقفرةٍ لهـا ذَنَبٌ فـوق اسْتِها أُمَّ سالمِ

وَقَرْنانِ إمّـا يَلزقـا بِـكَ يَتْركا بجَنْبَيْكَ يـا غيلانُ مِثلَ المواسمِ

جعلت لهـا قرنين فـوق شَواتها ورابَك منهـا مَشْقَةٌ في القَوائِمِ[1]

فقام ذو الرُّمَّة فذهب ، ولم يُنشد بعدها في المِرْبد حتى مات الخيّاط . قال : وأراد الخيّاط بقوله هذا قولَ ذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

أَقـول لدَهْناوِيّةٍ عَوْهَـجٍ جَـرَتْ لنا بـين أَعْلى بُرقـةٍ في الصَّرائمِ

أَيـا ظبية الوَعْساء بـين جُلاجلٍ وبـين النَّقا آأَنْـتِ أم أُمُّ سالِمِ

هـي الشِّبْهُ لولا مِدْرياها وأذْنها سواء وإلاَّ مَشْقَـةٌ في القَـوائمِ[3]

فانتبه ذو الرُّمَّة لذلك ، فقال[4] : [من الطويل]

أَقولُ بذِي الأَرْطى عشيَّةَ أَرشَقَتْ إلى الرَّكْبِ أَعناقُ الظِّباء الخَواذلِ[5]

لأَدمـاءَ مِـن آرام بين سُوَيْقَةٍ وبين الجبالِ العُفْر ذاتِ السَّلاسِلِ[6]

أَرى فيكِ من خرقاء يا ظبيةَ اللِّوى مشابـهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائلِ

---

1 الشواة : قحف الرأس .

2 ديوانه : 621 وفيه «بين أعلى عرفة بالصرائم» .

3 مدرياها في الديوان : مدرييها .

4 ديوانه : 495 .

5 عشيّة أُرشقَتْ في الديوان : عشية أُتلعت .

6 الديوان : لأدمانة من وحش . . . . وبين الحبال .

فعيناكِ عيناهـــا وجِيدُكِ جيدُها ولونـــك لـولا أنّها غيرُ عاطلِ[1]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم .

[يفسر لرؤبة بيتاً للراعي]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السكريّ ، عن يعقوب بن السكّيت ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف ، قال : قال ذو الرُّمَّة لرُؤبة : ما عَنى الراعي بقوله[2] : [من الطويل]

أناخا بأَسْوا الظَّنّ ثمّتَ عرَّسا قَلِيلاً وقـد أبقى سُهَيْلٌ فعَرّدا

فجعل رُؤبة يقول : هي كذا هي كذا ، لأشياء لا يقبلها ذو الرُّمَّة ، فقال له رؤبة : فمَهْ ؟ وَيْحَكَ ! قال : هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدِبة .

[جرير والفرزدق يقران له]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبي عَدْنان ، عن إبراهيم بن نافع : أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره ، فقال له : مَنْ أشعر النّاس ؟ قال : أنا ، قال : أفتعلَم أحداً أشعَر منك ؟ قال : لا ، إلاّ أنّ غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل ، وينعت الفَلَوات . ثمّ أتاه جرير فسأله ، فقال له مثل ذلك . ثمّ أتاه ذو الرُّمَّة فقال له : ويحك ! أنتَ أشعر النّاس ، قال : لا ، ولكنْ غلام من بني عقيل يُقال له : مُزاحم : يسكن الرَّوضات يقول وحشيّاً من الشعر لا نقدرُ على أن نقول مثلَه .

[كثيرة تنحله ذمّاً لميّ]

قال : وكان ذو الرُّمَّة يتشبَّب بميّ بنت طُلَبَةَ بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت كثيرة[3] أَمَةً مُولّدة لآلِ قيس بن عاصم ، وهي أُمّ سَهْم بن بُرْدة اللصّ الذي قتله سِنان بن مُخَيَّس القشيريّ أيّام محمد بن سليمان ، فقالت كثيرة[4] : [من الطويل]

على وَجْه مَـيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاحَةٍ وتحت الثيابِ الخِزيُ لو كانَ بادِيا

---

1 الديوان :

فعيناك عيناها ولونـك لونها وجيـدك إلاّ أنّها غير عاطـل

2 ديوان الراعي النميريّ (فايبرت) : 89 وفيه :

أناخوا بأشوال إلى أهـل خبّـة طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

3 ابن سلام (559) : كنزة . وانظر تعليق الأستاذ محمود محمد شاكر في الحاشية . وقد ألحق محقق ديوانه هذه الأبيات به (675) .

4 انظر ملاحق الديوان .

أَلَـم تَـرَ أَنّ المـاءَ يخبثُ طعْمُه ... ولو كان لَوْنُ الماءِ في العينِ صافِيا

ونحلْتها ذا الرُّمَّة ، فامتعض من ذلك ، وحلف بجهد أيمانه ما قالها .

قال : وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دهري ، وأفنيتُ شبابي أُشبِّب بها وأمدَحُها ، ثم أقول هذا ! ثمّ اطّلع على أنَّ كثيرة قالتهما ، ونحلتهما إيّاه .

[مية لا تردّ عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً]

وقال هارون بن محمد : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : حدَّثني هارون بن سعيد ، قال : حدَّثني أبو المسافر الفقعسيّ ، عن أبي بكر بن جَبَلة الفقعسيّ ، قال : وقف ذو الرُّمّة في رَكْبٍ معه على مَيّة ، فسلَّموا عليها ، فقالت : وعليكم إلاّ ذا الرُّمَّة ، فأحفظه ذلك وغمَّه ما سمع منها بحضرة القوم ؛ فغضب وانصرف وهو يقول[1] : [من الطويل]

أَيا ميّ قد أشمتِّ بي ويحكِ العِدا ... وقطَّعتِ حَبْلاً كان يـا ميّ باقيا

فيا مـيّ لا مرجوعَ للْوَصْلِ بيننا ... ولكـنّ هَجْـراً بيننـا وتَقاليا

أَلَـم تَـرَ أنَّ الماءَ يخْبثُ طعْمُه ... وإنْ كان لونُ الماء في العينِ صافيا

[ميّة العجوز]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن ابن النطّاح ، عن محمد بن الحجّاج الأسيديّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، قال : مررتُ على ميّة وقد أسنّت ، فوقفت عليها وأنا يومئذٍ شابّ فقلت : يا ميّة ؛ ما أرى ذا الرُّمَّة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

أما أَنْتَ عن ذِكراك مَيَّة مُقْصِرُ ... ولا أَنْتَ ناسي العَهْدِ منها فتذكُرُ

تَهيمُ بهـا ما تستفيقُ ودُونها ... حِجابٌ وأَبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّرُ

قال : فضحكت وقالت : رأيتَني يا ابنَ أخي وقد ولَّيتُ وذهبتْ محاسِني ، ويرحم الله غَيْلان ، فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسنُ من النار الموقدة في الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُذره ؛ ثم صاحت : يا أسماء ، اخرجي ؛ فخرجت جاريةٌ كالمهاةِ ما رأيتُ مثلها ، فقالت : أمّا لمن شبّب بهذه وهويها عُذر ؟ فقلت : بلى ، فقالت : والله لقد كنتُ أزمان كنت مثلها أحسنَ منها ، ولو رأيتني يومئذٍ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءك إيّاي اليوم ، انصرف راشداً .

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى .

---

1 البيتان الأول والثاني ليسا في ديوانه ولا في الزيادات .

2 البيتان في مزيدات الديوان : 666 .

[صفات ميّة]

أخبرني أبو خليفة ، قال : قال محمد بن سلاّم : قال أبو سوَّار الغنويّ : رأيت مَيّة وإذا معها بُنون لها صغار ، فقلت : صِفْها لي ، فقال : مسنونةُ الوجه ، طويلة الخدّ شمّاء الأنف ، عليها وَسْم جمال ، فقالت : ما تلقَّيْتُ[1] بأحدٍ من بنيَّ هؤلاء إلاّ في الإبل ، قلت : أفكانت تنشدك شيئاً ممّا قاله ذو الرُّمَّة فيها ؟ قال : نعم ، كانت تسحّ سحّاً ، ما رأى أبوك مثله .

[نذر ميّة إذا رأت ذا الرُّمَّة]

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره : مكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرُّمَّة وهي تسمع مع ذلك شِعْرَه ، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه ، فلمّا رأته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجمل الناس قالت : واسوأتاه ! وابؤساه واضيعة بدَنتاه ! فقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا

قال : فكشفت ثوبَها عن جسدها ، ثم قالت : أشيناً ترى لا أمَّ لك ! فقال : [من الطويل]

أَلَم تَرَ أنَّ الماءَ يخبُثُ طَعْمُه وإنْ كان لَوْنُ الماء أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه ، ولم يبق إلاّ أنْ أقول لك : هلمَّ ، حتى تذوق ما وراءه ، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً ، فقال : [من الطويل]

فيا ضيعةَ الشِّعرِ الذي لجّ فانقضى بِمَيٍّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا

قال : ثمّ صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد لما كان عليه من حُبِّها .

[ابنة ميّة تنشد شعره في أمّها]

وذكر محمد بن عليّ بن حَفْص الجُبَيريّ الحنفيّ ، من ولد أبي جُبيرة ، أنَّ النَّوار بنت عاصم المنقريّة ، وأمّها ميّة صاحبة ذي الرُّمَّة ، أخبرته ، وقد ذكر عندها ذا الرُّمَّة ، وأنشدها قوله في أمّها[2] : [من الطويل]

هي البُرْء والأسقام والهمُّ والمُنى وموتُ الهوى في القَلْبِ منى المبرِّحُ[3]

وكان الهوى بالنأي يُمْحى فيمَّحي وحُبُّكِ عندي يستَجِدُّ ويربحُ[4]

يربح ، أي يزيد الربح . هكذا ذكره الأصمعيّ .

---

1 تلقيت : حملت .

2 ديوانه : 83 .

3 الديوان :

هي البرء والأسقام والهم ذكرها وموت الهوى لولا التنائي المبرح

4 الشطر الأول في الديوان : وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحي .

إذا غَيَّر النـأيُ المحِبِّـين لم أجِد رَسِيسَ الهوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرحُ[1]

فلمّا سمعت قوله :

إذا غَيَّرَ النَّأيُ المحبِّين . . .

قالت : قبَّحه الله ، هو الذي يقول أيضاً : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاحةٍ وتحت الثيابِ الشَّينُ لو كان بادِيا

فقلت لها : أكانت ميَّةَ جَدَّتك ؟ قالت : لا ، بل أُمِّي ، فقلت لها : كم تَعُدِّين ؟ قالت : ستِّين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبي ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت ميّ صاحبة ذي الرُّمَّة من وَلد طَلِبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت لها بنت عمّ من ولد قيس يقال لها : كثيرة أُمّ سلهمة ، فقالت على لسان ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْـه ميٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحة

الأبيات . فكان ذو الرُّمَّة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه ، ويحلفُ أنّه ما قالها قطّ .

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف الضبّيّ بمثله ، وقال فيه : إنّ كثيرة مولاة لهم ، وهي أُمّ سلهمة اللصّ الذي قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان ، والله أعلم .

[ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبيّ ، عن ابن شبَّة ، عن المدائنيّ ، عن سلمة عن محارب ، قال : كان ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، فقيل له : كيف تقول : عُزَير ابن الله أو عزير بن الله ؟ فقال : أكثرهما حروفاً .

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : قال عيسى بن عمر : قال لي ذو الرُّمَّة : ارفع هذا الحرْفَ ، فقلتُ له : أتكتب ؟ فقال بيده على فيه : اكتم عليّ فإنّه عندنا عَيْب .

[سرقة شعر رؤبة]

أخبرني ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ ، قال : قال رؤبة : كلّما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال : قلت :

حَـيُّ الشهيقِ ميّـتُ الأنفاسِ

فقال هو[2] : [من الرجز]

---

1 لم أجد في الديوان : لم يكد .

2 ديوانه : 482 .

يَطْرحنَ بالمهامــه الأَغفالِ كلَّ جَهِيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ[1]
حــيٍّ الشهيق مَيِّتِ الأَوصالِ

فقلت له : فقوله واللهِ أَجودُ من قولك ، وإن كان سرقه منك ، فقال : ذلك أغمَّ لي .

[منزلته من الراعي]

أَخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبّة قال : قيل لذي الرُّمَّة : إنّما أَنت راوية الرّاعي . فقال : أمَا والله لئن قيل ذاك ما مثَلِي ومَثَله إلاّ شابٌّ صحِب شيخاً ، فسلك به طرقاً ثم فارقه ، فسلك الشابُّ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ .

[ضعفه في الهجاء والمدح]

أَخبرني محمد بن أَحمد بن الطَّلاَّس ، عن الخراز عن المدائنيّ ، وأَخبرني به إبراهيم بن أَيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، دخل حديثُ بعضِهم في حديث بعض قال : إنّما وضع من ذي الرُّمَّة أنّه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح ، وقد مدح بلال بن أَبي بردة فقال[2] : [من الوافر]

رأَيــتُ الناسَ ينتجعون غَيْثاً فقلتُ لِصَيْدحَ : انتَجعي بِلالا

فلمّا أَنْشده قال له : أولم ينتجعني غير صَيْدح ؟ يا غلام ، أعطه حَبْل قَتٍّ لصَيْدَح ، فأَخجله .

أَخبرني أَبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : حدَّثني أَبو الغرّاف قال : عاب الحكم بن عَوانة الكلبيُّ ذا الرُّمَّة في بعض قوله فقال فيه[3] : [من الطويل]

فلو كنتَ من كَلْبٍ صميماً هجوتكُم جميعاً ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ[4]
ولكنّمـــا أُخبِرتُ أَنّـــك مُلْصَــقٌ كما أُلصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القَعْبِ[5]
تدَهْدى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ مـــن صميمه فَكِيفَ بـأخرى بالغِــراء وبالشَّعْبِ[6]

أَخبرني أَبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : وحدَّثني أَبو الغرّاف قال : دخل ذو الرُّمَّة على بلال بن أبي بُردة ، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً ، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّيء

1 الأغفال : التي ليس بها علامات يهتدى بها . الجهيض : الوليد لغير تمام . ولثق : مبتل . والسربال : جلده .
2 ديوانه : 442 .
3 ديوانه : 53 .
4 هجوتكم في الديوان : هجوتها .
5 الديوان : ولكنني خبّرت . . .
6 فكيف بأخرى في ل والديوان : فلزّ بأخرى .

قال[1] : [من الطويل]

لحـا اللهُ صُعْلُوكاً مُنـاهُ وهمُّه مِنَ العَيْشِ أن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما

يَرى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُه مِـنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما

[أبو عمرو بن العلاء يحكم في شعر حاتم]

هكذا أُنشد بلال ، فقال ذو الرُّمَّة : يرى الخَمْص تعذيباً ، وإنّما الخِمْسُ للإبل ، وإنّما هو خَمْص البطن ، فمحكَ بلال ، وكان مَحِكاً[2] ، وقال : هكذا أُنشدنيه رُواة طيِّىء ، فردَّ عليه ذو الرُّمَّة ، فضحك ؛ ودخل أبو عمرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تنشدهما ؟ وعرف أُبو عمرو الذي به فقال : كِلا الوَجْهَيْنِ جائز ، فقال : أَتأخذون عن ذي الرُّمَّة ؟ فقال : إنّه لفصيح وإنا لنَأْخذُ عنه بتمريضٍ[3] . وخرجا من عنده . فقال ذو الرُّمَّة لأبي عَمْرو : واللهِ لولا أنّي أَعلم أنّك حطبْتَ في حَبْلِه وملت[4] مع هواه لهجوتُك هِجاءً لا يقعُد إليك اثنان بعده .

[آراء في شعره]

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد الزيّات ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل ، قال : قيل لبلال بن جرير : أيّ شعر ذي الرُّمَّة أَجود ؟ فقال[5] :

هـل حبل خَرْقاءَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم[6]

إنّها مدينة الشعر .

حدَّثنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال[7] : كان ذو الرُّمَّة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يَرْوِي عنهما ويروى عن الصحابة ؛ وكذلك ذو الرُّمَّة ، وهو دونَهما ويساويهما في بَعْضِ شعره .

[معرفته بالغريب]

أُخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة ، عن ابن معاوية ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلَمَ بغريبٍ منه ؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل

1 انظر الخبر والبيتين في طبقات ابن سلام : 569 .

2 محك : يتمادى في اللجاجة .

3 تمريض الشيء : توهينه .

4 المثل «يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 .

5 ديوانه : 569 .

6 عجز البيت : أم هل لها آخر الدهر تكليم . وفي الديوان : بعد الهجر .

7 طبقات ابن سلام : 550 .

المدينة ، فصنعوا له أبياتاً وهي : [من الطويل]

رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها ... من الدَّهرِ يدري كيف خَلْقُ الأباعرِ

فقـال : شظايـا مَعْ ظبايا ألا لنا ... وأجفـل إجفـالَ الظَّليـم المبادرِ

فقلت له : لا ذَهْـل مِلْكَيْل بعدما ... مَـلا نَيفَـق التُّبَّان منـه بعاذرِ

قال : فاستعادها مرَّتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ما أحسب هذا من كلام العرب .

[ذو الرُّمَّة والنحوي]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، عن العبّاس بن ميمون طائع ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، عن عنبسة النحويّ ، قال : قلت لذي الرُّمَّة وسمِعتُه ينشد ويقول[1] : [من الطويل]

وعَيْنـان قـال الله كُونا فكانتا ... فَعُولَيْنِ بالألْبابِ ما تَفْعَل الخَمْرُ

قال : فقلت له : فهلاّ قلتَ : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، كان خيراً لك ؛ أي أنّك أردْتَ القدر ، وأراد ذو الرُّمَّة كونا فعولين بالألباب ، وأراد عنبسة : وعينان فَعولان .

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيّات ، عن محمد بن عبادة ، عن الأصمعيّ ، عن العلاء بن أسلم ، فذكر مثلَه .

[خطأ ابن شبرمة وخطأ ذي الرُّمَّة]

وحكى أنّ إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال : وأخبرني الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه قال : قدِم ذو الرُّمَّة الكوفة فوقف يُنشِد الناس بالكُناسة قصيدتَه الحائيّة ، حتى أتى على قوله : [من الطويل]

إذا غَيَّر النَّأْيُ المُحِبِّـين لم يَكدْ ... رَسيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرمة : يا غَيْلان ، أراهُ قد برَح . فشنق[2] ناقتَه ، وجعل يتأخَّر بها ويفكِّر . ثم عاد فأنشد قوله :

إذا غَيَّر النَّأْيُ المحبـين لم أجِدْ

قال : فلمّا انصرفت حدَّثتُ أبي ، فقال : أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرُّمَّة ما أنشد ، وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غيَّر شِعرَه لقول ابن شبرمة ، إنّما هذا مثل قول اللهِ عزّ وجلّ : ﴿ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها﴾[3] وإنّما معناه لم يرها ولم يكد .

1 ديوانه : 213 .

2 شنق ناقته : رفع رأسها وهو راكبها .

3 سورة النور ، الآية : 40 .

أَخبرني الجوهريّ ، عن ابن شُبرمة ، عن يحيى بن نجيم قال : قال رؤبة لبلال بن أَبي بُردة : علام تعطي ذا الرُّمَّة ؟ فوالله إنّه ليَعْمد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال : والله لو لم أعطِه إلاّ على تأليفه لأَعطيته ، وأَمر له بعشرة آلاف درهم .

[نقد رجل بالمربد له]

أَخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : حدَّثنا إسحاق الموصليّ ، عن الأَصمعيّ ، قال : قال رجل : رأيت ذا الرُّمَّة بمِربَد البصرة وعليه جماعةُ مجتمعة وهو قائم ، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعُه تجري على لحيته :

مـا بـالُ عَيْنِك منها الماء يَنْسَكِبُ

فلمّا انتهى إلى قوله[1] : [من البسيط]

تُصْغي إذا شَدَّها بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما اسْتَوى في غَرْزِها تَثِبُ

قلتُ : يا أخا بني تميم ، ما هكذا قال عمُّك ، قال : وأيّ أعمامي يرحمك الله ؟ قلتُ : الراعي ، قال : وما قال ؟ قال : قلت : قوله[2] : [من المتقارب]

ولا تُعْجل المـرءَ قبـل الوُرو ك وَهْـيَ بركبتـه أَبْصَـرُ[3]
وهـيَّ إذا قـام في غَرْزِها كمثـل السفينةِ إذ تُوقَـرُ[4]
ومُصْغِيَـة خَدَّهـا بـالزّما مِ فالرأس منهـا لَـهُ أَصعَرُ[5]
حتـى إذا مـا اسْتَوى طبَّقَتْ كما طَبَّـقَ المِسحَـلُ الأَغْبَرُ[6]

قال : فأَرتج عليه ساعة ، ثم قال : إنّه نعت ناقةَ مَلِكٍ ونَعتُّ ناقة سُوقةٍ . فخرج منها على رؤوس الناس .

[أخبار خرقاء وتشبيب ذي الرُّمَّة بها]

فأَمّا السبَبُ بين ذي الرُّمَّة وخَرقاء فقد اختلف فيه الرّواة ؛ فقيل : إنّه كانَ يَهْواها ، وقيل : بل كاد بها ميّة ، وقيل : بل كانت كَحَّالة فداوَت عينه فشبّب بها .

---

1 ديوانه : 9 .

2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 103 .

3 الشعر والشعراء (445) :

ولا تعجل المرء قبل البرو ك وهـي بركبتهـا أبصر

4 إذ توقر في الديوان والشعر والشعراء : أو أُوقر .

5 الشعر والشعراء : وواضعة . . . للزمام .

6 المسحل : الحمار الوحشي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، عن أبيه : أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرُّمَّة غَيرةً عليها ، فامتنعت ، فتوعّدها بالقتل ، فسبَّته فغضب ، وشبَّب بخرقاء العامريّة ؛ يَكيدُ ميّة بذلك ، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات .

أخبرني حبيب بن نصر ، عن ابن شبّة ، عن العُتبيّ ، عن هارون بن عتبة قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء العامريّة بغير هوًى ؛ وإنّما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنَه من رمَد كان بها فزال ، فقال لها : ما تحبّين حتى أعطيك ؟ فقالت : عشرة أبيات تشبّب بي ؛ ليرغبَ النّاس فيّ إذا سمعوا أنَّ فيّ بقيّة للتشبيب ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان ذو الرُّمَّة شبَّب بخَرْقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة ، وكانت تَحُلُّ فَلْجاً ، ويمرّ بها الحاجّ ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهادِيهم ، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ، فحدَّثني مَنْ رآهما ، فلم تكن فاطمة مثلها ، وكانت تقول : أنا مَنْسَكٌ من مَناسِك الحجّ ؛ لقول ذي الرُّمَّة فيها[1] : [من الوافر]

تمـامُ الحـجِّ أَنْ تقِفَ المطايا ... على خَرْقـاءَ واضِعَـة اللِّثامِ

قـال ابن سلاّم في خبره : وأرسلت خرقـاء إلى القُحَيْف العقيليّ تسأله أن يشبب بها فقال : [من الطويل]

صوت

لقد أرسلتْ خرقاءُ نَحوِي جَرِيّها ... لتجعَلني خَرْقاءُ فِيمَـن أَضلَّتِ[2]

وخَرقــاءُ لا تــزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلَّتِ[3]

حدَّثني حبيبُ بن نصر ، عن الزُّبير ، عن موهوب بن رشيد ، عَمَّن حدَّثه ، قال : نزل ركب بأبي خرقاء العامِريَّة ، فأمر لهم بلبن فُسقُوه ، وقصَّر عن شابّ منهم ، فأعطته خرقاءُ صَبوحَها وهي لا تعرِفهُ ، فشربه ، ومضَوا فركبوا . فقال لها أبوها : أتعرفين الرجلَ الذي سقيتِه صَبوحَك ؟ قالت : لا والله ؛ قال : هو ذو الرُّمَّة القائل فيكِ الأقاويل . فوضعت يدَها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه وابُؤساه ! ودخلت بيتها ، فما رآها أبوها ثلاثاً .

حدَّثني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قتيبة قال : قال الضبّيّ : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ ، فقال لي يوماً : هل لكَ إلى أن أُورِيَك خَرْقاءَ صاحبة ذي الرُّمَّة ؟

---

1 ديوانه : 673 .

2 جريها : رسولها . أضلت : فتنت .

3 جلّ الرجل : كبر واحتنك وأسنّ .

فقلت : إن فعلتَ فقد بررت . فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعَدَل بي عن الطريق قَدْر ميل ، ثم أتينا أبيات شَعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة بها قوّة ، فسلَّمَتْ وجلسَتْ ، فتحدَّثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججتَ قطّ ؟ قلت : غير مرّة . قالت : فما منعك من زِيارتي ؟ أما علمت أنّي منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعتَ قول ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمامُ الحجِّ أن تقِفَ المطايا   على خَرْقــاءَ واضعةَ اللّثامِ

أخبرني وكيع ، عن أبي أيّوب المدائنيّ عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء ولها ثمانون سنة .

قال هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم ، عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه قال : رأيتُ خرقاءَ بالبصرةَ وقد ذهبت أسنانُها ، وإنّ في ديباجة وجهها لبقيّة ، فقلت : أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرُّمَّة ، فقالت : اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه ، فقال : أسفِرن ، فسفرن غَيري ، فقال : لئن لم تُسْفِري لأفضحَنّك ، فسفرتُ ، فلم يزل يقول حتى أزبد ، ثم لم أرَه بعد ذلك .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني موهوب بن رشيد ، قال : حدَّثني جدِّي ، قال : كنت مع خرقاء ذي الرُّمَّة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأُمِر لهم بلبن فسُقوه ، وقصُر اللبن عن شاب منهم ، فأمرت له خرقاء بغَبوقها ، فلمّا أن رَحل عنهم الركب قال لها أبوها : يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم ؟ قالت : لا والله ما أعرفه ، قال : ذاك ذو الرُّمَّة ، فوضَعت يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ! ودخلت خدرها .

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ ، قال : حدَّثنا أبو الشِّبل المعديّ قال : كانت خَرْقاء البَكّائيّة أصبحَ من القَبَس ، وبقيَتْ بقاءً طويلاً حتى شَبَّب بها القُحَيف العقيليّ .

أخبرنا أبو الحسن الأَسديّ ، عن أحمد بن سليمان ، عن أبي شَيْخ ، عن أبيه ، عن عليّ بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زُفَر بن الهذيل ، قال : خرجتُ أُريدُ الحجّ ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء ، فأتيتُها ، فإذا امرأة جَزْلة ، عندها سماطان[1] من الأعراب تحدّثُهم وتُناشدهم . فسلَّمتُ فردّتْ ، ونسبتني ، فانتسبتُ لها وهي تُنْزِلني ، حتى انتسبت إلى أبي ، فقالت : حسبك أكرمتَ ما شئت ، ما اسمك ؟ قلت : صباح ، وأبو مَن ؟ قلت : أبو المغلِّس ، قالت : أخذت أوّل الليل وآخره ، قال : فما كان لي هِمَّة إلاّ الذّهاب عنها .

---

1 السماط : الصف .

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ التميميّ ، وما رأيتُ تميمياً أعلم منه ، قال : حججتُ فلمّا صرت بمرَّان منصرفاً ، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدتُه ، فقال لي : إليك عنّي ، فإنّي مشغول عنك . وألححتُ عليه فقال : أرشدك إلى بعض ما تحبّ ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلقاكَ فإن فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرُّمَّة ؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد ، فقالت : ادْنُه ! فدنوت ، فقالت : إنّك لحضريّ ، فمَن أنت ؟ قلت : من بني تميم ، وأنا أحسب أنّها لا معرفةَ لها بالنّاس ، قالت : مِن أيّ تميم ، فأعلمتُها ، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي ، فقالت : الحجّاجُ بن عُمَير بن يزيد ؟ قلت : نعم ، قالت : رحم الله أبا المثنّى ! قد كنا نرجو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد ، قلت : نعم ، فعاجَلَتْه المنيَّةُ شابّاً . قالت : حيَّاك الله يا بنيّ وقرَّبَك ، مِنْ أين أقبلت ؟ قلتُ : من الحجّ . قالت : فما لكَ لم تمرّ بي وأنا أحدُ مناسك الحجّ ؟ إنَّ حجَّك ناقص ، فأقِم حتى تحجّ أو تكفِّر بعِتْق . قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعتَ قول غَيْلان عمِّك : [من الوافر]

تمامُ الحـجِّ أَنْ تقِفَ المطايـا على خَرْقـاءَ واضعـةَ اللِّثامِ

قال : وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنّها قائمةٌ من طولها ، بَيْضاءُ شهلاءُ ، فخمة الوجه . قال : فسألتُها عن سنّها ، فقالت : لا أدري إلاّ أنّي كنتُ أذكر شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن حين قتل الحُسين عليه السلام ، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسَّمها في قومه ؛ قالت : وكان أبي قد أدرك الجاهليّة وحمل فيها حَمالات . قال : ولما أنشدتني خرقاء بَيتَ ذي الرُّمَّة فيها قلت : هيهات يا عمّة ، قد ذهب ذلك منك ، قالت : لا تقل يا بنيّ ، أَما سمعتَ قولُ قُحَيف فيِّ : [من الطويل]

وخَرْقـاء لا تـزدادُ إلاَّ ملاحـةً ولـو عُمِّرت تعميرَ نُوح وجلَّتِ

ثم قالت : رحم الله ذا الرُّمَّة ؛ فقد كان رَقيقَ البشرة ، عَذْبَ المنطِق ، حَسَن الوصف ، مُقاربَ الرَّصف ، عفيف الطَّرْف ، فقلت لها : لقد أُحسنت الوصف ، فقالت : هيهات أن يدركه وصْفٌ ، رحمه الله ، ورحم مَنْ سمّاه اسمه . فقلت : ومَن سمّاه ؟ قالت : سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم ، ثم أَنشدتني لنفسها في ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

لقـد أُصبحتَ في فَرْعـيْ مَعَدٍّ مكانَ النّجـم في فَلَـك السماء
إذا ذُكـرت محاسنُـه تـدرَّت بِحـارُ الجود مـن نحـو السماء
حُصَينٌ شادَ باسمِـك غيرَ شَكٍّ فَأَنْـتَ غِيـاثُ مَحْـلٍ بالفِناء

إذا ضنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ تَشُجُّ بحارُ جُودِك بارتواء
لقد نَضِرت باسمِك أرضُ قَحطٍ كما مُطِرَتْ عديٌّ بالثَّراء

فقلت : أحسنتِ يا خرقاء ، فهل سمع ذلك منك ذو الرُّمَّة ؟ قالت : إي وربِّي . قلت : فماذا قال ؟ قالت : قال : شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذِكرها . فقالت : أُثقلنا حقُّها ، ثم قالت : اللهمّ غَفْراً ، هذا في اللفظ ، ونحتاج إلى العمل .

أخبرني جحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، عن خيثم بن حِجِّيَّة العِجليّ ، قال : حدَّثني رجل من بني النجّار ، قال : خرجتُ أمشي في ناحية البادية ، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت أُكلِّمُها فنادتني عجوز من ناحية الخِباء : ما يقيمك على هذا الغزال النَّجديّ ؟ فوالله ما تنالُ خَيْراً منه ولا ينفعك . قال : وتقول هي : دَعيه يا أُمّاه يكن كما قال ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

وإن لم يكن إلاّ مُعَرَّسُ ساعةٍ قليلاً فإنِّي نافعٌ لي قَلِيلُها

فسألتُ عنهما ، فقيل لي : العجوز خرقاء ذي الرُّمَّة والفتاة بِنتها .

[وفاة ذي الرُّمَّة]

وتوفّي ذو الرُّمَّة في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله أربعون سنة . وقد اختلفت الرواةُ في سبب وفاته .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكّريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه بلغ أربعين سنة ، وفيها توفّي ، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ، ودفن بحُزْوَى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني ابن أبي عديّ قال : قال ذو الرُّمَّة : بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين سنة .

قال ابنُ سلاّم : وحدّثني أبو الغرّاف أنّه مات وهو يريد هشاماً ، وقال في طريقه في ذلك[2] : [من الطويل]

بلادٌ بها أُهلُونَ لستُ ابْنَ أَهلها وأُخْرى بها أُهلون ليس بها أَهلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك : حدَّثني القاسم بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثني جبرُ بن رِياط قال : أنشد ذو الرُّمَّة الناس شعراً له ، وصف فيه الفلاة بالثَّعلبيّة[3] ؛ فقال له

1 ديوان ذي الرّمّة : 550 وفيه : . . . إلا تعلل ساعة .

2 ديوانه : 458 ورواية البيت فيه :

بلاد بها أهلون ليسوا بأهلها وأخرى من البلدان ليس بها أهل

3 الثعلبية : منازل على طريق مكة .

حَلْبَسٌ الأَسديّ : إنّك لتنعتُ الفلاةَ نَعْتاً لا تكون مَنِيَّتُكَ إلاّ بها .

قال : وصدر ذو الرُّمَّة على أحد جَفْرَي بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة ، فلمّا أشرف على البصرة قال[1] : [من الطويل]

وإنّي لعالِيهـا وإنّي لخائفٌ ... لِما قـال يَـوْمَ الثَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ

قال : ويقال إنّ هذا آخر شعر قاله . فلمّا توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفَرَتْ منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابُه وطعامُه ، فلمّا دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنّه قال عند ذلك[2] : [من الطويل]

أَلا أَبلغِ الفِتيان عنّـي رِسالةً ... أَهِينوا المَطايا هُـنَّ أَهْلُ هَوانِ

فقـد تركَتْني صَيْدَحٌ بمَضلَّةٍ ... لساني مُلْتاثٌ مِـنَ الطَّلَوانِ[3]

قال هارون : وأخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصّة ، وذكر أنّ ناقته وردت على أهله في مياههم ، فركبها أخوه ، وقصّ أثره ، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن الرّياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الوَجيه ، قال : دخلتُ على ذي الرُّمَّة وهو يجود بنفسه ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أَجِدُني والله أجد ما لا أجد أيّام أزعم أنّي أجد ما لم أجد حيث أقول[4] : [من الطويل]

كأنّي غداة الزُّرْق يـا مَيُّ مُدْنَفٌ ... يَجودُ بنَفْسٍ قـد أَحَـمَّ حِمامُها[5]

حِـذارَ اجْتِـذامِ البَيْنِ أَقرانَ نِيّة ... مُصابٌ ولوعاتُ الفؤاد انجذامُها[6]

قال : وكان آخر ما قاله[7] : [من البسيط]

يا ربّ قد أشرفَتْ نَفْسي وقد عَلِمَتْ ... عِلْمـاً يقينـاً لقـد أَحصَيْـتَ آثاري

---

1 ديوانه : 668 .

2 ديوانه : 675 .

3 الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

4 ديوانه : 637 .

5 الديوان : أجم حمامها .

6 الديوان :

حـذار اجتـذام البـين أقران طيّة ... مصيبٍ لوقرات الفؤاد انجذامها

الطية : النية ؛ والأقران : الحبال ؛ والوقر : الكسر ؛ وانجذامها : انقطاعها .

7 ديوانه : 667 .

يا مُخرجَ الرّوح من جسمي إذا احْتُضِرَت وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنـــي عن النَّارِ

قال أبو الوجيه : وكانت مَنِيَّتُه هذه في الجُدَرِيّ ، وفي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

أَلَمْ يأْتِها أَنّي تلبّستُ بعدها مُفَوَّفَــةً صَوَّاغُهــا غيرُ أَخرقِ

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الوهّاب بن إبراهيم الأَزديُّ ، قال : حدَّثني جَهْم بن مَسْعَدة ، قال : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ ، عن أبيه ، قال : وردت حَجْراً وذو الرُّمَّة به ، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيَّتُه ، وكرهتُ أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته ، وكنت أتعهّده ، وأعوده في اليوم واليومين ؛ فأتيته يوماً وقد ثَقُل ، فقلت : يا غيلان ، كيف تَجِدُك ؟ فقال : أجِدني والله يا أبا المثنّى اليوم في الموت ، لا غداة أقول : [من الطويل]

كأنّي غداة الزُّرق يا ميّ مدنَفٌ يكيد بِنَفْسٍ قــد أحمّ حِمامُها

فأنا والله الغداة في ذلك ، لا تلك الغداة .

قال هارون بن الزيّات : حدَّثني موسى بن عيسى الجعفريّ ، قال : أخبرني أبي قال : أخبرني رجل من بني تميم ، قال : كانت ميتة ذي الرُّمَّة أنّه اشتكى النَّوْطة[2] فوَجِعَها دهراً ، فقال في ذلك[3] : [من الطويل]

أَلِفتُ كلابَ الحــيِّ حتى عَرَفْنَني ومُدَّتْ نِساجُ العنكبوت على رَحْلي[4]

قال : ثم قال لمسعود أخيه : يا مسعود ، قد أجدني تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال : نعم ، فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوّده ، وواعده مكاناً ، وركب ذو الرُّمَّة ناقته فَقَمصت به ، وكانت قد أُعفِيت من الركوب ، وانفجرت النَّوْطة التي كانت به . قال : وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً ، وإنّ العلّة التي كانت بي انفجرت . فأرسل إلى أهله فَصَلَّوا عليه ، ودفن برأس حُزْوى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيّات ، عن محمد بن عليّ بن المغيرة ، عن أبيه : عن أبي عبيدة ، عن المنتجع بن نبهان قال : لما احتُضِر ذو الرُّمَّة قال : إنّي لست ممَّن يدفن في الغموض والوِهاد . قالوا : فكيف نصنع بك ونحن في

1 ديوانه : 670 .

2 النوطة : ورم في الصدر أو غدة في البطن .

3 ديوانه : 491 .

4 الديوان : أتتني كلاب . . . . ومدت نسوج

رمال الدّهناء ؟ قال : فأين أنتم من كُثبان حُزْوى ؟ ، قال : وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ، قالوا : فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدَرُ والأعوادُ ؟ قال : فصلّينا عليه في بطن الماء ، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش ، وهي أقوى على الصُّمود في الرمل من الإبل . فجعلوا قبره هناك وزبَّروه[1] بذلك الشجر والمدر ، ودلُّوه في قبره ، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء ، وأنت بالدَّوّ على مسيرة ثلاث .

قال هارون : وحدَّثني محمد بن صالح العدويّ ، قال : ذكر أبو عمرو المراديّ : إنّ قبر ذي الرُّمَّة بأطراف عَناق من وسط الدَّهناء مقابل الأواعس ، وهي أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة ، صريمة النِّعام ، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب .

قال هارون : وحدَّثني هارون بن مسلم ، عن الزِّياديّ ، عن العلاء بن بُرْد ، قال : ما كان شيءٌ أحبَّ إلى ذي الرُّمَّة إذا ورد ماء من أن يَطْوِيَ ولا يَسْقِيَ ، فأخبرني مخبر أنّه مرّ بالجَفْر وقد جَهَده العطش ، قال : فسمعته يقول : [من البسيط]

يا مخرجَ الرّوح من جِسْمي إذا احتُضِرتْ ... وفارجَ الكرْب زَحْزِحني عن النّارِ

ثم قضى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، عن عيسى بن عمر ، قال : كان ذو الرُّمَّة ينشد الشعر ، فإذا فرغ قال : والله لأكسعنَّك بشيءٍ ليس في حسابك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، ووَكيعٌ ، عن أبي أيّوب ، قال : حدَّثني أبو معاوية الغلابيّ ، قال : كان ذو الرُّمَّة حسنَ الصلاة ، حسنَ الخشوع ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : إنّ العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع .

[رثاء مسعود له]

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال : حدَّثني عبد الرحمن ، عن عمّه ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كان مسعود أخو ذي الرُّمَّة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً ، وقد بلغ قريباً من منزلي : أنا الذي أقول في أخي ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

إلى اللهِ أشكو لا إلى الناسِ أنَّني ... ولَيْلى كلانا مُوجَعٌ مـات وافِدُهْ

فقلتُ له : مَن ليلى ؟ فقال : بنت أخي ذي الرُّمَّة .

---

1 زبر البئر : قوّى جوانبها .

[375] ـ ذكر خبر إبراهيم

[في هذه الأصوات الماخوريّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة ، عن إسحاقَ الموصليّ ، عن أبيه ، قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً ، فعَسَر ذلك عليّ ، فأُريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني ، فقال لي : يا إبراهيم ، أوقد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب به ؟ قلت : نعم . قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمي يا دارَ ميّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائكِ القَطْرُ

قال : فانتبهتُ فرحاً بالشعر ؛ فدعوت مَن ضرب عليّ فغنيتُه ، فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلمّا عملت هذا الغناء في شعر ذي الرُّمَّة نبّهت عليه وعلى شعره ، فصنعت فيه ألحاناً ماخوريّة منها[2] : [من الطويل]

أَمَنْزِلَتـي مَـيٍّ سلامٌ عليكمـا هل الأزمُنِ اللاّئي مَضَيْنَ رَواجعُ !

وغنَّيت بها الهادي فاستحسنها ، وكاد يطير فرحاً ، وأمر لي لكلّ صوت بألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

أَلا يا اسلَمي يا دار ميٍّ على البِلى ولا زال مُنهـلاً بجرعائك القَطْرُ
ولَـو لم تكـوني غير شامٍ بقفرةٍ تجـرُّ بهـا الأذيالَ صيفِيَّةٌ كُدرُ[3]

عروضه من الطويل . وقوله : يا اسلمي هاهنا نداء ؛ كأنّه قال : يا دار ميّ اسلمي ، ويا هذه اسلمي ، يدعو لها بالسلامة . ومثله قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَلا يسجدوا لله الذي يُخرجُ الخَبْءَ في السّموات والأرض﴾ ، فسّره أهلُ اللغة هكذا ، كأنّه قال : يا قوم اسجدوا لله . وميّ ترخيم ميّة إلاّ أنّه أقامه هاهنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فَنوَّنَه . وقوله : على البلى ، أي اسلمي وإن كنتِ قد بَلِيت . والمنهلُّ : الجاري ، يقال : انّهلّ المطرُ انهلالاً ، إذا سال . والجرعاء والأجرع من

---

1 ديوانه : 206 .

2 ديوانه : 332 .

3 شام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض .

الرمل : الكثير الممتدّ . والشام : موضع يخالف لونَ الأرض ، وهو جمع ، واحدته شامة . والقفر : ما لم يكن فيه نبات ولا ماء ، تجرّ بها الأذيال صيفيّة يعني الرياح الصيفيّة الحارة . وأذيالها : مآخيرها التي تُسفي التراب على وجه الأرض ، شبّهها بذيل المرأة ، وعنى بها أوائلَها . والكُدْر : التي فيها الغبرة من القتام والفِجاج ؛ فهي تُعفّي الآثار وتدفنها . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

أَمَنزلتَــيْ مــيٍّ سَلامٌ عليكمــا ... هــل الأَزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ !

وهل يرجعُ التَّسليمَ أو يكشف العَمى ... ثـلاثُ الأثافي والدِّيــارُ البلاقِعُ ![1]

توهمتُهــا يومــاً فقلــتُ لصاحبـي ... وليس لهــا إلاّ الظبــاءُ الخواضعُ

ومَوْشيَّـةٌ سُحْــمُ الصّياصي كأنّها ... مُجَلَّلَــةٌ حُــوٌّ عليهــا البــراقِعُ

عروضه من الطويل . غنّاه إبراهيم ماخوريّاً بالوسطى . والأزمن والأزمان جمع زمان . والعمى : الجهالة . والأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصبّ عليها القِدْر ، واحدتها أثفيَّة . والخواضع من الظباء : اللاتي قد طأطأت رؤوسها . والموشيّة : يعني البقر . والصَّياصي : القرون واحدتها صيصية . والمجلَّلَة : التي كأنّ عليها جِلالاً سوداً . والحُوَّة : حمرة في سواد . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله[2] : [من الطويل]

صوت

قِفِ العَنْسَ نَنظرْ نظرةً في ديارها ... وهل ذاك من داء الصبابة نافِعُ ![3]

فقــال : أَمــا تَغْشى لِميَّــةَ منزلاً ... من الأَرض إلاّ قُلتَ : هل أَنا رابعُ[4]

وقــلَّ لأطــلالٍ لِمَــيٍّ تحيَّــةٌ ... تُحيَّــا بهــا أَو أَن تُرشّ المدامعُ

العَنْس : الناقة . والرابع : المقيم . وقلّ لأطلال ، أي ما أقلّ لهذه الأطلال ممّا أفعله . وتُرِش المدامع ، أي تكثر نضحَها الدموعَ . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً .

وذكر ابن الزيّات ، عن محمد بن صالح العذريّ ، عن الحرمازيّ ، قال : مرَّ الفرزدق على ذي الرُّمَّة وهو ينشد : [من الطويل]

أَمَنزلتَــيْ مــيٍّ سَلامٌ عليكمــا

---

1 الديوان : والرسوم البلاقع .

2 ديوان : 333 .

3 العنس في الديوان : العيس .

4 الديوان : هل أنت رابع .

فلمّا فرغ قال له : يا أبا فراس ، كيف ترى ؟ قال : أراك شاعراً . قال : فما أقعدني عن غاية الشعراء ؟ قال : بكاؤك على الدِّمن ، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل .

[زيارة لميّ]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ ، وحبيب المهلَّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق الموصليّ ، عن مسعود بن قند ، قال : تذاكرنا ذا الرُّمَّة يوماً فقال عصمة بن مالك : إيّاي فاسألوا عنه . قال : كان حُلْوَ العينين ، حسن النغمة ، إذا حدَّث لم تسأم حديثه ، وإذا أنشدك بَرْبَر وجَشَّ صوته ؛ جمعني وإيّاه مَرْبَع مرَّة ، فقال لي : هيّا عِصْمة ، إنّ ميّة من مِنْقر ، ومِنْقر أخبث حيّ وأقفاه لأثرٍ ، وأثبته في نظر ، وأعلمه بشرّ ، وقد عرفوا آثار إبلي ؛ فهل عندك من ناقة نَزْدارُ عليها ميّة ؟ قلت : إي والله عندي الجؤذَر بنت يمانيّة الجدَلِيّ . قال : فعليَّ بها . فأتيته بها ، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة ، والقومُ خُلوف والنساء في الرحال ، فلمّا رأين ذا الرُّمَّة اجتمعن إلى ميّ ، وأنخنا قريباً وأتيناهنَّ ، فجلسنا إليهنَّ ، فقالت ظريفة منهنَّ : أنشِدْنا يا ذا الرُّمَّة . فقال لي : أنشِدْهنَّ يا عصمة . فأنشدتُ قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

نظرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنّها ذُرا النَّخْل أو أثلٌ تميل ذوائبُهْ
فأسبلت العينانِ والقلبُ كاتمٌ بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّت عليه سواكبُهْ[2]
بكاء فتًى خاف الفِراقَ ولم تُجِلْ جوائلَها أسرارُه ومعاتبُهْ[3]

قالت الظريفة : فالآن فلتُجِلْ ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله :

وقد حلفتْ بالله ميّة ما الذي أحدّثها إلاّ الذي أنا كاذبُهْ
إذاً فرماني الله من حيثُ لا أرى ولا زال في أرضي عدوٌّ أُحاربُهْ

فقالت ميّة : ويحك يا ذا الرُّمَّة ! خَفِ الله وعواقبَه . ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[4] :

إذا سَرَحَتْ من حبّ ميٍّ سوارحٌ على القلب أبَّتْه جميعاً عوازبُهْ

فقالت الظريفة . قتلتِه قتلك الله ! فقالت ميّة : ما أصحَّه وهنيئاً له ! فتنفَّس ذو الرُّمَّة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير بلحيتي ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[5] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 39 .
2 الديوان : فأبديت من عيني والصدر كاتم .
3 الديوان : هوى آلف جاء الفراق فلم تجل .
4 لم يرِد هذا البيت في القصيدة .
5 ديوانه : 42 .

إذا نازعْتـك القولَ ميّـةُ أو بَدا — لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالِبُهْ
فما شئتَ مـن خدٍّ أَسيلٍ ومنطقٍ — رخيمٍ ومـن خَلْقٍ تَعلّل جادِبُهْ[1]

فقالت الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتُنوزِع القولُ ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها ميّة : قاتلك الله ! فماذا تأتين به ! فتضاحكت الظريفة وقالت : إنّ لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما . فقامت وقُمن معها ، وقمت فخرجت ، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما ، فوالله ما رأيتُه تحرّك من مكانه الذي خلَّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال . فأتيته فقلت : انهض بنا فقد ثاب النوم فودَّعها فركب وردفته وانصرفنا . ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

إذا هبَّتِ الأَرْواحُ من أيِّ جانبٍ — بـه أهلُ مـيٍّ هاج قلبي هُبُوبُها[3]
هوًى تذرِف العينانِ منـه وإنّما — هوى كلِّ نفس حيثُ كان حبيبُها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهِشاميّ .

صوت[4]

[من الكامل]

إنّـى تُذكّـرني الزُّبيرَ حمامـةٌ — تدعُـو بمجمعِ نخلتـين هَديلا
أَفَتى النَّدى وفَتـى الطِّعان قتلتمُ — وفَتـى الرِّيـاح إذا تَهُـبّ بَلِيلا[5]
لـو كنتَ حُرّاً يا ابن قينِ مجاشعٍ — شيَّعْتَ ضَيْفَك فَرْسَخاً أو مِيلا

وفي أخرى : فرسخين وميلا .

قالـت قريشٌ : مـا أذلَّ مُجاشعاً — جاراً وأَكـرم ذا القتيـل قتيلا !

الشعر لجرير ، يهجو الفرزدق ويعيّره بقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوّام يوم الجمل ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

1 الديوان : فيا لك من خدّ أسيل . .
2 ديوانه : 66 .
3 الديوان : . . . . من نحو جانب . . . . هاج شوقي . . . .
4 ديوان جرير (صادر) : 364 .
5 الديوان :
أفتى الندى وفتى الطعان غررتم — وفتـى الشمال إذا تهب بليـلا

[376] ـ ذكر مقتل الزُّبير وخبره[1]

[بين الزُّبير وطلحة وعلي]

حدَّثنا أَحمد بن عُبَيد اللهِ بن عمّار ، وأَحمدُ بن عبد العزيز ، عن ابن شبَّة قالا : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، عن قتادَة قال : سار أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[2] يريد طلحةَ والزُّبير وعائشةَ ، وصاروا من الفُرْضة يريدونه ، فالتَقَوْا عند قصر عُبَيْد اللهِ بن زياد يومَ الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين ، فلمّا تراءى الجَمْعان خرج الزُّبيرُ على فرسٍ وعليه سلاحُه ، فقيل لعليٍّ صلوات الله عليه : هذا الزُّبير ، فقال : أمَا واللهِ إنه أحرَى الرجلين إن ذُكِّرَ باللهِ أن يذكُره . وخرج طلحةُ ، وخرج عليٌّ عليه السلام إليهما ، فدَنا منهما حتى اختلفَت أَعناقُ دوابِّهم ، فقال لهما : لعمري لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالاً ، إن كنتُما أعددتما عند اللهِ عُذراً فاتّقيا اللهَ ولا تَكُونا ﴿كالَّتِي نَقَضَت غَزْلَها من بعد قُوَّةٍ أنْكاثاً﴾ [النحل : 92] ألم أَكُن أخاكُما في دينكما تحرِّمانِ دمي وأُحرِّم دماءَكما ؟ فهلْ من حدَثٍ أَحَلَّ لكما دمي ؟ فقال له طلحة : أَلَّبتَ الناسَ على عثمان . فقال : يا طلحةُ ، أتطلُبني بدم عثمان ؟ فلعَن اللهُ قَتَلَة عثمان ! يا زُبير ، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله ﷺ وآله في بني غَنْم ، فنظر إليَّ وضحك ، وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لا يدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوَه ، فقال : مَهْ ليس بمزهوٍّ ، ولتقاتلنّه وأنتَ له ظالم ؟ فقال : اللهمَّ نعم ، ولو ذُكِّرتُ ما سِرتُ مسيري هذا ، والله لا أُقاتلك أبداً . وانصرف عليٌّ صلواتُ الله عليه ، إلى أصحابه وقال : أمّا الزُّبير فقد أعطى اللهَ عهداً ألاّ يُقاتلَني .

قال : ورجع الزُّبير إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاّ وأَنا أعرِف فيه أمرِي غيرَ موطني هذا ؛ قالت : وما تُريد أن تصنع ؟ قال : أدعُهم وأذهب . فقال له ابنه عبدُ الله : أجمعْتَ بين هذين الغارَين[3] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب

1 مقتل الزبيري بن العوام في كتب التاريخ كالمسعودي والطبري (حوادث سنة 36) وطبقات ابن سعد 3 : 110–113 وصفة الصفوة 1 : 132 وحلية الأولياء 1 : 89 وتهذيب ابن عساكر 5 : 355 والعقد 4 : 322–325 وخزانة البغدادي 4 : 218–220 وأخبار عاتكة بنت زيد في الكتب التي تحدثت عن مقتل الزُّبير وفي الاستيعاب والإصابة وخزانة البغدادي 10 : 378–381 والعيني 2 : 278 . وانظر في الحالين أعلام الزركلي .

2 الزاوية : موضع قرب البصرة .

3 الغار : الجيش الكثير .

وتَتْرُكَهم ؟ أَخَشِيتَ رايات ابن أبي طالب وعلمتَ أَنّها تحملها فِتيةٌ أَنجاد ؟ فأَحفظه ، فقال : إنّي حَلفتُ ألاّ أُقاتِله . قال : كفِّرْ عن يمينِك وقاتِلْه . فدعا غلاماً له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ : [من الرجز]

لم أَرَ كاليوم أَخـا إخوانِ أَعجَبَ مـن مُكَفِّر الأَيْمانِ

بالعِتْـقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمـنِ

وقال بعضُ شُعرائِهم : [من الرجز]

يُعتِق مَكْحولاً لصَوْنِ دينِهْ كفّـارةً للهِ عـن يمينِهْ

والنَّكْـثُ قـد لاح على جَبِينِهْ

[مقتل الزُّبير]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة عن عليّ بن محمد النوفليّ عن الهذليّ ، عن قَتادة ، قال : وقف الزُّبير على مسجد بني مُجاشِع فسأل عن عِياضِ بن حمّاد ، فقال له النُّعمان بن زمام : هو بوادي السِّباع فمضى يريده .

حدَّثني ابن عمّار والجوهريّ ، عن عُمر ، قال : حدَّثني المدائنيّ ، عن أَبي مِخْنَف ، عمّن حدَّثه عن الشعبيّ ، قال : خرج النُّعمان مع الزُّبير حتى بلغ النَّجيب ، ثم رجع .

قال : وحدَّثنا عن مسْلَمة بن مُحارب ، عن عَوف ، وعن أَبي اليقظان ، قالا : مرَّ الزُّبير ببني حمّاد فدعَوْه إلى أَنفسهم فقال : اكفُوني خيرَكم وشرَّكم ، فوالله ما كَفَوْه خيرَهم وشرَّهم . ومضى ابن فَرْتَنى إلى الأَحنف وهو بعِرْق سُوَيقة ، فقال : هذا الزُّبير قد مَرَّ ؛ فقال الأَحنف : ما أصنع بـه ؟ جمع بين غارَيْـن من المسلمين ، فقتل بعضهم بعضاً ، ثم مرَّ يريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرْمُوز وفُضالةُ بن حابس ونُفَيع بن كعب أَحدُ بني عوف ، ويقال نُفَيع بن عُمَير ، فلحقوه بالعِرق ، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عِياض ، قتله عَمرو بن جُرْمُوز .

حدَّثني أَحمد بن عيسى بن أَبي موسى العِجْليُّ الكوفيّ ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ ، والعبّاس بن عليّ بن العبّاس وأَبو عبيد الصَّيْرفيّ ، قالوا : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف العطّار ، قال : حدَّثنا عمرو بن عبد الغفّار ، عن سفيان الثوريّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أَبيه ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، قال : حدَّثني ابنُ عبّاس قال : قال لي عليّ صلوات الله عليه : ائتِ الزُّبير فقل له : يقولُ لك عليُّ بن أَبي طالب نشدتُك الله ، أَلستَ قد بايَعتَني طائعاً غيرَ مُكْرَه . فما الذي أَحدثتُ فاستحللتَ به قِتالي ؟

وقال أَحمد بن يحيى في حديثه : قل لهما : إنّ أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول : هل

نَقِمْتُما عليَّ جَوْراً في حكم أو استئثاراً بفيْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً منهما ، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع .

وقال محمد بن خلف في خبره : فقال الزُّبير : مع الخوف شدَّة المطامع ؛ فأَتيتُ عليّاً عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزُّبير ، فدعا بالبَغْلة فركِبَها وركِبْتُ معه ، فدَنَوا حتى اختلفت أعناقُ دابَّتيْهما ، فسمِعْتُ عليّاً صلوات الله عليه ، يقول : نشدتُك الله يا زُبيرُ ، أتعلم أنّي كنتُ أنا وأنتَ في سقيفة بني فلان تُعالجني وأُعالجك فمرَّ بي ، يعني النبيَّ ﷺ ، فقال : كأَنَّك تُحِبُّه ! فقلت : وما يمنَعُني ! قال : أما إنّه ليُقاتِلَنَّك وهو لك ظالم . فقال الزُّبير : اللهمّ نعم ، ذكّرتَني ما نسيت ، وولَّى راجعاً . ونادى منادي عليّ : ألا لا تقاتِلوا القومَ حتى يستشهِدوا منكم رجلاً . فما لبث أن أُتِي برجلٍ يتشحَّط في دمِه ، فقال عليٌّ عليه السلام : اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد . وأَمر الناسَ فشدُّوا عليهم ، وأَمر الصُّرَّاخَ فصرخوا : لا تُذَفِّفوا[1] على جريح ولا تَتْبعوا مُدبِراً ، ولا تَقتُلوا أسيراً .

حدّثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن أَيّوب المخزوميّ ، عن سعيد بن محمد الجرميّ ، عن أبي الأحوص ، عن عاصم بن بهدلةَ ، عن زِرّ بن حُبيش ، ولا أحسبه إلاّ قال : كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام ، فأتاه آتٍ فقال : هذا ابن جُرموز قاتلُ الزُّبير بن العوّام يستأذن على البابِ ، قال : ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيَّة النَّار ، إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : «إنّ لكلِّ نبيٍّ حوارِيَّ وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبير» .

أخبرني الطُّوسيّ وحِرْمِيّ ، عن الزُّبير ، عن عليّ بن صالح ، عن سالم بن عبد الله بن عروة ، عن أبيه : أنّ عمراً أو عُويْمر بن جُرْمُوز قاتل الزُّبير أتى مُصْعَباً حتى وضع يده في يده ، فقذفه في السجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزُّبير يذكر له أمره ، فكتب إليه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أَظننتَ أنّي أقتل أعرابيّاً من بني تميم بالزُّبير ! خَلِّ سبيلَه ، فخلاَّه .

[عاتكة ترثي الزُّبير]

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه قال : قُتِل الزُّبير وهو ابنُ سبعٍ وستّين سنة أو ستٍّ وستّين سنة ، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن نُفيل ترثيه : [من الكامل]

غَدَر ابنُ جُرْموزٍ بفارس بُهْمَةٍ   يومَ اللقاءِ وكان غيرَ مُعَرِّدِ[2]

1 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

2 البهمة : الشجاع . والمعرد : الهارب المحجم عن قرنه .

يـا عمرُو لـو نَبَّهته لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَدِ[1]
شَلَّتْ يمينُك إن قتلـتَ لَمسلِمًا ... حَلَّت عليك عقوبـةُ المُسْتَشْهِدِ[2]
إنّ الزُّبيرَ لـذُو بـلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سَجيَّتـه كريـمُ المَشْهَدِ
كم غمـرةٍ قـد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يا ابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[3]
فاذهبْ فمـا ظَفِرتْ يداكَ بمثلِه ... فِيمَن مضى مِمّن يَروحُ ويَغْتَدي

وكانت عاتكةُ قبل الزُّبير عند عُمَر، وقبل عُمَر عند عبد الله بن أبي بكر.

[أزواج عاتكة]

أخبرني بخبرها محمد بن خَلَف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدَّثنا أبي قال: حدَّثنا الهَيْثَمُ بن عَديّ، عن محمّد بن عمرو، عن أبي سَلَمة بن عبد الرّحمن وأخبرنا وَكيع، قال: حدَّثني إسماعيل بن مجمِّع عن المدائنيّ.

وأخبرني الطوسيّ والحِرْمِيّ، قالا: حدَّثنا الزُّبير، عن عمِّه، عن أبيه، وأخبرني اليَزيديّ، عن الخليل بن أسَد، عن عمرو بن سعيد، عن الوَليد بن هشام بن يحيى الغَسّانيّ.

وأخبرني الجوهريّ، عن ابن شَبَّة، قال: حدَّثنا محمد بن موسى الهُذَليّ، وكلٌّ واحد منهم يزيدُ في الرواية ويَنقُصُ منها، وقد جَمعت رواياتهم قالوا: تزوّج عبدُ الله بن أبي بكر الصِّدِّيق عاتِكةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ في عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها؛ وكانت قد غلبته على رأيه. فمرَّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلِّيَّة يناغيها في يوم جمعة، وأبو بكر متوجِّه إلى الجمعة؛ ثم رجع وهو يُناغِيها، فقال: يا عبد الله أجمَّعْتَ[4]؟ قال: أوَصلّى النّاس؟ قال: نعم، قال: وقد كانت شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها، فقال له أبو بكر: قد شغلتْك عاتكةُ عن المعاش والتجارة، وقد ألهَتْك عن فرائض الصلاة! طلِّقها، فطلَّقها تطليقة، وتحوّلت إلى ناحية؛ فبَيْنا أبو بكر يصلِّي على سطح له في الليل إذْ سمِعه وهو يقول: [من الطويل]

أعاتِـكُ لا أنساكِ مـا ذرَّ شارقٌ ... ومـا نـاح قُمْرِيُّ الحمامِ المُطَوَّقُ
أعاتِـكُ قلبـي كلَّ يـوم وليلة ... لديـكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ

1 الطبقات والخزانة: رعش الجنان.
2 الطبقات والخزانة: عقوب المتعمد.
3 الفقع: الكمأة، والقردد: المكان المستوي. وفي المثل: أذل من فقع القرقر.
4 أجمّعت: أصليت الجمعة.

لهـا خُلُقٌ جَـزْلٌ ورأيٌ ومنطـقٌ وخَلْق مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ[1]
فلـم أرَ مثلي طلَّـق اليـوم مثلَها ولا مثلَهـا في غيرِ شيءٍ تُطلَّـقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له ، فقال : يا عبدَ اللهِ ، راجع عاتكة ، فقال : أُشهِدك أنّي قد راجعتُها . وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن ، فقال له : يا أيْمن ، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أُشهِدُك أنّي قد راجعت عاتِكَةَ ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخَّر الدار وهو يقول : [من الطويل]

أعاتِـكُ قـد طُلِّقتِ في غير رِيبَةٍ ورُوجعتِ للأمـرِ الذي هـو كائِنُ
كذلـك أمـرُ الله غـادٍ ورائـحٌ علـى النّاس فيـه أُلفـةٌ وتباينُ
ومـا زال قلبـي للتّفـرُّق طائراً وقلبي لما قـد قَـرَّب اللهُ ساكِنُ
لِيهْنِـكِ أنّي لا أرى فيكِ سَخْطَةً وأنّك قـد تَمَّتْ عليك المحاسنُ
فإنّـك مِمَّـنْ زيَّـن اللهُ وجهَه وليس لِوَجْـهٍ زانَـه اللهُ شائِنُ

قال : وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألاَّ تتزوَّج بعده ، فلمّا مات من السهم الذي أصابه بالطائف ، أنشأت تقول : [من الطويل]

فلِلَّه عينـا مَـنْ رأى مثلَـه فتًى أكَرَّ وأحمـى في الهيـاجِ وأصْبَرا
إذا شُرِعت فيـه الأسِنَّةُ خاضَها إلى الموتِ حتى يترُك الرُّمحَ أحمرا[2]
فأقسمتُ لا تنفَـكُّ عيني سَخِينَةً عليـكَ ولا ينفـكُّ جِلْديَ أغبرا
مَدى الدَّهرِ مـا غَنَّت حمامةُ أيكةٍ ومـا طـرَدَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرا

فخطبها عمر بن الخطّاب ، فقالت : قد كان أعطاني حديقةً على ألاّ أتزوَّجَ بعده ، قال : فاستفتي ، فاستفتَتْ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : رُدِّي الحديقةَ على أهله وتزوَّجي . فتزوَّجت عمر فسَرَّح عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، يعني دعاهم ، لما بَنى بها ، فقال له عليّ : إنَّ لي إلى عاتكةَ حاجةً أُريد أن أذكِّرَها إيّاها ، فقُلْ لها تَسْتَتِر حتى أُكلّمها ؛ فقال لها عمر : استَتِري يا عاتكةُ فإنَّ ابنَ أبي طالب يريد أن يُكلِّمك ، فأخذت عليها مِرْطَها[3] فلم يظهر منها إلاّ ما بدا من بَراجِمها[4] ،

1 الخزانة : لهـا خلق جزل ورأي ومنصب وخَلق سويّ في الحياة وَمَصْدق
2 الرمحُ في ل : الموت أحمرا .
3 المرط : كساء من صوف أو خز .
4 البراجم : مفاصل الأصابع أو رؤوس السلاميات .

فقال يا عاتكةُ : [من الطويل]

فأقسمتُ لا تنفــكُّ عيني سخينةً ... عليــكَ ولا ينفــكُّ جِلديَ أغبَرا

فقال له عمر : ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقول ما لا تفعل ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾ [1] وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن يَخرُج . فقال عمر : ما حَسَّنَ اللهُ فهو حَسَنٌ ، فلمّا قُتِل عمر ، قالت ترثيه : [من الخفيف]

عــينُ جُودِي بعَبْرةٍ ونَحيبِ ... لا تمَلّــي على الإمامِ النَّجيبِ

فَجَعَتْنا المَنُــونُ بالفارسِ المُعْـ ... ـلَم يــومَ الهِيــاجِ والتَّلْبيبِ

عِصْمَةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ... ـرِ غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ

قُلْ لأَهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا ... قد سَقَتْه المَنونُ كأسَ شَعُوبِ

وقالت ترثيه أيضاً : [من الكامل]

صوت

مُنِع الرُّقادُ فعـادَ عَيْنِيَ عِيدُ ... مِمَّــا تَضَمَّن قَلبــيَ المَعْمودُ[2]

يــا ليلةً حُبِست عليَّ نُجومُها ... فسَهِرْتُهــا والشامِتُونَ هُجودُ

قــد كان يُسهِرُني حِذارُك مَرّةً ... فاليــوم حــقّ لِعَيْني التَّسْهِيدُ

أبكِــي أمِيــرَ المُؤْمِنــين ودُونَه ... لِلزّائريــن صَفائِــحٌ وصَعِيدُ

غنّى فيه طُوَيس خفيف رمل عن حمّاد والهشاميّ .

فلمّا انقضت عِدَّتُها خطبها الزُّبير بن العوّام فتزوَّجها ، فلمّا مَلَكها قال : يا عاتِكَة ، لا تَخرُجِي إلى المسجد ، وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة . فقالت : يا ابن العوّام ، أتريد أن أدَع لغَيْرتك مُصلّى صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فيه ؟ قال : فإنّي لا أمنعك . فلمّا سَمِع النداء لصلاة الصبح توضّأ وخرج ، فقام لها في سقيفة بني ساعِدَة ، فلمّا مرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها ، فقالت : ما لك قطع اللهُ يدك ! ورجعتْ . فلمّا رَجع من المسجد قال : يا عاتِكَةُ ، ما لي لم أرَكِ في مُصلاّكِ ؟ قالت : يرحمُك الله أبا عبد الله ، فَسَد الناسُ بعدَكَ ، الصلاة اليوم في القَيْطُون[3] أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضل منها في الحُجْرة . فلمّا قُتِلَ عنها الزُّبير بوادي السّباع رثَته فقالت : [من الكامل]

1 سورة الصف ، الآية : 3 .

2 العيد : ما يعتاد من مرض أو حزن .

3 القيطون : المخدع .

غَـدَر ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهْمةٍ ... يـومَ اللِّقـاءِ وكان غيرَ مُعَـرِّدِ
يـا عَمرُو لـو نَبَّهتَـه لوجدْتَه ... لا طائِشاً رعِشَ اللِّسان ولا اليَدِ
هبِلَتْك أمُّكَ إن قَتلْتَ لَمُسْلِماً ... حَلَّـت عليـك عقُوبةُ المُتَعَمِّدِ[1]

فلمّا انقضت عِدَتُها تزوَّجها الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فكانت أوَّلَ مَن رفع خدَّه من التراب ، صلّى الله عليه وآله ، ولَعَن قاتِلَه والرَّاضي به يوم قُتِلَ ، وقالت ترثيه : [من الخفيف]

وحُسَيْناً فـلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقصدَتْـه أسِنَّـةُ الأعـداءِ
غـادَروه بكَرْبَـلاءَ صَرِيعـاً ... جادَتِ المُزنُ في ذَرى كَرْبَلاءِ

ثم تأيَّمت بعده ، فكان عبد الله بن عمر يقول : مَن أراد الشَّهادة فليتزوَّج بعاتكة . ويقال : إنّ مروان خَطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه ، وقالت : ما كنت لأتَّخِذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثني العمريّ قال : حدَّثنا أسامة بن زيد ، عن القاسم بن محمد قال : لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدِم وفد ثقيف فأخرجه إليهم ، فقال : مَن يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج : هذا سهمي وأنا بريتُه ، وأنا رشتُه ، وأنا عقبته ، وأنا رميت به يوم الطائف . فقال أبو بكر : فهذا السهم الذي قتل عبد الله ، والحمد لله الذي أكرمه بيدك ، ولم يهنك بيده .

[غناء طويس في شعر عاتكة]

أخبرني اليزيديُّ ، عن الزبير ، عن أحمد بن عُبَيْد الله بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبير ، قال : لمّا قُتل الزُّبير وخلتْ عاتِكة بنتُ زَيْد ، خطَبها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له : إنِّي لأَضَنّ بك على القتل يا ابنَ عمِّ رسول الله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن محمد بن سَلاّم قال : حدَّثني أبي قال : بينا فِتية من قريش ببطن مُحسِّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِيٌّ[2] وحَبَرة قد ارتدى بها ، وهو يَخطُر في مِشْيته ، فسلّم ثم جلس ؛ فقال له القوم : يا أبا عبد الله غنِّنا شِعْراً مليحاً له حديث ظريف ، فغنّاهم بشعر

1 تقدم برواية : شلت يمينك
2 قوهي : أبيض .

عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطّاب : [من الكامل]

مُنِـعَ الرُّقادُ فعـادَ عَيْنيَ عِيدُ مِمَّـا تَضمَّن قَلبِـــيَ المَعمودُ

الأَبيات ، فقال القوم : لِمَنْ هذه الأَبيات يا طُوَيس ؟ قال لأجْمَل خلق الله وأشأمهم ؛ فقالوا : بأنفُسنا أنت ، مَن هذه ؟ قال : هي والله مَن لا يُجهَل نَسبُها ولا يُدفَع شرفُها ، تزوَّجت بابن خليفة نبيّ الله ، وثَنَّت بخليفة خليفة نبيّ الله ، وثَلَّثت بحَوارِيّ نبيّ الله ، وربَّعت بابن نبيّ الله ، وكُلاًّ قَتَلَتْ . قالوا جميعاً : جُعِلْنا فداك ، إنّ أمر هذه لعجيب ، بآبائنا أنت مَن هذه ؟ قال : عاتِكةُ بنتُ زَيد بن عمرو بن نُفَيل . فقالوا : نعم ، هي على ما وصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها . قال طُوَيس : إنّ شُؤْمَها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أعلم مِنّا .

صوت

[من الخفيف]

يــا دَنانِيرُ قــد تَنكَّر عَقْـلي وتَحيَّرتُ بــين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَغَفــي شافِعــي إليــكِ وإلاّ فاقتُليني إن كنتِ تَهْوَين قَتْلي

الشعر والغِناء لعَقيد مولى صالح بن الرشيد ، خفيف ثقيل ، وفيه لعريب رمل بالوسطى ، وهذا الشعر يقوله في دنانير مَولاة البرامكة ، وكان خَطَبها فلم تُجبه ، وقيل : بل قاله أحدُ اليزيديِّين ونَحَلَه إيّاه .

[377] ـ ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[1]

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكيِّ وكانت صفراءَ مولَّدة ، وكانت من أحسن النّاس وجهاً وأظرفهنَّ وأكملهنَّ أدباً وأكثرهنّ رِوايةً للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها ويفرِط ، حتى شكَته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته ، فعاتبوه على ذلك .

[كتابها في الأغاني]

ولها كتابٌ مجرَّد في الأغاني مشهور ، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أخذته من بذْل وهي خَرَّجَتْها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذْل عنهم مثل : فُلَيح ، وإبراهيم ، وابن جامع ، وإسحاق ، ونُظرائهم .

أخبرني جحظة ، قال : حدَّثني المكِّيُّ عن أبيه قال : كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايي دنانيرَ جارية البرامكة ، فكثيراً ما كانت تَغلِبنا .

[إبراهيم الموصليّ يعجب بصوت لها]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ ، عن ابن شبّة ، قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ ، قال : قال لي أبي[2] ؛ قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتاً اختارتْه وأُعْجبت به ، فقلت لها : لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرِضيه على شَيخك ، فإن رضِيَه فارضَيه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامضِ حتى تعرضَه عليك . قال : فقال لي أبي : فقلت له : أيّها الوزير فكيف إعجابُك أنت به ؟ فإنّك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التّمييز ؟ قال : أكرهُ أن أقولَ لك : أعجبني فيكون عندك غَيرَ مُعجِب ؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك ، تَعرِف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقِف ، وأكرَهُ أن أقول لك : لا يُعجِبُني ، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وإنّما يتمُّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً . قال : فمضيت إليها ، وقد تقدَّم إلى خدَمه يعلمهم أنّه سيرسل بي إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءَك إبراهيمُ فاعْرِضي عليه الصوت الذي صنعتِه واستحسنْتِه ، فإن قال لك : أصبتِ سَررتِني بذلك ، وإن كَرِهه فلا تُعلميني لئلاّ يزول سُروري بما صنعتِ . قال إسحاق : قال أبي : فحضَرْتُ الباب فأُدخِلتُ ، وإذا الستارة قد نُصِبت ، فسلّمت على الجارية من وراء

---

1 لدنانير ترجمة في الدر المنثور : 192 وفيه «عقيل» وأعلام الزركلي .

2 تقدم الخبر والصوت في ترجمة إبراهيم الموصليّ 5 : 102 .

الستارة ، فردَّت السلام ، وقالت : يا أَبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ إليك خبرُه ، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول : إنّ النّاس يُفتنون بغنائهم ، فيُعجبهم منه ما لا يُعْجِب غيرهم ، وكذلك يُفتنون بأولادهم ، فيحسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشِيت على الصوت أن يكون كذلك ، فقُلت : هاتِ ، فأخذت عودَها وتغنَّت تقول : [من الكامل]

صوت

نَفْسي أكنتُ عليك مُدَّعِياً ... أم حين أزمع بَيْنَهم خُنْتِ !
إن كنتِ مولعةً بذكرهمُ ... فعلى فراقِهمُ ألا مُتٌّ !

قال : فأعجبني والله غاية العجب واستخفَّني الطرب ، حتى قلت لها : أُعيديه ، فأعادته وأنا أُطلب لها فيه موضعاً أُصلحه وأُغيِّره عليها لتأخذَه عنّي ، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك ؛ ثم قلتُ لها : أعيديه الثالثة فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفّى ؛ فقلت : أحسنتِ يا بنيّة وأصبتِ ، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنّك قائدةٌ للمعلِّمين ؛ إذ قد صرتِ تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة ؛ قال : ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد : فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعزَّ الله الوزير ، والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذَّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة ، ولقد قلتُ لها : أَعيديه وأعادته عليَّ مرّات ، كلُّ ذلك أُريد إعناتها ، لأجتلِبَ لنفسي مدخلاً يؤخذ عنّي ويُنسب إليّ ، فلا والله ما وجدته . فقال لي يحيى : وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها ، وقد ، والله ، سررتني وسأسرُّك ، فوجَّه إليّ بمال عظيم .

[إعجاب الرشيد بها]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، قال : حدَّثني ابن المكّي ، قال : كانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرّجها وأدَّبها ، وكانت أروى النّاس للغناء القديم ، وكانت صفراءَ صادقَة الملاحة ، فلمّا رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعُها ، حتى أَلِفَها واشتدّ عَجَبُه بها فوهب لها هِبات سنيّة ، منها أنّه وهب لها في ليلة عِيد عِقْداً قيمته ثلاثون ألف دينار ، فرُدَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعلمت أُمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمومته ، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه ، فقال : ما لي في هذه الجارية من أَرَب في نفسها ، وإنّما أَرَبي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقّت أن يُؤلفَ غناؤُها وإلاّ فقولوا ما شئتم ؛ فأقاموا عنده ، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أُمّ جعفر فأشاروا عليها ألاّ تُلحّ في أمرها فقَبِلت ذلك ، وأهدت إلى الرَّشيد عَشْرَ جوارٍ ، منهن : ماردة أُمّ المعتصم ، ومراجل أُمّ المأمون ، وفارِدَة أُمّ صالح .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، : أخبرني محمد بن عبد الله الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبّاد البشريّ قال : مررتُ بمنزل من منازل طريق مكّة يقال له النِّباج ، فإذا كِتاب على حائط في المنزل ، فقرأتُه فإذا هو : النَّيْكُ أربعة ؛ فالأوّل شَهْوة ، والثاني لذَّة ، والثالث شفاء ، والرابع داءٌ ، وحِرٌ إلى أيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن ، وكَتَبتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخطّها .

أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شَبَّة : أنّ دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تُغنّي غِناءَه ، فتَحْكِيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتَني ودنانيرُ باقية فما فقدتني .

[عدم صبرها عن الأكل]

قال : وأصابتها العِلّةُ الكَلْبيّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدةً ، فكان يحيى يتصدَّق عنها في كلّ يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنّها كانت لا تصومه ، وبقيت عند البرامكة مدّة طويلة .

أخبرني ابنُ عمّار ، وابن عبد العزيز ، وابن يونس ، عن ابن شَبَّة ، عن إسحاق .

[امتناعها عن الغناء للرشيد]

وأخبرني جَحْظة ، عن أحمد بن الطّيّب : أنّ الرشيد دعا بدنانير البرمكيّة بعد قتلِه إيّاهم ، فأمرها أن تُغنّي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّي آليتُ ألاّ أُغَنّي بعد سيِّدي أبداً ؛ فغضب ، وأمر بصَفْعِها ، فصُفِعَت ، وأُقيمت على رجليها ، وأُعطيت العُود ، وأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء ، واندفعت فغنَّت : [من المنسرح]

صوت

يا دارَ سَلْمى بنازِح السَّنَدِ ... بين الثّنايا ومَسْقَط اللَّبَدِ
لَمَّا رأيتُ الدِّيارَ قد دَرَسَتْ ... أيقنتُ أنَّ النَّعيم لم يَعُدِ

الغناء للهُذَليّ خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوُسْطى ، وذكر عليّ بن يحيى المُنَجّم وعمرو أنّه لسِياط في هذه الطريقة .

قال : فَرَقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المَهْديّ فقال له : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتها تَختِله برفق ، وتَقْهَرُه بحِذْق .

[رفضها الزواج]

قال عليّ بن محمد الهِشاميّ : حدَّثني أبو عبد الله بن حَمْدون أن عَقِيداً مولى صالح بن الرشيد خَطَب دنانير البرمكيّة ، وكان هَوِيَها وشُغِف بذكرها ، فردَّته ، واستَشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد ، وبَذْل ، والحُسَين بن محرز ، فلم تُجِبه وأقامت على الوفاء

لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد قوله : [من الخفيف]

يـا دنانيرُ قـد تَنكَّر عَقْـلي وتَحيّرتُ بـين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَفِّعي شافعـي إليـك وإلاَّ فاقتُليني إن كنت تَهْوَيْن قَتْلي
أنـا بـالله والأمير ومـا آ ملُ من موعـد الحُسَين وبَذْلِ
ما أُحِبُّ الحَياةَ يا حِبُّ إن لم يجمع الله عاجلاً بـكِ شَمْلي

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكانت عَقِيدٌ حَسَن الغِناء والضرب قليلَ الصَّنْعة ، ما سَمِعنا منه بكثير صَنْعة ، ولكنّه كان بمَوضِع من الحِذْق والتّقدُّم .

قال محمد بن الحسن : حدَّثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال : شهدتُ إسحاق يوماً وعَقِيدٌ يُغنِّيه : [من البسيط]

صوت

هلاّ سألتِ ابنةَ العَبْسيّ ما حَسَبي عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ
وجالـت الخَيلُ بالأبطال عابِسةً شُعْثَ النّواصي عليها البِيضُ تأتَلِقُ

الشعر يقال إنّه لعَنْتَرة ولم يصحَّ له ، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . قال : فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفّق حتى والى بين أربعة أرطال ، وسأله بعضُ مَنْ حضر : مَنْ أحسَنُ الناسِ غناءً ؟ قال : مَنْ سقاني أربعةَ أرطال .

وفي دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ : [من السريع]

صوت

أشبَهـكِ المسكُ وأشبهتِـهِ قائمـةً في لونـه قاعـدَهْ
لا شكّ إذ لونُكما واحـدٌ أنَّكما من طينـةٍ واحـدَهْ

غنّاه ابن جامع هزجاً بالبِنصر وقيل إنّه لأبي فارة .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، عن مَوْلاةِ ابن جامع أنّ مولاها كان يهوى جارية صفراء . فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه ، وأظنّ هذا وهمّاً ؛ لأنّا لم نسمع لابن جامع بشعر قطّ ، ولعلّه غنّاه في شعر أبي حَفْص الشِّطْرنجيّ . فظننته له .

وممّا غنّاه عَقِيد في دنانير والشعر للموصليّ إلاّ البيت الأوّل فليس له .

صوت

[من البسيط]

هَــذِي دَنانيرُ تَنْساني فأذْكرُها وكيف تنسى مُحِبّاً ليس يَنْساها !
واللهِ واللهِ لــو كانت إذا بَرزَت نَفسُ المُتَيَّـمِ في كَفَّيـه أَلْقاهــا

والشعر والغناء لعقيد ، ولحنه من الرَّمل المطلق في مجرى الوسطى ، وفيه هزج خفيف مُحدَث .

[غناء بشعر في دنانير]

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني عليُّ بن محمد قال : حدَّثني جابر بن مُصعَب ، عن مُخارِق ، قال : مرّت بي ليلةٌ ما مَرَّ بي قطّ مثلُها . جاءَني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة ، فأخذني وركضَ بي إليه رَكْضاً ، فحين وافَيْتُ أُتِيَ بإبراهيم بن المهديّ[1] على مثل حالي ، فنزلنا ، وإذا هو في صحن لم أرَ مثله قد مُلِئ شمعاً من شمع محمد الأمين الكِبار ، وإذا به واقف ثم دخل في الكِرِح[2] ، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[3] ومحمد في وسطهنّ يرتكِض في الكِرْح . فجاءَنا رسولُه ، فقال : قُوما في هذا الباب ممّا يَلِي الصَّحْن ، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بَلَغ ، وإيّاكما أن أسمعَ في أصواتكما تقصيراً عنه ، قال : فأصغَيْنا فإذا الجَواري والمُخنَّثون يزمُرون ويضربون : [من البسيط]

هَــذي دنانيرُ تَنْساني وأذكرهـا وكيف تنسى مُحِبّاً ليس ينساها !
أعوذُ باللهِ مــن هِجران جاريـةٍ أصبحتُ من حبِّها أهذِي بذكراها
قد أُكمِلَ الحسنُ في تركيب صورتها فارتـجَّ أسفلُهــا واهتـزَّ أعلاها
قامت تمَشَّى فليت الله صَيَّرني ذاك الترابَ الذي مَسَّتْه رِجلاها
والله واللهِ لــو كانت إذا بـرزت نفسُ المُتَيَّــم في كفَّيــه ألقاها

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناي ونَتْبَعه حذراً من أن نخرج عن طبقته ، أو نقصر عنه إلى الغداة ، ومحمد يجولُ في الكِرْح ما يسأمه ، يدنو إلينا مرّة في جولانه ويتباعد مرّة ، وتحولُ الجوارِي بيننا وبينه حتى أصبحنا .

---

1 ط . بيروت : إبراهيم الموصلي .
2 الكرح : بيت الراهب . وفي ط . بيروت : قد دخل في الخدم .
3 السرنايات : جمع سرناي ، وهي من آلات الصفير .

صوت[1]

[من الطويل]

أَلا طَرَقَتْ أَسماءُ لا حين مَطْرَقِ وأَنَّى إذا حَلَّتْ بنَجْـرانَ نلتقي
بِـوَجٍّ ومـا بـالي بِوَجٍّ وبالُها ومَنْ يلقَ يوماً جِدَّة الحبّ يُخْلِقِ[2]

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لخُفاف بن نُدْبة ، والغناء لابن مِحْرز خفيف ثقيل أَوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق أيضاً ، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه للقاسم بن زُرْزُور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه ، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أوّل ، عن إبراهيم ، ويحيى المكّيّ ، والهِشاميّ ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر .

1 مجموع شعر خفاف بن ندبة : 27-29 .
2 وجّ : واد بالطائف . ويروى :
ألحـت بنـوح ما لنوح وماها ومن يلق يوماً جدة البين يخلق

[378] ـ أخبار خفاف ونسبه[1]

هو خُفاف بن عُمَير[2] بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار ، ونُدْبة[3] أُمّه وهي أمةٌ سوداء ، وكان خفاف أسودَ أيضاً ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم ، وجعله ابنُ سَلاّم في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيرة ، ومع ابنَي عمِّه صَخْر ومعاوية ابنَي عمرو بن الشريد ، ومالك بن حِمار الشَّمْخيّ[4] .

[أحد أغربة العرب]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم ، قال : كان خُفاف بن نُدْبة ، وهي أُمّه ، فارساً شجاعاً شاعراً ، وهو أَحدُ أَغْربة العرب[5] ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَني ذُبيان يوم حَوْزة[6] ، فلمّا قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف : والله لا أرِيم اليومَ أو أُقِيدُ به سيِّدَهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذٍ فارسُ بني فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله ، وقال[7] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيلي قد أُصيب صَمِيمُها ... فعمْداً على عينـي تَيمَّمْتُ مالِكا
رفعتُ لـه مـا جَرَّ إذ جَرَّ موته ... لأَبْنِـيَ مَجْـداً أو لأَثـأر هالِكا[8]

---

1 ترجمة خفاف بن ندبة في الشعر والشعراء : 258–259 وخزانة البغدادي 5 : 443–448 والمؤتلف : 153 وكامل المبرد (الدالي) : 1150 والاشتقاق : 309–310 والمعارف : 325 والوافي 13 : 351 وأسد الغابة 3 : 118–119 والإصابة 1 : 448 وانظر أعلام الزركلي وقد جمع شعره د . نوري حمودي القيسي (مطبعة المعارف ، بغداد) .

2 ل : عمرو .

3 بفتح النون وضمّها .

4 لم يرد ذكر هؤلاء بين الشعراء في طبقات ابن سلام .

5 أغربة العرب : عنترة بن شداد والسليك بن السلكة وأبو عمرو بن الحباب وخفاف بن ندبة وهشام بن عقبة بن أبي معيط سموا كذلك لسوادهم . وانظر اللسان (غرب) .

6 ل : الجزيرة .

7 مجموع شعره : 64 .

8 الديوان : «وقفت له عَلوى وقد خام صحبتي . وعلوى : فرسه .

أقــول لــه والرُّمحُ يأْطِـرُ مَتْنَه : تأمَّـلْ خُفافــاً إنَّنــي أنا ذَلِكا[1]

قال ابن سلاّم : وهو الذي يقول[2] : [من السريع]

يا هِندُ يا أُختَ بنــي الصّارِدِ مــا أَنا بالباقــي ولا الخالدِ[3]

إن أُمسِ لا أَمِلِـكُ شيئاً فقد أملِـكُ أَمــرَ المَنْسِرِ الحــارِدِ[4]

في هذين البيتين لعُبيد الله بن أبي غسّان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

[مناقضاته مع العباس بن مرداس]

أَخبرني عَمِّـي ، عـن عبد الله بن سعد ، عـن أَحمد بن عمَر ، عن عُمَر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفّـان رضي الله عنه ، عن الحجّاج السُّلَميّ قال : كان بَدءُ ما كان بين خُفاف بن نُدبة والعبّاس بن مرداس أَنَّ خُفافاً كان في ملأٍ من بني سُلَيم فقال لهـم : إنّ عبّاس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا ما بلغَ عبّاس بن أَنَس الأصمّ ، ويأبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدْن بـه . فقـال لـه فتـى من رهط العبّاس : وما تلك الخصالُ يا خُفاف ؟ قال : اتّقاؤه بخَيْله عند الموت ، واستهانَتُه بسَبايا العَرب ، وقتلُه الأسرى ، ومُكالبَتُه للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تَمَنَّيْنا موتَه . فانطلق الفتى إلى العبّاس فأَخبره الخبر ؛ فقـال العبّاس : يـا ابن أخـي ، إن لم أكن كالأصمّ في فضله فلستُ كخُفافٍ في جهْلـه ، وقـد مضى الأصمُّ بما في أمس وخلَّفَني بما في غَدٍ ، فلمّا أمسى تغنَّـى ، وقال[5] : [من الوافر]

خُفافٌ مــا تزال تجـرُّ ذيلاً إلى الأَمــرِ المُفــارِقِ للرَّشادِ

إذا مــا عايَنَتْكَ بنــو سُلَيمٍ ثَنَيْت لهــم بِداهيــةٍ نآدِ[6]

وقــد عَلِـم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنِّـي فيهـــمُ حَسَنُ الأَيادي

فأَورِدْ يــا خُفافُ فقد بُلِيتم بَني عـوف بحَيَّةِ بَطْن وادي[7]

قال : ثم أصبح فأتى خُفافاً ، وهو في ملأٍ من بني سُلَيْم ، فقال : قد بلغني مقالتُك يا

---

1 يأطر : يثني . والمتن : الظهر .

2 مجموع شعره : 46 .

3 بنو الصارد : حيّ من بني مرة بن غطفان .

4 المنسر : مجموعة من الخيل . والحارد : الجاد القاصد .

5 ديوان العباس بن مرداس : 46 وسيرِد برواية : أخفاف أما تزال . . . إلى الأمر المقارب للفساد .

6 نآد : داهية شديدة .

7 حية بطن واد : داهية خبيثة .

خُفاف ، والله لا أَشتُم عِرضَك ولا أَسُبُّ أباكَ وأُمَّك ، ولكنِّي رام سوادك[1] بما فيك ، وإنّك لتعلم أنّي أحمي المصافّ[2] وأتكرَّمُ على السَّلَب وأطلق الأسيرَ وأصون السبِيّة ؛ وأما زعمُك أنّي أتَّقي بخيلي الموت فهاتِ من قومِك رجلاً اتَّقيتُ به ؛ وأمّا استهانتي بسَبايا العرب فإنِّي أحذُو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائِنا ؛ وأمّا قتلي الأسرى فإنِّي قتلتُ الزبيديّ بخالك ؛ إذ عجزتَ عن ثأرك ؛ وأمّا مُكالبتي الصعاليكَ على الأسلاب ، فوالله ما اتيتُ على مسلُوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبه . وأمّا تمنِّيك موتي ، فإن متُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ؛ وإنْ سُلَيما لتعلم أنّي أخفُّ عليهم مؤونة ، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك ؛ وإنَّك لتعلم انّي أبحتُ حِمى بني زُبيد ، وكسرتُ قَرْنَي بني الحارث وأطفأتُ جمرَة خَثعم ، وقلَّدت بني كِنانة قلائِدَ العار ، ثم انصرف . فقال خُفاف أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلاّ قوله : [من الوافر]

ولم تقتُــل أُسيرَك مــن زُبيدٍ بخــالي بــل غَدَرْتَ بمُسْتفادِ
فَزنْـــدُك في سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْـدٍ وزادُك في سُلَيْـــم شَــرُّ زادِ

فأَجابه العبّاس بقوله[3] : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ عنِّــي خُفافاً فإنِّــي لا أحاشي من خُفافِ
نكحتَ وليدةً ورضعتَ أُخْرى وكان أَبــوكَ تَحْمِلــهُ قَطافِ[4]
فلستُ لحاضِنٍ إن لم نُزِرْها تُثيرُ النَّقعَ من ظَهْر النِّعافِ[5]
سراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً وكمتاً لونُها كالوَرس صافِ[6]

قال : ثم كفَّ العبّاس وخُفاف حتى أَتى ابنُ عمّ للعبّاس يُكنى أَبا عَمْرو بن بدر ، وكان غائباً ، فقال : يا عبّاس ، ما نقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل ، قال : وكيف ذلك ، ويحك ! قال : أخبرني عنك ، أَكُلُّ الذي أقررتَ به من خُفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك ؛ ليأسٍ من نصر قومك أو ضعفٍ من نفسك ؟ قال : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكنِّي أحببت البُقْيا ، قال : فاسمع ما قلتُه ، قال : هات ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

---

1 سوادك : شخصك .
2 المصاف : جمع مصف ، وهو موقف القتال .
3 مجموع شعره : 74 .
4 ديوان العباس : 91 . قطاف : علم للأمة مبني على الكسر كقطام .
5 إن لم نزرْها في الديوان : إن لم تروها . والحاضن : العفيفة . ونعاف : جمع نعف وهو ما انحدر من السفح وغلظ .
6 في الديوان : سواهم كالقداح مسومات . والسواهم : الخيل التي غيرها السفر . والأين : التعب .

أرى العبّاس ينفض مِذْرَوَيْــه دَهِــينَ الرأس تَقْليه النساءُ[1]
وقــد أُزرى بوالده خُفـافٌ ويُحسَب مثلــه الداءُ العَياءُ
فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ فــإنّ السَّبَّ تُحسِنُــه الإماءُ
ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً مُعَجَّلَــةً فــإنّ الحــربَ داءُ
أذَلَّ اللهُ شرَّكما قَبيــــلاً ولا سَقَت لــه رَسْماً سَماءُ

[الحرب بين العبّاس وخفاف]

قال العبّاس : قد آذنتُ خُفافاً بحرب ، ثم أُصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل ، وكان الفضل للعبّاس على خفاف . فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمِيّ في وجوه هَوازن ، فقام دُريد خطيباً فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّه أعجلني إليكم صدرٌ وادّ ورأيٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيَّة ، وأوضعا إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذِلّ[2] المغلوب ، ثم جلس . فقام مالِكُ بن عوف[3] فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّكم نزلتم منزلاً بَعُدت فيه هَوازن ، وشَبِعت[4] منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائِل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزِعوا وفيكم بقيّة قبل أن تلقوا عدوَّكم بقَرْنٍ أَعْضَبَ وكَفٍّ جَذْماءَ[5] ، قال : فلمّا أمسينا تغنّى دريد بن الصِّمَّة فقال[6] : [من الطويل]

سُلَيمُ بــنَ منصور أَلَّما تُخَبَّرُوا بما كان من حَرْبَـيْ كُلَيْبٍ وداحِسِ
وما كان في حرب اليَحابِرِ من دمٍ مباحٍ وجَــدْعٍ مؤلمٍ للمَعاطِسِ[7]
وما كان في حَرْبي سُلَيْم وقبلهم بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارسِ
تسافهت الأحــلامُ فيها جَهالةً وأُضرِم فيهــا كلُّ رَطب ويابسِ
فكُفُّوا خُفافــاً عــن سفاهَةِ رأيِهِ وصاحِبَه العبّاسَ قبــل الدَّهارسِ[8]

---

1 المذروان : طرف الإلية . والمثل : جاء ينفض مذرويه (الميداني 1 : 171 وجمهرة العسكري 1 : 318 ومستقصى الزمخشري 2 : 46) يضرب لمن يتوعد من غير حقيقة .
2 ل : ويذم .
3 ل : أوس .
4 ل : وشعبت .
5 القرن الأعضب : المكسور . واليد الجذماء : المقطوعة .
6 ديوان دريد : 88 (عن الأغاني) .
7 اليحابر في ل : البحائر .
8 الدهارس : الدواهي .

وإلاّ فأنتم مثـلُ مَـنْ كان قبلكم ومَـنْ يعقِل الأمثالَ غيرُ الأكايسِ

وقال مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

سليم بن منصور دعوا الحربَ إنّما هـي المُلك للأقْصَيْن أو للأقاربِ
ألم تعلموا ما كانَ في حرب وائِلٍ وحرب مُرادٍ أو لُـؤيّ بن غالبِ
تفرّقت الأحياءُ منهـم لَجاجَةً وهـم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ
فمـا لسُلَيمٍ ناصرٌ مـن هَوازنٍ ولـو نُصِروا لم تُغنِ نُصرةُ غائبِ

قال : ثم أُصبحنا ، فاجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفافٌ ، فقال لهما دُريد بن الصِّمَّة ولِمَن حضر من قومهما : يا هؤلاء ، إنَّ أوَّلكم كان خيرَ أوّل ، وكلّ حيٍّ سَلَف خيرٌ من الخَلف ، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاجِ الحرب وتهاجي[1] الشعر ، قال فاستحيا العبّاس فقال : فإنّا نكفّ عن الحرب ، ونتهادَى الشعر ؛ قال : فقال دُريد : فإن كنتما لا بدّ فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشَّتم ، فإنّ الشّتم طريقُ[2] الحرب ، فانصرَفا على ذلك .

فقال العبّاس بن مِرداس[3] : [من المتقارب]

فأَبلـغْ لدَيْـك بنـي مالكٍ فأنتـم بأَنبائِنـا أَخْبَرُ
فأمّـا النَّخيـلُ فليست لنا نخيـلٌ تُسقَّـى ولا تُـؤْبَرُ
ولكـنَّ جَمعاً كجِذْل الحِكا ك فيـه المُقَنَّـع والحُسَّرُ[4]
مغاويـرُ تحمِـل أبطالَـنا إلى المـوتِ ساهِمـةٌ ضُمَّرُ
وأعـددتُ للحـرْب خَيفانةً تُدِيـم الجِـراءَ إذا تَخْطِرُ[5]
صَنِيعـاً كقارورة الزّعفـرا ن مِمّـا تُصـانُ ولا تُؤْثَرُ

ويقال : صَبِيغاً . قال : فأجابه خُفافٌ فقال[6] : [من المتقارب]

أَعبّـاسُ إن استعـارَ القَصيـ ـدِ في غير مَعْشَره مُنكَرُ

1 ل : تهادي .
2 ل : طرف .
3 ديوان العباس : 65 .
4 جذل الحكاك : عود ينصب للإبل الجربى فتحتك به .
5 خيفانة : سريعة . الجراء : الفتوة .
6 مجموع شعره : 57–58 .

عــلامَ تَناولُ مــا لا تَنالُ فتقطَــعُ نفسَكَ أو تَخسرُ
فإنَّ الرِّهــانَ إذا مـا أُريـد فصاحبُــه الشامــخُ المُخْطِرُ[1]
تَخاوَصُ لم تستطعْ عُــدَّةً كأنّك مــن بُغضِنـا أعوَرُ[2]
فقصــرُك مَأثورةٌ إن بَقِيــ ــتُ أصحو بها لك أو أسكرُ
لساني وسيفــي معاً فانظُرَنْ إلى تلــك أيُّهمـا تُبْــدَرُ

قال : فلمّا طال الأمر بينهما من الحرب والتَّهاجي ، قال عبّاس : إنّي واللهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلاّ شِبام بني زُبَيد فإنّه كان يَلقى من ابن عمِّه ثَرْوانَ بن مُرَّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف ، فلمّا لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه ، فقال : [من الطويل]

وهبتُ لثَروانَ بن مُـرَّةَ نفسَه وقد أمكَنَتني من ذُؤابَتِه يدي
وأحمِلِ ما في اليوم من سُوء رأيِه رَجاء التي يأتي بها اللهُ في غدِ

فقال خُفاف : إنّي والله ما وجدتُ لعبّاس مثلاً إلاّ ثَرْوان بني زُبَيد ، فإنّه كان يَلقى من شِبام ما أَلقى من العبّاس من الأذى ، فقال ثَرْوان : [من الطويل]

رأيتُ شِباماً لا يـزالُ يَعيبُني فلِلّه مـا بـالي وبالُ شِبامِ !
فقَصْرُك منّي ضربــةٌ مازِنيَّةٌ بكفِّ فتًى في القوم غيرِ كَهامِ
فتُقصِر عنّي يا شِبامُ بنَ مالكٍ وما عَضَّ سيفي شاتمي بحَرامِ

فقال عبّاس : جزاك الله عنّي يا خُفاف شرّاً ، فقد كنتُ أخفَّ بني سُليم من دمائها ظَهْراً ، وأخْمصها بطناً ، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمالِ وأكْل الأموال ، وصرت ثَقيل الظَّهر من دمائها مُنْفَضِجَ[3] البطن من أموالها ، وأنشأ يقول[4] : [من المتقارب]

أَلَـم تَـرَ أنّي تركتُ الحروبَ وأنّي نَدِمت على مـا مَضى
ندامــــةَ زارٍ عـلى نفسه لتِلــك التـي عارُهــا يُتَّقى
فلم أُوقِــد الحربَ حتى رَمى خُفــافٌ بأسهُمه مَــنْ رَمى
فـإن تعطِف القــومَ أحلامُهم فيرجعَ مــن وُدِّهم مـا نأى

---

1 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .

2 عُدّة في ل : غرة . وتخاوص : غضّ من بصره .

3 منفضج البطن : منتفخه .

4 ديوان العباس : 29 .

فلستُ فَقِيراً إلى حَرْبِهِم ... وما بي عن سَلْمِهِم مِن غِنى

فقال خُفاف[1] : [من المتقارب]

أعبَّاسُ إمَّا كَرِهْتَ الحروبَ ... فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفى

أأَلْقَحْتَ حَرباً لها شِدَّةٍ ... زَماناً تُسعِّرُها باللَّظى

فلمّا تَرَقَّيْتَ في غَيِّها ... دَحَضْت وزَلَّ بكَ المرْتَقى

فلا زِلْتَ تَبكي على زَلَّة ... وماذا يَرُدُّ عليك البُكا

فإن كنتَ أَخطأتَ في حَرْبنا ... فلَسْنا نُقِيلُك هذا الخَطا

وإن كنتَ تَطْمَعُ في سَلْمِنا ... فزاوِلْ ثَبِيراً ورُكْنَيْ حِرا

أَخبرني حبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى العَبديّ ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفَزاريّ ، وكان علاّمةً بأمرِ قيس ، قال : كان خُفاف بن نُدْبَةَ في جماعة من قومه ، فقال : إنّ عبّاس بنَ مرداس ليُريد أن يبلغ فينا مبلغ عبّاس بن أنس الأصمّ وتأبى عليه خِصالٌ قعَدْن به عن ذلك ، فقال فتًى من رَهْط عبّاس : ما تلك الخصال يا خُفاف ؟ فقال : اتّقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبةُ الصعاليك على الأسلاب ، وقتلهُ الأسرى ، واستهانتُه بسبايا العرب ، وآيم الله ، لقد طالت حياتُه حتى تمنَّينا موتَه ، فانطلق الفتى إلى العبّاس فحدَّثه الحديث ، فقال العبّاس : يا ابن أخي إلاّ أكن كالأصمّ في فضله فلست كخُفافٍ في جهله ، وقد مضى الأصمّ بما في أمس ، وخلّفني لِما في غد ، فلمّا أمسى تغنَّى ، فقال[2] : [من الوافر]

خُفافُ أَما تزال تجرُّ ذَيلاً ... إلى الأَمرِ المقرِّب للفسادِ

وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْم ... بأنّي فيهمُ حَسَنُ الأَيادي

وأنّي يوم جَمْعِ بني عُطَيْفٍ ... حملت بحالكٍ وَهِجِ المَرادي[3]

وأنّي لا أُعَيَّر في سُلَيْم ... بردِّ الخيلِ سالمةَ الهوادي

وأنّي في مُلِمَّةِ كلّ يوم ... أَقي صَحْبي وفي خيلي تعادِي

ولم أَسلِب بحمدِ الله كَبْشاً ... سِلاحاً بين مختلف الصِّعادِ[4]

---

1 مجموع شعره : 68–69 .

2 لم ترِد الأبيات بهذه الرواية في ديوانه .

3 المرادي : جمع مردي ، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور .

4 الصعاد : جمع صعدة ، وهي القناة المستوية .

ولم أُحلُــل لُمحصَنَةٍ نِطاقـاً ... ولم أَرَ عِتقَهــا إلاّ مُــرادِي

فأَورِدْ يــا خُفاف فقد مُنِيتم ... بنــي عوفٍ بحيّة بطن وادي

فلمّا أصبح أتى خُفافاً وهو في ملأٍ من قومه ، فقال : قد بلغني مقالُك يا خُفاف ، وآيم الله ، إنّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ ، وأكره السّلَب ، وأطلِق الأسير ، وأصون السَّبِيَّة .

فأمّا زعمُك أنّي أتَّقي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتَّقيتُ به ؛ وأمّا قَتْلي الأسرى فإنِّي قتلتُ الزُّبيديّ بخالك ؛ وأمّا سَلْبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبَه ؛ وأمّا استهانتي بالسَّبايا فإنِّي أحذو القوم في سباياهم فِعالَهم في سبايانا ، وأمّا تمنِّيك موتي فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ، ثم انصرف . فقال خُفاف مُجيباً للعبّاس عن قوله[1] : [من الوافر]

لعمــرُ أَبيك يــا عبّاسُ إنِّي ... لُمنْقَطِع الرِّشاء مــن الأَعادي

وإنِّــي قــد تعاتبُنــي سُلَيْم ... على جَــرِّ الذيولِ إلى الفسادِ

أَكُلَّ الدّهــر لا تَنْفَكّ تجري ... إلى الأمــر المفــارِق للسَّدادِ

إذا مــا عاينَتْكَ بَنُــو سُلَيم ... تَبيتُ لهــم بداهيــة نــآدِ

فزَنْــدك في سُلَيْم شَرّ زَنْدٍ ... وزادُك في المعــاشرِ شَرّ زادِ[2]

أَلا لله دَرُّك مــن رئيــسٍ ... إذا عادَيْــتَ فانظُر مَنْ تُعادي

جريْتُ مُبرِّزاً وجَريتَ تكبو ... على تَعَبٍ فهل لك من مَعادِ

ولم تقتــلْ أُسيرَك من زُبَيْدٍ ... بخالي بــل غدرت بِمُستقادِ

ومُستقاد : الزُّبيديّ .

وإنّ رهط خُفاف لاموه وقالوا : اكفُف عن الرجل . فقال : كيف أُكفُّ عن رجل يريد أن يَترنا أمرنا بغير فضل . وقال رهطُ العبّاس له : أيّها الرجل ، اكفُف ، فقالا قولاً جميلاً ، وقال العبّاس عند ذلك[3] : [من الكامل]

هل تعــرف الطَّلَل القديمَ كأنّه ... وشْمٌ بأَسفل ذي الخيــام مُرَجَّعُ

---

1 لم ترِد في مجموع شعره باستثناء البيت الثامن والبيت الخامس ، مع أنه أفرد في المجموع قسم لشعر خفاف الوارد في الأغاني .

2 مجموع شعره : وزاول في سليم .

3 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان العباس بن مرداس .

بقِيتْ معارِفُـــه على مَـــرّ الصَّبا بعـــد الجميـع كأنّه قـد يَمْرُعُ
دارُ التي صادت فؤادك بعـد ما شمِل المَفارِقَ منك شيبٌ أروعُ
وزعمتَ أنّك لا تُراحُ إلى الصَّبا وعَلَتْـك منـه شبيبةٌ لا تَرجعُ
يـا أيّها المـرءُ السفيهُ ألا ترى أنِّي أضرُّ إذا هَوِيـتُ وأنفعُ
وأعيش مـا قَدَر الإلهُ على القِلى وأعِفُّ نفسي عـن مطامع تُطمِعُ
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى نفسي إلى الأمـرِ الدنيّ تطلّعُ
وأردُّ ذا الضِّغـن اللئيـمَ برأيه حتى يمـوت وليس فينـا مَطمعُ
لله دَرُّك لا تَمَـنَّ مماتَنـا فالموتُ وَيْحـك قصْرُنا والمرجعُ
لـو كان يَهلِك مَـنْ تَمَنَّى موتَه حلَّـت عليـك دُهيَـة لا تُرْقَعُ
ومكثـت في دار الهـوان موطَـأ بالـذّلّ ليس لداركم مَـنْ يمنعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له[1] : [من الكامل]

عَجِبَتْ أُمامَـةُ إذ رَأَتْنيَ شاحباً خَلَـق القميص وأنَّ رأسيَ أصلَعُ
وتنفست صُعُداً فقلتُ لها : اقصري إنِّـي امـرؤ فيمـا أضرّ وأنفعُ
مهـلاً أبـا أنس فإنِّـي للّذي خلَّـى عليـك دُهيَّـةً لا تُرْفَعُ
وضَرَبْتُ أُمَّ شؤون رأسك ضربةً فاستكَّ منهـا في اللِّقـاء المسمَعُ
نَعْلَـيَّ حَـذْوُ نِعالهـا ولربَّما أحذو العِدا ولكلِّ عـادٍ مَصرعُ
لا تفخـرَنَّ فإنَّ عُـودِيَ نبعَةٌ أعيت أبا كَرِبٍ وعُودُك خِرْوَعُ[2]
ولقـد أقـود إلى العـدوِّ مُقَلِّصاً سَلِسَ القِيـادِ لـه تَلِيـلٌ أتْلَعُ[3]
نَهْـدَ المـراكل والدَّسيـع يَزينُه شَنِجُ النَّسا وأباجِـلٌ لا تُقْطَعُ[4]
وعَـليَّ سابِغَـةٌ كأنَّ قَتِيرَهـا حَدَق الجنادب لَيْسَ فيها مطمعُ[5]

1 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .
2 عودي نبعة : صلب شديد . وعودك خروع : ليّن سهل الكسر .
3 المقلص : الطويل القوائم . والقليل الأتلع : العنق الطويل .
4 النهد : المرتفع . والمراكل : حيث تصيب رجل الراكب من الدابة . وشنج النسا : متقبض عرق النساء فلا تسترخي رجلاه . والأباجل : عرق في الفرس والبعير .
5 السابغة : الدرع الطويلة . والقتير : رؤوس المسامير في الدرع .

زَغْـفٌ مُضاعَفَةٌ تَخيَّر سَرْدَها ذو فائشٍ وبنـو المُـرارِ وتُبَّعُ[1]
في فِتْيَـةٍ بِيضِ الوجـوه كأنّـهم أُسْدٌ عـلى لحـم ببيشَةَ طُلَّعُ
لا ينكَلـون إذا لَقُوا أعداءَهم إنّ الحِمـامَ هـو الطريق المهْيَعُ[2]

وكان خُفاف قد كفَّ عن العبّاس ، حتى أتاه غلام من قومه ، فقال : أبى العبّاس إلاّ جُرأة عليك وعَيْباً لك ؛ فغضب خُفاف ثم قال : ما يدعوه إلى ذلك ؟ فوالله إنّ أباه لرابطُ السهم ، وإن أُمّه لخفيّة الشخص ، ولئن طلب مسعاي ليعلمنَّ أنّه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكفّ ، وما ذنبنا إليه إلاّ أنّا استنقذنا أباه من عِصِيّ بني حِزام ، وكافحنا دونه يوم بني فِراس ، ونصرنا أباه على حرب ابن أُميّة . وقال خُفاف في ذلك[3] : [من البسيط]

لن يترك الدهـرَ عَبَّاسٌ تَقَحُّمَه حتـى يذوقَ وبالَ البَغْـي عَبَّاسُ
أمسكتُ عن رَمْيِه حـولاً ومَقْتَلُه بـادٍ لتعذرني في حَرْبِـه الناسُ
عمداً أجـرَّ لـه ثوبي لأخدَعه عن رأيـه ورجائـي عنده ياسُ
فالآن إذ صَرَّحت منـه حَقيقَتُه ظُلْماً فليس بشتمي شاتمي باسُ
أَجُدّ يومـاً بقولي كُلَّ مبتَدىء كما يَجُـدُّ بكفّ الجازِرِ الفاسُ[4]
تأبى سُلَيْم إذا عَـدّت مساعِيَها أن يُحرِزَ السَّبقَ عبّاسٌ ومِرداسُ
أودى أبو عامـر عبّـاس مُعْتَرِفاً أنّا إذا مـا سُلَيم حَصَّلت راسُ

فبلغ العبّاسَ أمرُ خُفاف ، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصَّلت ، وكان مأموناً في بني سُلَيم . فقال العبّاس : قد بلغني قولك يا خُفاف ، ولعمري لا أشتُم أباك ولا أُمَّك ، ولكنّي رامٍ سوادَك بما فيك .

والله ما كنت إلى ذمِّك بالهَيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم ، وإنّ سُلَيْماً لتعلم أنّي أبحثُ حِمَى بني زُبَيد ، وأطفأت جمرة خثعم ، وكسرتُ قَرْنَي بني الحارث بن كعب ، وقلّدت بني كنانة قلائدَ العار ، وإنّي يا خُفاف لأخفُّ منك على بني سُلَيْم مؤونةً ، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً ، وقال مُجيباً له[5] : [من البسيط]

1 زغف : محكمة . والسرد : النسيج . وذو فائش : أحد ملوك اليمن .
2 المهيع : الواسع الواضح .
3 وهذه أيضاً لم ترِد في مجموع شعره .
4 أجد : أقطع .
5 لم ترِد في ديوانه .

إنّـي رأيـت خُفافـاً ليس يُهنئه شيءٌ سوى شتم عبّاسِ بنِ مرداسِ
مهلاً خُفـافُ فإنّ الحقّ مَعْضَبَةٌ والحمق ليس له في الناس من آسي[1]
سائلْ سُليماً إذا ما غـارة لَحِقتْ منها فـوارسُ حُشْدٌ غيرُ أُنكاسِ
مـن خَثعَم وزُبَيْدٍ أو بني قَطَنٍ أو رَهْط فروةَ دهراً أو شحا الناسِ[2]
يُنْبوا مـن الفارسُ الحامي حقيقَتَه إذا أَتـوْك بحـامٍ غيرِ عبّـاسِ
لا يحسب النّاس قـولَ الحقّ مُعتَرفاً فانظر خُفاف فما في الحقّ من باسِ
مَنْ زار خيـل بني سعد مُسَوَّمة يُهـدِي لأَوّلهـا لأَيُ بن شمّاسِ
يوم اعترضتُ أَبا بـدر بجائفةٍ تعوِي بعرق من الأحشاء قلاّسِ[3]
أُدعى الرئيسُ إذا ما حربكم كشَفَت عن ساقهـا لَكُم والأمـر للرَّاسِ
حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتُها أنشأتَ تضرِب أَخماساً لأسداسِ[4]

وسعى أَهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا : إنّ عَبّاساً قد فَضَحَك ، فقال خُفاف[5] : [من الطويل]

أَلا أَيُّها المُهْدي ليَ الشَّتْمَ ظالِماً ولستُ بأَهـلٍ حين أُذْكَر للشَّتْمِ
أَبى الشَّتْمَ أَنّي سَيِّدٌ وابنُ سادةٍ مطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ[6]
هـمُ مَنَحُوا نَصْراً أَبـاك وطاعَنوا وذَلِك إذْ تُرْمى ذَليـلاً ولا تَرْمي[7]
كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْلِ بَعْدَ ما رأى المَوتَ صِرْفاً والسيوفُ بها تَهْمي[8]
أَدِبٌّ على أَنمـاط بيضاء حُـرَّةٍ مقابَلَـة الجدَّين ماجـدَة العَمِّ[9]

---

1 معضبة : مقطعة .
2 الشحا : الواسع من كل شيء ، ويقصد جميع الناس .
3 الجائفة : الطعنة التي تبلغ الجوف . وعرق قلاس : يزخر بالدم .
4 المثل «يضربُ أخماساً لأسداس» في مجمع الميداني 1 : 418 وجمهرة العسكري 2 : 4 ومستقصى الزمخشري 2 : 145 وفصل المقال : 105 ويراد به السعي في المكر والخديعة .
5 مجموع شعره : 59–61 .
6 مجموع شعره : مطاعيم للجرم .
7 مجموع شعره :
هـم منحوا الضرّا أباك وطاعنوا وذلك الذي يُرمى ذليلاً ولا يرمي
8 مجموع شعره : «محزما» بدل «بعد ما» و«تضمي» بدل «تهمي» . والمستلحم : الذي يركب الطريق الواسع . وتهمي : تسيل .
9 الأنماط : جمع نمط ، وهو البساط .

وأنــت لحَنْفاء اليَديْــن لَـوَ انَّها ... تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْمِ[1]
وإنّــي على مـــا كان أَوَّلُ أوَّلٍ ... عليـه ، كذاك القَرْم يُنْتَجُ للقَرْمِ
وأُكرِم نَفسي عــن أُمــور دَنِيئة ... أَصونُ بها عِرضي وآسو بها كَلْمي
وأُصفحُ عَمَّن لــو أشاءُ جَزَيته ... فيمنعني رُشْدِي ويُدرِكُني حِلْمي
وأُغفــر للمــولى وإنْ ذو عَظِيمَةٍ ... على البَغْي منها لا يَضِيقُ بها حَزْمي
فهَــذي فِعالي مـــا بَقيتُ وإنّني ... لَمُوصٍ به عَقْبي إذا كُنتُ في رَجْمي[2]

فقال له قومه : لو كان أوَّلُ قولِك كآخِره يا خفاف لأطفأت النائرة ، وأذهبت سخائم النَمائم ، فقال العبّاسُ مُجيباً له[3] : [من الطويل]

أَلا أيُّها المُهْـديّ ليَ الشتْم ظالماً ... تَبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَــة مَنْ تَرْمي
أبى الذَّمَّ عِرضي إنَّ عِرضيَ طاهرٌ ... وإنّــي أَبيٌّ مــن أُباةٍ ذوي غَشْمِ[4]
وإنّــي مــن القومِ الذين دماؤُهُم ... شِفاءٌ لطُلاَّب التِّراتِ من الوَغْمِ[5]

وقال أيضاً[6] : [من البسيط]

إن تَلْقَني تَلــقَ ليثــاً في عَرينَتِه ... من أُسْد خِفّانَ في أُرساغه فَدَعُ[7]
لا يبرح الدهرَ صيداً قــد تقنّصه ... من الرجالِ على أَشداقــه القَمَعُ[8]

وكان العبّاس وخفاف قد همّا بالصُّلح ، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب ، فجاء غوِيّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس : إنَّ خُفافاً قد أنْحى عليك وعلى والدَيْك ؛ فغضب العبّاس ، ثم قال : قد واللهِ هجاني ، فكان أعظمُ ما عابني به أصغرَ عيب فيه ، ثم هجا والديَّ فما ضرَّهما ولا نَفعه ، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتّقاني بغيره ، ولو شئتُ لشتمت أَباه وثَلبت عِرضَه ، ولكنِّي وإيّاه كما قال شِبامُ بني زُبيد لابن عم له ، يقال له ثَرْوان بن مُرّة ،

---

1 حنفاء اليدين : معوجتهما .
2 رجمي : قبري .
3 ديوان العباس : 105 .
4 الغشم : الظلم .
5 الوغم : الحقد الشديد . وفي الديوان «الرغم» وفي رواية «لطلاب الشفاء» .
6 ديوان العباس : 87 .
7 فدع : اعوجاج .
8 القمع : الاحمرار .

كان أشبه الناس بخُفاف : [من الطويل]

وهبتُ لثَرْوانَ بنِ مُـرَّة نفسَه ... وقـد أَمكنتني مـن ذُؤابَتِه يدي

وأحمِلُ مـا في اليوم من سُوء رأيه ... رجاءَ الذي يأتي بـه الله في غدِ

ولستُ عليـه في السَّفاه كنفسه ... ولَستُ إذا لم أهجُـه بمُوعِّدِ

وقال[1] : [من الوافر]

أَراني كلّمـا قاربتُ قومـي ... نـأَوْا عنِّـي وقَطعهُم شديدُ

سئمت عِتابَهم فصفحتُ عنهم ... وقلـتُ لعـلَّ حلمَهُم يعودُ

وعلَّ الله يُمْكِنُ مـن خُفافٍ ... فأسقِيَـه التي عنهـا يَحِيدُ

بما اكتسبت يداهُ وجَرَّ فينا ... من الشَّحْنا التـي ليست تَبيدُ

وأَنَّى لي بـودٍّ بني خُفافٍ ... وعـوْف والقلوبُ لها وَقودُ

وإنِّـي لا أَزال أُريـدُ خيراً ... وعنـد الله مـن نَعَمٍ مَزيدُ

فضاقت بي صدورُهمُ وغصَّت ... حُلوقٌ مـا يَبِضُّ لهـا وريدُ[2]

متـى أَبعُـدْ فشرُّهُمُ قريبٌ ... وإن أَقـرُبْ فوُدُّهـم بعيدُ

أَقول لهم وقد لَهِجُوا بشَتمي : ... ترَقَّوْا يـا بنـي عوفٍ وزيدُوا

فما شَتْمي بنافع حَيٍّ عَوفٍ ... أينقُصُني الهُبـوطُ أَم الصُّعودُ[3]

أَتجعلُني سَراةُ بنـي سُلَيـم ... ككلـبٍ لا يهِـرُّ ولا يصيدُ

كأنِّي لم أَقُـد خيـلاً عِتاقاً ... شَوازبَ ما لها في الأرض عودُ[4]

أُجَشِّمها مَهامِـهَ طامِساتٍ ... كأَنَّ رمالَ صَحصَحِها قُعودُ[5]

عليها مـن سَراة بنـي سُلَيم ... فَوارس نجدةٍ في الحربِ صيدُ

فأوطىء مـن تريـد بني سُلَيم ... بِكَلْكَلِها ومـن ليست تُريدُ

فلمّا بلغ خُفافاً قولُ العبّاس قال : والله ما عِبْتُ العبّاس إلاّ بما فيه ، وإنّي لسليمُ العود ، صحيح الأديم ، ولقد أدنيتُ سوادي من سَواده فلم أحجِم ولا نَكَصتُ عنه ، وإنّي وإيّاه كما قال

1 ديوان العباس : 42–43 .

2 يبض : يسيل .

3 أينقصني في الديوان : أينفعني .

4 الشوازب : الضامرة . وفي الديوان : «مثلها» بدل «ما لها» .

5 الصحصح : الأرض المستوية الجرداء .

ثَرْوان لشِيام بني زَبيد ، وكان يَلْقى منه ما أَلقى من العبّاس ، قال : [من الطويل]

رأَيتُ شِياماً لا يـزال يَعيبني فللّـهِ مـا بـالي وبـالُ شبامِ
فقَصرُك منّـي ضَربـةٌ مازِنيَّةٌ بكفّ امرىءٍ في الحرب غير كَهامِ[1]
مـن اليوم أَو مـن شَيْعِه بمهنَّدٍ خَصومٍ لهامـات الرجال حُسامِ[2]
فتُقصِر عنّي يـا شِيامُ بنَ مالكٍ ومـا عضَّ سيفي شاتمي بحِرامِ

وقال خفاف[3] : [من الوافر]

أَرى العبّاسَ ينقصُ كلَّ يـوم ويزعـم أَنّه جَهـلاً يَزيدُ
فلو نُقِضَت عزائمُـه وزادت سلامتُـه لكان كما يَريدُ[4]
ولكـنَّ المَعالِـمَ أَفسدتـه وخُلْـقٌ في عشيرتـه زَهيدُ[5]
فعبّاسُ بـن مِرْداس بن عمْرو وكِذْبُ المرء أَقبحُ مـا يُفيدُ
حلفتُ بربٍّ مكّـةَ والمُصلّى وأَشيـاخٍ محلّقـة تَنُـودُ[6]
بأَنّك مـن مودَّتِنا قريـبٌ وأَنتَ مـن الذي تَهوى بَعيدُ
فأَبشِر ان بقِيتَ بيـوم سوءٍ يَشيبُ له من الخوف الوليدُ
كيومك إذ خرجت تَفوق ركضاً وطـار القلبُ وانتفَخ الوريدُ
فدَعْ قـولَ السّفاهَةِ لا تَقُلْه فقـد طـال التَّهدُّدُ والوعيدُ
رأَينـا مَـن نُحاربُـه شَقِيّاً ومن ذا يـا بنـي عَوْف سَعيدُ

وقال خُفافٌ أيضاً[7] : [من المتقارب]

أعبّـاسُ إنّـا ومـا بيننا كصَدْع الزُّجاجة لا يُجبَرُ
فلستَ بكُـفءٍ لأعراضِنا وأَنـت بشَتْمِكَنـا أَجدرُ[8]

1 في الحرب في ل : في الحي .
2 شيعه : بعده ، يعني به الغد بعده .
3 مجموع شعره : 62–63 .
4 مجموع شعره : وبادت بدل وزادت .
5 المجموع : «المعايب . . . وخلف . . .» . وزهيد : لئيم .
6 تنود : تتمايل من النعاس . وفي ل ومجموع شعره : تهود ، بمعنى تتوب .
7 مجموع شعره : 55–58 .
8 مجموع شعره : بشتمكم .

ولسنا بأهلٍ لما قُلتُمُ ... ونحن بِشَتْمِكُمُ أعذرُ
أراكَ بَصيراً بتلكَ التي ... تُريدُ وعن غيرها أعورُ
فقصرُك منّي رَقيقُ الذّبا ... بِ عَضْبٌ كَرِيهتُه مِبْتَرُ[1]
وأزرقُ في رأسِ خَطِّيَّةٍ ... إذا هُزَّ أكعُبُها تخطرُ
يَلوح السِّنان على متْنِها ... كنارٍ على مَرْقَبٍ تُسعَرُ
وزَعْفٌ دِلاصٌ حَباها العَزيزُ ... توارثها قبلَه حِمْيَرُ[2]
فتلكَ وجرداءُ خَيْفانَةٌ ... إذا زُجِر الخيلُ لا تُزجَرُ[3]
إذا ألقت الخيلُ أذيالها ... فأنت على جريها أقدرُ[4]
متى يبلُلِ الماءُ أعطافَها ... تبُذُّ الجيادَ وما تُبْهَرُ
أُنهنِه بالسوطِ من غَرْبها ... وأُقدِمُها حيثُ لا يُنكَرُ[5]
وأرحَضُها غيرَ مذمومةٍ ... بلبَّاتها العَلَقُ الأحمرُ[6]
أقولُ وقد شكَّ أقرابَها ... غدرتَ ومِثلي لا يغدِرُ[7]
وأُشهِدُها غمراتِ الحروبِ ... فسِيَّانِ تَسلَم أو تُعقَرُ

وقال العبّاس[8] : [من المتقارب]

خُفافُ ألم تَرَ ما بيننا ... يزيدُ استعاراً إذا يُسعَرُ
ألم تَرَ أنّا نُهين التّلا ... دَ للسائلين وما نُعذِرُ[9]
لأنّا نُكلّفُ فوق التي ... يُكلِّفها الناسُ لو تخبُرُ
لنا شِيَمٌ غَيرُ مجهولةٍ ... تَوارثها الأكبرُ الأكبرُ

1 قصرك : يكفيك .
2 حباها العزيز في ل : كاء الغدير . والزغف : الدروع المحكمة . والدلاص : الشديدة المُلْوسة .
3 الخيفانة : السريعة .
4 أذيالها في ل وشعره : أولادها .
5 أنهنه : أكف . وغربها : نشاطها وحدتها .
6 أرحضها : أغسلها (بعرقها) . ويروى : وأرجعها .
7 الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .
8 ديوان العباس : 63–64 .
9 نهين في الديوان : وهبنا .

وخيــلُ تكدَّسُ بالدَّارعيـ ـن تُنْحَر في الرَّوع أَو تُعقرُ
عليها فــوارِسُ مَخبورةٌ كجِنٍّ مساكِنُهــا عَبْقَرُ[1]
ورَجْراجةٌ مثلُ لونِ النجو م لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ[2]
وبِيضٌ سوابــغُ مَسرودةٌ مواريثُ مـا أَورثت حِمْيَرُ
فقد يعلم الحَيُّ عند الصِّياح بــأَنّ العَقِيلة بــي تُسترُ[3]
وقد يعلم الحيُّ عنـد الرها نِ أَنّي أَنا الشامخ المُخْطِرُ[4]
وقد يعلم الحيُّ عنـد السؤا لِ أَنّي أَجــودُ وأُستَمْطَرُ
فأَنَّــى تعيِّرني بالفخــارِ فهــا إن هــذا هـو المُنْكَرُ

صوت

[من الطويل]

أَلا لا أُبــالي بعـد رَيَّا أَوافقتْ نَوانا نَـوى الجِيرانِ أَم لم تُوافِقِ
هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوجهِ سُرْبِلتْ من الحُسْنِ سِربالاً عتيقَ البنائِقِ

الشعر لجَبْهاء الأَشجَعيّ[5] ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 مخبورة : مجربة .
2 رجراجة : كتيبة تموج من كثرتها . والحسر : الذين لا تروس ولا دروع لهم .
3 عند الصياح في ل : عند الصباح .
4 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .
5 شعراء مقلون : 23 عن الأغاني .

[379] ـ أخبار جبهاء ونسبه[1]

جَبْهاء لقب غَلب عليه ، يقال جَبْهاء وجُبَيْهاء جميعاً ، واسمه يَزيدُ بن عُبَيد ، ويقال : يَزيد بن حُمَيْمة بن عُبيد بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحَيم بن عُبَيد بن هِلال بن زَبيد بن بَكْر بن أشْجَع ، شاعر بدوِيّ من مَخاليفِ الحِجاز ، نشأ وتوفِّيَ في أيّام بني أميّة ، وليس مِمّن انتجَع الخلفاء بشِعْره ومدحهم فاشتهر ، وهو مُقِلٌّ ، وليس من مَعْدودي الفُحول ، ومن الناس مَن يَروي هذه الأبيات لأبي رُبَيْس الثَّعلبي[2] وليس ذلك بِصحيح ، وهي في شعر جَبْهاء موجودة .

[الفرزدق يستنشده]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو الحَسَن الأحول ، عن الطُّوسيّ ، عن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجعيُّ البصرةِ بجَلُوبَة[3] له يريد بَيعَها ، فلَقِيَه الفرزدقُ بالمِرْبَد ، فقال : مِمَّن الرَّجُل ؟ قال : مِن أشجَع ، قال : أتعرِفُ شاعراً منكم يُقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أفتروي قوله[4] : [من الكامل]

أمِنَ الجَميع بذي البقاع رُبوعُ ... هاجت فؤادَك والرُّبوعُ تَروعُ[5]

قال : نعم ، قال : فأنشِدْنِيها ، فأنشدَه قولَه منها : [من الكامل]

من بعد ما نَكِرت وغَيَّر آيَها ... قَطْرٌ ومُسبِلَةُ الدّموع خَريعُ
يا صاحِبَيَّ ألا ارْفَعا لي آيةً ... تَشْفي الصُّداع فيُذهلَ المرفوعُ[6]

---

1 ترجمة جبهاء الأشجعي في المؤتلف والمختلف : 104–106 وسمط اللآلي : 640 والمفضليات (المفضلية رقم 33/32) . وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في «شعراء أمويون» .

2 في التاج : «أبو ربيس (عباد بن طهمة) هكذا بالميم ، وفي التكملة . . . وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي (شاعر) من بني ثعلبة . . . وفي اللسان وأبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب وهو تصحيف . . .» .

3 جلوبة : إبل يحمل عليها المتاع .

4 شعراء أمويون : 21–22 .

5 بذي البقاع : يروى بذي النُّعاع : وهو النبات الغض الناعم .

6 شعراء أمويون : ارفعاني إنه . . .

أَلْـــواح ناجِيَـــة كأَنَّ تَلِيلَها   جذْعٌ تُطِيف بـه الرُّقاةُ مَنِيعُ[1]

حتى أَتى على آخرها ، فقال الفرزدَق : فأُقسِم بالله إنّك لَجَبْهاء ، أو إنَّك لشَيْطانه .

قال الأخفَشُ في خبَره عن أصحابه : الخَريعُ : الذاهِبَة العَقْل ، شَبَّه السحابةَ بها لأنَّها لا تَتَمالك من المطر .

أَخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عُبيد المكتب قال : حدَّثني عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكَلْبيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجَعيّ المدينة بجَلُوبة له ، فبينا هو يبيعها والفرزدق يومئذٍ بالمدينة إذ مَرَّ به ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أَتروي قصيدته : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي بعـد رَيَّا أَوافَقَتْ   نَوانا نَوى الجيران أَم لم تُوافِقِ

قال : نعم . قال : أنْشِدنيها ، فأَنشده إيّاها ، فقال الفرزدق : أُقسم بالله إنّك لجُبَيْهاء ، أو إنّك لَشَيْطانه .

[إبله تحن إلى أوطانها]

أَخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن سُليمان بن عيَّاش ، قال : قالت زوجة جَبْهاء الأشجعيّ له : لو هاجرتَ بنا إلى المدينة وبِعْتَ إبِلكَ واقترَضْت في العطاء كان خيراً لك ، قال : أفعلُ . فأَقبَل بها وبإبِله حتى إذا كان بحرّة وَاقِمَ من شرقيّ المدينة ، شَرَّعَها بحوض واقِمَ[2] ليَسْقِيَها ، فحنَّت ناقة منها ثم نَزَعت ، وتَبِعَتها الإبلُ ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقِل ، تحنُّ إلى أوطانِها ، ونحن أحقُّ بالحنين منها ، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعي ، وفعل اللهُ بك وفعلَ وردّها وقال[3] : [من الكامل]

قالت أُنيْسَةُ دَعْ بلادَك والتمِس   داراً بطَيْبَـــة رَبَّـــةِ الآطــامِ

تَكتُب عِيالَك في العَطاءِ وتَفْتَرِض   وكـــذاك يفعــلُ حــازِمُ الأَقوامِ

فهمَمْتُ ثـم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا   بِلِـوى عُنَيْزَةَ أوَ بقُــفٍّ بشامِ[4]

إذ هُنَّ عـن حَسَبي مَذاوِد كُلَّما   نـــزل الظــلامُ بعُصْبـةٍ أَغْتامِ[5]

---

1 الناجية : الناقة . والتليل : العنق .

2 شرعها : أوردها الماء . وواقم : من آطام المدينة . وحرة واقم إلى جانبه .

3 شعراء أمويون : 26 .

4 اللوى : ما التفّ من الرمل . والقف : ما ارتفع من الأرض .

5 أغتام : لا يفصحون .

إنّ المَدينَــةَ لا مَدِينَــةَ فالْزمي ... حِقْـفَ السِّنادِ وقُبَّـةَ الأَرجامِ[1]

يُحْلَب لكِ اللَّبنُ الغَرِيض ويُنْتزع ... بالعيس مــن يَمـنٍ إليكِ وشامِ

وتُجـاوِري النفـرَ الذين بِنَبْلِهم ... أُرمِـي العَدُوَّ إذا نهضت أُرامي

الباذلـين إذا طلبت تِلادَهـم ... والمانِعـي ظَهْـري مـن الغُرَّامِ

[منيحته لتيميّ]

أُخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ زُهير ، قال : حدَّثني مُصعَب قال : جاور جَبْهاء الأشجعيُّ في بني تَيم ، بطنٍ من أشجع ، فاستمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً ، فمنحه إيّاها فأمسكَها دَهْراً ، فلمّا طال على جَبْهاء ألاّ يردَّها ، قال جبهاء[2] : [من الطويل]

أَمَـوْلى بَنــي تَيْمٍ ألستَ مُؤَدِّياً ... مَنِيحتَنـا فيمـا تُـرَدُّ المَنائِحُ[3]

لهـا شَعَرٌ ضافٍ وجِيـدٌ مُقلِّص ... وجسمٌ زُخارِيٌّ وضِرْسٌ مُجالِحُ[4]

فأرسل إليه التَّيْميّ يقول : [من الطويل]

بَـلى ، سنؤدِّيهـا إليـكَ ذميمَةً ... لِتَنْكِحها إن أَعوَزَتْـك المَناكِحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل ، وقال : [من الطويل]

لو كنتُ شيخاً من سَواةَ نكحتُها ... نِكاحَ يَسارٍ عَنْزَهُ وهْـيَ سارِحُ

قال : وهم يُعيَّرون بنكَّاح العَنْز .

[قوله لمن مطله الكبش]

أُخبرني وكيع ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدينيّ ، عن مُصْعَب ، قال : استَطْرق جَبْهاءُ الأشجعيّ موسى بن زياد الأشجعيّ كبشاً ، فوعده ثم مَطلَه ، فقال جَبْهاء[5] : [من البسيط]

واعَدَني الكبشَ مُوسى ثـم أَخلفَني ... ومـا لِمثْـلِيَ تُعتَـلُّ الأَكاذِيبُ

يـا ليتَ كَبشَكَ يا مُوسى يُصادِفُه ... بـين الكُراعِ وبـين الوَجْنَةِ الذِّيبُ

أَمسى بذي الغُصن أَو أَمسى بذي سَلَمٍ ... فَقَحَّمَتْـه إلى أَبياتِـك اللُّوبُ[6]

1 حقف : ما اعوج من الرمل . والأرجام : أرض الستار .

2 انظر المفضلية 33 وشعراء أمويون : 16–17 .

3 المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك .

4 المقلص : الطويل . والزخاري : الكثير اللحم والشحم . والمجالح : الذي يجتلح (بقشر) الشجر .

5 شعراء أمويون : 15 عن الأغاني .

6 اللوب : العطش .

فجـــاء والحـــيُّ أَيقــاظٌ فطافَ بهم ... طوفيْــن ثـــم أَقرَّتـــه الأَحاليبُ
فبـــات ينظـــرُه حـــرّانَ مُنطَوِيـاً ... كأنّه طالــبٌ للوِتْـــرِ مَكروبُ
وقـــام يَشْتَدّ حتـــى نـــال غِرَّتَه ... طاوي الحَشا ذَرِبُ الأَنيابِ مَذْبُوبُ[1]
بغَفْلَـةٍ مـــن زُرَيـقٍ فاستمَرَّ بـهِ ... ودونـه آكُـمُ الحِقْـفِ الغرابيبُ
سَلْ عنْـه أرخمـــةً بِيضاً وأغرِبةً ... سوداً لهـــنَّ حنًى أُطْمى سَلاهِيبُ[2]
يَرديـــن رَدْيَ العَذارى حول دمنتِهِ ... كما يطـوفُ على الحـوضِ المعاقيبُ
فجـــاء يحمـــلُ قرنيـه ويندبـه ... فكلُّ حـــيٍّ إذا مـــا ماتَ مندوبُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

وَلَهـــا ولا ذَنْبَ لهـــا ... حُـبٌّ كأَطْراف الرِّمـاحِ
في القَلْبِ يَجْرَحُ والحَشا ... فالقَلْبُ مَجروحُ النَواحي

الشعر لوالِبة بن الحُباب ، والغناء ليَزيد ، رمل بالوسطى عن الهِشاميّ وعمرو ، وفيه لسبك الزامر لحن عن ابن خُرداذْبه .

1 مذبوب : مجنون . وذرب الأنياب : حادها .
2 السلاهيب : الطوال .

[380] ـ أخبار والبة بن الحباب[1]

والِبَة بنُ الحُباب أَسديٌّ صلِيبَةً ، كوفيٌّ ، شاعر من شعراء الدولة العبّاسيّة ، يُكْنى أبا أُسامة . وهو أُستاذ أبي نُواس ، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وصّافاً للشراب والغِلمان المُرْد ، وشعرُه في غير ذلك مُقارب ليس بالجَيِّد ، وقد هاجى بشّاراً وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً وفضَحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، وخَمَل ذكرُه بعد .

[المهدي لا ينادمه]

أَخبرني محمدُ بن مزيد قال : حدّثنا حمَّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أَبي ، وأَخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، والحسن بن عليّ الأَدَميّ جميعاً ، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدّثنا يعقوب بن عمر ، قال : حدّثني أحمد بن سلمان ، قال : حدّثني أبو عدنان السُّلَميّ الشاعر ، قال[2] : قال المهديّ لعُمارة بنِ حَمْزة : مَنْ أَرَقُّ النّاسِ شِعْراً ؟ قال : والِبةُ بنُ الحُباب الأَسديّ ، وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

وَلَهــا ولا ذَنْـبَ لهــا … حُـبٌّ كأَطْـرافِ الرِّماحِ
في القلبِ يَقْـدحُ والحَشا … فالقلبُ مَجْروحُ النَّواحِي

قال : صدقتَ والله ، قال : فما يَمنَعُك عن مُنادمَته يا أَميرَ المؤمنين ؟ قال : يَمْنعُني قولُه : [من السريع]

قُلـتُ لِساقِينا على خَلْـوةٍ … أَدْنِ كذا رأسَك من راسي
ونَمْ على صَدْرِك لي ساعةً … إنِّـي امـرؤٌ أَنكَحُ جُلاَّسي

أَفَتُريدُ أَن نكونَ من جُلاَّسِهِ على هذه الشَّريطة ؟

[شعر في أبي نواس]

أخبرني الحُسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة : حدَّثني عبدُ الله بن مُسلم بن قُتَيْبة ، ووجدتُه في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ ، فجمعتهما ، قال : حدّثني الدَّعلجيّ غلامُ أَبي نواس ، قال : أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نواس قولَه[3] : [من المديد]

---

1 ترجمة والبة بن الحباب في تاريخ بغداد 13 : 487–490 وطبقات ابن المعتزّ : 87–89 والوافي بالوفيات 4 : 247–248 والشعر والشعراء (ترجمة أبي نواس) . وانظر أعلام الزركلي .

2 انظر الخبر والشعر في طبقات ابن المعتزّ : 88–89 .

3 البيت في ديوان أبي نواس (الغزالي) : 41 وانظر الموشح : 241 .

يا شقيقَ النفْسِ من حَكَمٍ نمتَ عَـنْ ليـلي ولم أنَمِ[1]

وكان قد سكر ، فقال : أُخبرك بشيء على أن تكتمه ؟ قلتُ : نعم ، قال : أتدري مَن المَعْنِيّ بقوله : يا شَقيق النفس من حَكم ؟ ، قلت : لا ، قال : أَنا والله المعنيُّ بذلك ، والشعر لوالِبة بنِ الحُباب ؛ قال : وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أَعلم . فما حدَّثت بهذا حتى مات .

[أصدقاء والبة]

قال : وقال الجاحظ : كان والبة بنُ الحُباب ، ومُطيعُ بن إياس ، ومُنقذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ ، وحَفْصُ بن أبي وردة ، وابن المقفَّع ، ويونُسُ بن أبي فَرْوة ، وحمّادُ عَجْرد ، وعليٌّ بن الخليل ، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية ، وابن الزِّبرِقان ، وعُمارة بن حمزة ، ويزيدُ بن الفَيض ، وجميلُ بن محفوظ ، وبشَّار المُرَعَّث ، وأبانُ اللاّحقيّ ندماء ، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضُهم بعضاً هزلاً وعَمْداً ، وكلّهم مُتَّهمٌ في دِينه .

[تهاجيه مع أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالميُّ الكوفيّ التّيميّ ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، قال : رأيتُ أبا العتاهية جاء إلى أبي ، فقال له : إنّ والبة بن الحُباب قد هجاني ، ومَن أنا منه ؟ أنا جرَّارٌ مسكين ؛ وجعل يرفع من والبة ويضَع من نفسه ، فأُحِبّ أن تكلِّمه أن يُمْسِك عنّي . قال : فكلَّم أبي والبة ، وعرَّفه أنّ أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك ، فلم يقبل وجعل يَشتم أبا العتاهية ، فتركه ؛ ثم جاء أبو العتاهية فسأله عمّا عمل في حاجته ، فأخبره بما ردَّ عليه والبةُ . فقال لأبي : ليَ الآن إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : لا تكلّمني في أَمره ، قال : قلت له : هذا أوَّل ما يجب لك ، قال : فقال : أبو العتاهية يهجوه[2] : [من مجزوء الوافر]

أَوالِـبُ أَنتَ في العرَبِ كمِثْلِ الشِّيصِ في الرُّطَبِ[3]
هَلُـمَّ إلى المَـوالي الصِّيـ ـدِ في سَعَـةٍ وفي رَحَبِ
فأَنـتَ بنـا لعَمْرُ اللـ ـه أَشبهُ منـك بالعرَبِ

1 عن ليلي في ل : عن عيني .
2 ديوان أبي العتاهية : 494–495 (عن الأغاني) .
3 الشيص : أردأ التمر .

غضِبْتُ عليك ثم رأيـ ـتُ وجهَك فانْجَلى غَضَبي
لِما ذكَّرتني من لون أجْـ ـدادي ولونِ أبي
فقُل ما شئتَ أقبلْه وإن أطْنبتَ في الكَذِبِ
لقد أُخبِرت عنك وعن أبيك الخالص العرَبي
فقال العارِفُونَ به مُصاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ[1]
أتانا من بلاد الرُّو مِ مُعْتَجِراً على قَتَبِ
خفيفَ الحاذِ كالصَّمْصا مِ أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ[2]
أوالِبُ ما دهاكَ وأنـ ـتَ في الأعرابِ ذو نَسَبِ
أراكَ وُلِدتَ بالمِرِّيـ ـخِ يا ابنَ سَبائِك الذهبِ
فجئتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْـ ـن أزرقَ عارِمَ الذَّنَبِ
لقد أخطأتَ في شَتمي فخبِّرْني ألَمْ أُصِبِ

وقال في والِبة أيضاً[3] : [من الكامل]

نَطقتْ بنو أَسَدْ ولم تَجهرْ وتكلَّمَت خَفْياً ولم تَظهرْ
وأَما وربِّ البيت لو نطقتْ لتركتها وصَباحُها أغبرْ
أيرومُ شتمي منهمُ رجلٌ في وجهه عِبَرٌ لِمَن فكَّرْ
وابنُ الحُبابِ صَلِيبةٌ زعموا ومن المحالِ صليبةٌ أشقَرْ
ما بالُ مَنْ آباؤه عُرُب الألْـ ـوان يُحسب من بني قَيْصرْ
أترون أهلَ البدوِ قد مُسِخوا شُقراً أما هذا من المُنْكَرْ

قال : وأوّل هذه القصيدة : [من الكامل]

صَرِّحْ بما قد قلتَه واجهَرْ لابن الحُباب وقُل ولا تَحْصَرْ
ما لي رأيتُ أباك أسودَ غِر بيب القَذالِ كأنّه زُرْزُرْ[4]
وكأنّ وجهَك حُمرةً رِئةٌ وكأنَّ رأسَكَ طائرٌ أصفرْ

1 المصاص : الخالص من كل شيء . ومؤتشب : مختلط .
2 الحاذ : الظهر . وخفيف الحاذ : قليل المال .
3 ديوان أبي العتاهية : 459–460 (عن الأغاني) .
4 غربيب : أسود . القذال : جماع مؤخر الرأس . زرزر : زرزور .

قال : وبلغ الشعرُ والبة ، فجاء إلى أبي فقال : قد كلَّمتَني في أبي العتاهية ، وقد رغبتُ في الصّلح ؛ قال له أبي : هيهاتَ إنّه قد أكَّد عليَّ إن لم تقبل ما طلب أن أُخَلِّي بينك وبينه ، وقد فعلت . فقال له والِبة : فما الرأي عندك ؟ فإنّه فضحني ، قال : تنحدر إلى الكوفة . فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وأجودُ ما قاله والبةُ في أبي العتاهية قوله : [من الخفيف]

كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكبُ سار في الآفاقِ
فتكنَّى معتوهُنا بعَتاهٍ ... يا لها كُنيةً أتت باتفاقِ
خلقَ اللهُ لِحْيةً لك لا تَنْـ ... ـفَكُّ معقودةً لدى الحلاَّقِ

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره : [من مجزوء الكامل]

قُل لابنِ بائعةِ الغضارِ ... وابنِ الدَّوارقِ والجِرارِ
تَهوى عُتَيْبَةَ ظاهراً ... وهواك في أَيْرِ الحِمارِ
تهجو مواليك الأُلى ... فَكُّوك من ذلِّ الإسارِ

[والبة وعليّ بن ثابت]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : حدَّثني ابن أبي فَنَن ، قال : كان والبةُ بن الحُباب خليلاً لعليّ بن ثابت ، وصديقاً ودوداً ، وفيه يقول : [من السريع]

حَيّ بها والِبَةَ المُصْطَفى ... حَيٍّ كَرِيماً وابن حُرٍّ هِجانِ
وقاسِماً نَفْسي فدَتْ قاسِماً ... من حَدَث المَوْتِ ورَيْبِ الزَّمانِ

قال : ولمَّا ماتَ والبةُ رثاه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

بكت البَرِيَّة قاطِبَهْ ... جَزَعاً لِمَصْرَع والِبَهْ
قامَتْ لِمَوْتِ أبي أُسا ... مةَ في الرِّفاقِ النَّادِبَهْ

[لقاؤه أبا نواس]

قال : وكان والبةُ أُستاذَ أبي نُواس ، وعنه أخَذ ومنه اقتَبَس ؛ قال : وكان والبةُ قد قَصَد أبا بُجَير الأسديّ وهو يتولّى للمَنْصور الأهوازَ ، فمدَحه وأقام عنده ، فألفى أبو نواسٍ هناك وهو أمرد ، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه ، فلم يزل معه ، فيقال : إنّه كشَفَ ثوبَه ليلةً فرأى حُمرةَ أَلْيَتَيْه وبياضَهما ، فقبَّلَهما فضرَط عليه أبو نواس ، فقال له : لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك ، قال : لِئلاَّ يضيعَ قولُ القائل : ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الاستَ إلاَّ ضَرْطَة .

[شعره في صديقه أبي سلهب]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي الفَضْل ، قال : حدَّثني أبو سلهب

الشاعر ، قال : كان والبةُ بنُ الحُباب صديقي ، وكان ماجناً طبعاً ، خفيفَ الرُّوح ، خَبيثَ الدِّين ، وكنّا ذات يوم نَشرب بغُمَّى ، فانتبه يوماً من سُكْرِه ، فقال لي : يا أبا سلهب ، اسمع ، ثم أنشدني ، قال : [من الوافر]

شَرِبتُ وفاتِكٌ مِثْلي جَمُوحٌ ... بغُمَّى بالكؤوس وبالبَواطِي
يُعاطِيني الزّجاجَةَ أَرْيَحِيٌّ ... رَخِيمُ الدَّلِّ بُورِك من مُعاطِي
أقول له على طَرَبٍ : أَلِطْني ... ولو بمُؤاجِرٍ عِلْجٍ نَباطِي
فما خَبرُ الشَّرابِ بغَيْرِ فِسْقٍ ... يُتابَعُ بالزِّناء وباللِّواطِ
جعلتُ الحجَّ في غُمَّى وبِنّا ... وفي قُطْرُبُّلٍ أبداً رِباطِي[1]
فقل للخَمْسِ آخرُ مُلتَقانا ... إذا ما كان ذاك على الصِّراطِ

يعني الصَّلَوات .

[إبليس يثني على أبي نواس]

قال : وحدّثني أنّه كان ليلة نائماً وأبو نواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه ، فقال له : أتدْري مَنْ هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشعر من الجنِّ والنس ، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين ولأغرِيَنَّ به أهلَ المشرق والمغرب ، قال : فَعلمتُ أنَّه إبليس ؛ فقلتُ له : فما عِندك ؟ قال : عصيتُ ربِّي في سَجْدَةٍ فأهلَكَني ، ولو أمرني أن أسْجُد له ألفاً لسَجَدْت .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قرأتُ على أبي عن أبيه أنَّ حَكَمَ الوادي أخبره أنّه دخل على محمد بن العبّاس يوماً بالبصرة وهو يتململ خماراً ، وبيَدِه كأس وهو يجتهد في شُرْبها فلا يُطِيقه ، ونُدماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم ، وكان يوم نيروز ، فقال لي : يا حَكَم غنِّني فإن أطرَبْتَني فَلكَ كُلّ ما أهديَ إليّ اليوم قال : وبين يديه من الهدايا أمر عظيم ، فاندفعتُ أغنِّي في شِعر والبة بن الحُباب : [من المجتث]

صوت

قد قابلتنا الكؤوسُ ... ودابَرَتْنا النُّحوسُ
واليوم هرمزروز ... قد عَظَّمتْه المَجوسُ
لم نُخطِه في حِسابٍ ... وذاك مِمّا نَسوسُ

---

1 غمّى وبنّا : ناحيتان من نواحي بغداد .

فطرب واستعاده ، فأعدتُه ثلاث مرّات ، فشمَّرت قدحُه[1] واستَمرَّ في شُربه ، وأَمر بحَمْل كلّ ما كان بين يديه إليَّ ، فكانت قيمتُه ثلاثين ألف درهم .

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ وإبراهيم وغيرهما .

صوت[2]

[من الوافر]

لقـــد زادَ الحَيـــاةَ إليَّ حُبّاً ... بناتـي إنَّهُـــنَّ مـــن الضِّعافِ
مخافَةَ أَن يَذُقْن البُؤسَ بَعدي ... وأَن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعـد صافِ
وأَن يَعرَيْن إن كُسيَ الجَواري ... فيُبدي الضُّرُّ عن كَرْمٍ عِجافِ[3]
ولولاهنّ قـــد سَوَّمْتُ مُهرِي ... وفي الرَّحْمانِ للضُّعفاء كافِ

الشعر لعِمران بن حِطان فيما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانيّ ، وذكر المدائنيّ أَنّه لعيسى الحَبطيّ ، وكلاهما من الشُّراة ، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفيّ ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة .

---

1 شمرت قدحه : خففت بالماء .

2 تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن عاتك (فاتك) الخطي (الحبطي) : انظر معجم المرزباني : 95–96 وديوان شعر الخوارج : 71 .

3 المرزباني : فتنبو العين عن عرّ عجاف . وفي رواية : عن هزل عجاف .

[381] ـ أخبار عمران بن حطان ونسبه[1]

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان ، بن ظَبْيان بن لَوْذان ، بن عمرو ، بن الحارث ، بن سدُوس ، بن شَيبان ، بن ذُهْل ، بن ثَعلبة ، بن عُكابة ، بن صَعْب ، بن عليّ ، بن بكر ، بن وائل .

وقال ابن الكلبيّ : هو عِمران بن حِطّان ، بن ظَبْيان ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن سَدُوس . ويُكنى أبا سِمك*. شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ودُعاتهم والمُقدَّمين في مذهبهم ، وكان من القَعَدة ؛ لأنّ عُمرَه طال فضَعُف عن الحرب وحضورها . فاقتصر على الدّعوة والتحريض بلسانه .

[روايته الحديث]

وكان قبل أن يُفتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العِلم والحديث ، ثم بُلي بذلك المذهب فضَلّ وهلك ، لعنه الله ، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة ، وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث . فما رُوي عنه ما أُخبرنا به محمد بنُ العبّاس اليَزيديّ ، قال : حدّثنا الرِّياشيّ ، قال : حدَّثنا أبو الوليد الطَّيالِسيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي صالح بن سَرْح اليَشْكريّ ، عن عِمران بن حِطَّان قال : كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاة ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالقاضي العَدْل ، فلا يزال به ما يرى من شِدَّة الحِساب ، حتى يتمنّى أنّه لم يَقضِ بين اثنَيْن في تَمْرة» .

وكان أصلُه من البصرة ، فلمّا اشتَهَرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجّاج ، فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ، فهرب إلى عُمان ، وكان يتنقّل إلى أن ماتَ في تَواريه .

[أضلّته امرأة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسَنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنِيعُ بن أحمد السَّدوسيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السّنّة والعِلم ، فتزوَّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته ، وقال : أردُّها عن مذهبها إلى الحقّ ، فأضلّته وذهبت به .

1 لعمران بن حطان ترجمة في الإصابة وكامل المبرد : 1083 فما بعدها وميزان الاعتدال 2 : 276 والمؤتلف : 125–126 وخزانة البغدادي 5 : 350–362 وديوان شعر الخوارج (جمع وتحقيق إحسان عباس) : 157–158 وفيه مجموع شعره : 157–191 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[هربه من الحجّاج إلى الشام]

وأخبرني بخبره في هربه من الحجّاج عُمرُ بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا الرِّياشي ، قال : حدَّثنا الحكَمَ بن مروان ، قال : حدَّثنا الهَيْثم بن عديّ قال : طلب الحَجَّاجِ عِمرانَ بن حطّان السَّدوسيّ ، وكان من قعَدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك .

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحَسن بن عليّ الخَفّاف ، ومحمد بن عِمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصَّمد الدّارع ، قال : حدَّثنا أبو عُبيدة مَعْمرُ بن المثَّى ، عن أخيه يزيد بن المثنّى : أن عِمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجّاج ، فطلبه ، وكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك ، فهرَب ولم يزل يتنقّل في أحياء العرب ، وقال في ذلك[1] : [من الوافر]

حَلَلْنا في بني كَعْبِ بن عَمْرٍو ... وفي رِعْــلٍ وعامـرِ عَوْثَبانِ[2]
وفي جَرْمٍ وفي عمرو بن مُــرٍّ ... وفي زيــدٍ وحـيّ بني الغُدانِ[3]

[عند روح بن زنباع]

ثم لحق بالشام فنزل برَوْح بنِ زِنباع الجُذامي ، فقال له رَوْح : مِمّن أنت ؟ قال : من الأزد ، أزْدِ السّراة . قال : وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين إنَّ في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قطّ إلاّ حدَّثني به وزاد فيما ليس عندي . قال : مِمَّن هو ؟ قال : من الأزْد ، قال : إنّي لأسمعُك تصف صفة عِمران بن حِطّان ؛ لأنّني سمعتك تذكر لغة نزاريّة . وصلاة وزهداً ورواية وحِفْظاً ، وهذه صفته . فقال رَوْح : وما أنا وعمران ! ثم دعا بكتاب الحجّاج فإذا فيه : أما بعد : فإنّ رجلاً من أهل الشّقاق والنّفاق ، قد كان أفسد عليّ أهلَ العراق وحبّبهم بالشّراية ، ثم إنّي طلبته ، فلمّا ضاق عليه عملي تحوَّل إلى الشام ، فهو ينتقِل في مدائنها ، وهو رجل ضَرْب طوالٌ أفوه أروقُ[4] ، قال : قال رَوْحٌ : هذه والله صِفةُ الرجل الذي عندي . ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، لعنه الله ، بقَتْلِه عليَّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه[5] : [من البسيط]

---

1 شعره : 183 .
2 شعره : وفي علك .
3 شعره : وفي لخم وفي أدّ بن عمرو ... وفي بكر . . .
4 الضرب : الخفيف اللحم . والأروق : الطويل الأسنان .
5 شعره : 164 مع بعض اختلاف .

يـــا ضَربةً من كَرِيمٍ ما أَرادَ بها إلاّ ليبلُغَ من ذي العَرْش رِضْوانا
إنِّي لأُفْكِـــر فيـــه ثـــم أحْسَبه أُوفى البَرِيَّـــة عنــــد اللهِ مِيزانا

ثم قال عبدُ الملك : مَن يعرِفُ منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لِرَوْح : سَلْ ضيفَكَ عن قائلها ، قال : نعم أنا سائِلُه ، وما أراه يَخْفى على ضَيفِي ولا سألتُه عن شيء قَطّ فلم أجِده إلاّ عالِماً به . وراح رَوْح إلى أضيافه ، فقال : إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذي يقول :

يا ضَرْبَةً من كَرِيمٍ ما أَرادَ بِها . . . .

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عن قائِله ، فلم يكن عند أَحدٍ منهم عِلْم ، فقال له عِمرانُ : هذا قولُ عمران بن حِطّان في ابن مُلْجَم قاتل عليّ بن أبي طالب . قال : فهلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدِنيه ؟ قال : نعم : [من البسيط]

لله دَرُّ المُـــراديِّ الذي سَفَكَـــت كَفّاه مُهْجَـــة شَرّ الخَلْقِ إنسانا
أمسى عَشِيّـــة غَشّاه بضَرْبَتِـــه مِمّا جَنـــاهُ مـــن الآثـــامِ عُرْيانا

صلوات الله على أَميرِ المؤمنين ، ولعَن اللهُ عِمرانَ بن حِطّان وابن ملجَم ، فغدا رَوْح فأخبر عَبد الملك ، فقال : مَن أَخبرَك بذلك ، فقال : ضيفي ، قال : أظنّه عِمرانَ بنَ حِطّان ، فأعْلِمه أنّي قد أمرتُك أن تأتيَني به ، قال : أفعلُ . فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبلَ على عِمْران ، فقال له : إنِّي ذكرتُك لعَبد المَلِك ، فأمرني أَن آتيَه بك ، قال : كنت أُحِبّ ذلك منك ، وما مَنَعَني من ذِكْرِه إلاّ الحياءُ منك ، وأنا مُتَّبِعُك ، فانطلقْ . فدخل رَوْح على عبد الملك ، فقال له : أينَ صاحِبُك ؟ فقال : قال لي : أنا متّبِعُك قال : أظنُّك واللهِ ستَرْجع فلا تجِدُه . فلمّا رجعَ رَوْح إلى منزله إذا عِمرانُ قد مَضى ، وإذا هو قد خَلَّف رُقعةً في كَوَّةٍ عند فِراشه ، وإذا فيها يقول[1] : [من البسيط]

يا رَوْحُ كَم من أخي مَثْوًى نزلت به قـــد ظَنَّ ظَنَّك من لَخْمٍ وغسّانِ
حتى إذا خِفتُـــه فارقـــتُ منزِلَه من بعد ما قِيلَ : عِمرانُ بنُ حِطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حَولاً لا تروِّعُني فيـــه الطوارِقُ من إنْسٍ ولا جانِ
حتى أردت بيَ العُظْمى فأَوحَشَني ما أَوحشَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوانِ

1 شعره : 179–180 مع بعض اختلاف .

فاعذِر أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنَّ له ... في الحادثاتِ هَناتٍ ذاتَ أَلْوانِ
يوماً يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ ... وإن لَقِيتُ مَعَدِّيّاً فعَدْناني
لو كنتُ مُستغفِراً يوماً لطاغيَةٍ ... كُنتَ المُقدَّم في سِرِّي وإعلاني
لكن أبتْ ذاك آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عند التِّلاوة في طَهَ وعِمْرانِ[1]

[لجوءه إلى زفر بن الحارث]

قال : ثم أُتى عِمران بن حِطّان الجزيرة ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابيّ بقَرْقِيسيا ، فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبون من صَلاتِه وطُولِها ، وانتسب لزُفَر أوزاعيّاً . فقدِم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بن حِطّان بالشام عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلَّم عليه . فقال زُفَر للشّامي : أتَعْرِفه ؟ قال : نعم ، هذا شيخ من الأزْد ، فقال له زفر : أزَدِيٌّ مرَّة وأوزاعيٌّ أخرى ! إن كنتَ خائِفاً آمنّاك ، وإن كنت عائِلاً أغنيناك ، فقال : إنّ الله هو المُغني ، وخرج من عنده وهو يقول[2] : [من البسيط]

إنّ التي أَصبحَت يَعْيا بها زُفَرٌ ... أعْيَت عَياءً على رَوْحِ بنِ زنباعِ
أَمسى يُسائلُني حولاً لأُخبِرَه ... والناسُ من بين مَخدوعٍ وخَدَّاعِ
حتى إذا انْجَذَمَتْ مِنِّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعي[3]
فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إنّني رجلٌ ... إمّا صريحٌ وإمّا فَقْعَةُ القاعِ[4]
أمّا الصَّلاةُ فإنّي غيرُ تارِكِها ... كلُّ امرىءٍ للّذي يُعْنى به ساعي
فاكفُف لِسانَك عن هَزِّي ومسألتي ... ماذا تُريد إلى شيخٍ لأوزاعِ
أَكرِمْ برَوْحِ بن زِنباعٍ وأُسرتِه ... قوماً دَعا أَوَّليهم للعُلا داعي
جاورتُهم سنَةً فيما دَعَوتُ به ... عِرضِي صَحيحٌ ونَوْمي غَيرُ تَهجاعِ
فاعمَلْ فإنّك مَنْعيٌّ بحادِثَةٍ ... حَسْبُ اللَّبيب بهذا الشيبِ من ناعي

[هربه إلى عُمان]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثِرون ذكرَ أَبي بلال مرداس بن أُدَيَّة ، ويُثْنون عليه ويذكرون فضله ، فأظهر فضلَه ويسَّر أمرَه عندهم ، وبلغ الحجَّاج مكانُه ، فطلبه ، فهرب

---

1 عند التلاوة في ل والشعر : عند الولاية .
2 شعره : 180–181 مع اختلاف يسير .
3 إهلاعي : إفزاعي وترويعي .
4 فقعة القاع : من لا أصل له وقد تقدم المثل .

فنزل في روذَميْسان ، طَسُّوج[1] من طاسيج السَّواد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزْد ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

نَزلتُ بحَمْدِ الله في خَيْر أُسرةٍ أُسَرُّ بما فيهم من الإنْسِ والخفَرْ
نزلتُ بقومٍ يجمَعُ اللهُ شملَهم وما لهم عُودٌ سِوى المَجْد يُعْتَصَرْ
من الأَزْدِ إنّ الأَزْدَ أَكرمُ أُسرةٍ يمانيّةٍ قَرُبوا إذا نُسِب البَشَرْ[3]

قال اليزيديُّ : الإنْس بالكَسْر : الاستئْناس . وقال الرِّياشيّ : أراد قَرُبُوا فخفَّف ، قال : [من الطويل]

وأَصبحتُ فيهم آمناً لا كَمَعْشَرٍ بَدَوْني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ[4]
أَوِ الحيِّ قَحْطانٍ وتلْك سَفاهةٌ كما قال لي رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَرْ
وما مِنهمُ إلاّ يُسَرُّ بنسبةٍ تُقرِّبني منهم وإن كان ذا نَفرْ
فنحن بَنو الإسلامِ واللهُ واحدٌ وأَولى عِبادِ الله باللهِ مَنْ شكرْ[5]

[من الذي حوّله عن مذهبه ؟]

أَخبرنا اليزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ عن المُعتَمِر بن سليمان قال : كان عِمرانُ بن حِطّان رجلاً من أهل السنّة ، فقدِم عليه غلام من عُمان كأنّه نَصْل ، فقلبه عن مَذْهبه في مجلس واحد .

أَخبرني اليزيديُّ ، قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، قال : حدَّثنا مسدَّدُ بن مُسرْهَد ، قال : حدَّثنا بِشْرُ بن المفَضَّل ، عن سَلَمة بن عَلْقَمةَ ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيلْ العَنَزيُّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن عليّ القلاّسُ ، وعبّاس العنبريّ ، ومحمد بن عبد الله المخزوميّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن بشر بن المُفضَّلِ ، عن سلَمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : تزوَّج عمرانُ بن حطّان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها ، فقال : أردُّها عن مذْهبها فذهبت هي به .

[متخلف عن الخروج يتمثل بشعر عمران]

نَسختُ عن بعض الكتب : حدَّثنا المدائنيُّ ، عن جُوَيْرِيّة قال : كتب عيسى الحَبَطيُّ إلى

1 الطسوج : الناحية أو القرية .
2 شعره : 182 مع بعض اختلاف .
3 شعره : طابوا بدل قربوا .
4 شعره : أتوني فقالوا .
5 شعره : والله ربنا .

رجلٍ منهم يقال له أبو خالد ، كان تخلَّف عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم[1] : [من الطويل]

أبـا خالـدٍ أنفِرْ فلستَ بخالدٍ   وما تـركَ الفُرقانُ عُذْراً لِقاعِدِ
أتزعـمُ أنَّ الخارجين على الهُدى   وأنت مُقيمٌ بـين لِصٍّ وجاحدِ !

فكتب إليه : ما منعني عن الخروج إلاَّ بناتي والحدَبِ عليهن حين سمعتُ عمران بن حِطّان يقول[2] : [من الوافر]

لقـد زاد الحيـاةَ إليَّ حُبّاً   بناتـي إنَّهنّ مـن الضِّعافِ
ولولا ذاك قـد سَوَّمتُ مُهري   وفي الرَّحمـنِ للضُّعفاءِ كافِ

قال : فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ، ويقول : صدَقَ أخي ، إنَّ في ذلك لعُذراً له ، وإنَّ في الرحمن للضعفاء كافياً .

[رأي الأخطل في شعره]

وقال هارون : أخذتُ من خطّ أبي عَدْنان : أخبرني أبو ثَرْوان الخارجيّ ، قال : سمعتُ أشياخَ الحيِّ يقولون : اجتمعت الشعراء عند عَبْدِ الملك بن مروان فقال لهم : أبقي أحدٌ أشعر منكم ؟ قالوا : لا . فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بَقِيَ مَن هو أشعر منهم ؛ قال : ومَن هو ؟ قال عِمرانُ بن حِطّان ؛ قال : وكيف صار أشعرَ منهم ؟ قال : لأنّه قال وهو صادِق ففاقهم ، فكيف لو كذَبَ كما كَذَبوا !

[الحجّاج وغزالة الحرورية]

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهّاب ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء ، عن الزُّهريّ ، عن أبيه : أنّ غَزالةَ الحَروريَّةَ[3] ، لمّا دخلَت على الحجّاج هي وشبيب الكوفة تحصَّن منها وأغلق عليه قَصره ، فكتب إليه عِمران بن حطّان ، وقد كان الحجّاج لجّ في طلَبه ، قال[4] : [من الكامل]

أسدٌ عليَّ وفي الحـروبِ نَعامةٌ   رَبداءُ تَجْفُـل من صَفير الصافرِ[5]

---

1 نسب البيتان في ديوان شعر الخوارج لقطري بن الفجاءة : 119–120 يقولهما لخالد القناني أحد القعدة .

2 نسبت الأبيات لعيسى بن فاتك (عاتك) الحبطي (الخطي) ولعمران بن حطان . ونسبتهما إلى أبي خالد القناني أقرب إلى السياق .

3 الحرورية : الخوارج سموا بذلك لاجتماعهم في حروراء .

4 شعره : 184 .

5 الربداء : السوداء والمنقطة بالحمرة .

هلاّ بَرَزتَ إلى غَزالة في الوَغى بـــل كان قَلبكَ في جَناحيْ طائِرِ
صدَعتْ غَزالـــةُ قلبَــه بفــوارسٍ تركـــتْ مدابِـــرَه كأمْسِ الدَّابرِ

ثم لَحِق بالشام فنزلَ على رَوْح بن زِنْباع .

أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن خالد أُبو حَرب ، قال : حدَّثنا محمد بن عبّاد المهلّبيُّ ، قال : حدَّثنا جريرُ بن حازمُ ، قال : كان عِمرانُ بن حِطّان أشدَّ الناس خُصومة للحَروريّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصَمه فخصمه فصار عِمرانُ حَرُوريّاً ، ورجع عن رأيه .

قال جرير بن حازم : كان الفرزدق يقول : لقد أحسنَ بنا ابن حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا ، يعني لجوْدة شعره .

[نسبة كثير من الشعر إليه]

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال : أُخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : أُخبرني أُحمد بن عبد الله بن سُوَيد بن مَنجوف السَّدوسيّ ، قال : أخبرني أحمد بن مؤرِّج ، عن أبيه قال : حدَّثني به تميمُ بن سَوادَة ، وهو ابن أُخت مُؤَرِّج ، قال : حدَّثني أبو العوَّام السَّدوسيّ ، قال : كان مالك المزموم رجلاً من بني عامر بن ذُهل ، وكان من الخوارج ، وكان الحجّاج يطلُبه . قال أبو العوَّام : فدخلتُ عليه يوماً وهو في تَواريه ، فأنشدني يقول[1] : [من الطويل]

أَلم يأنِ لي يا قَلبُ أن أَتْركَ الصِّبا وأَن أَزجرَ النفسَ اللَّجُوجَ عن الهَوى
وما عُذرُ مَنْ يَعمى وقد شابَ رأسُه ويُبصِر أَبـوابَ الضَّلالـةِ والهُدى
ولو قُسِم الذَّنبُ الذي قد أُصبْتُه على النّاس خاف النّاسُ كُلّهم الرَّدى
فإن جَـنَّ ليلٌ كُنتُ باللَّيل نائماً وأُصبح بَطَّالَ العَشيّاتِ والضُّحى

قال : فلمّا فَرغَ من إنشادها قال : سيَغْلِبُني عليها صاحبُكم ، يعني عِمران بن حِطّان ، فكان كذلك ، لّما شاعَت رواها الناسُ لعِمران . وكان لا يقول أحدٌ من الشُّراة شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه في الشُّهرة مثل قطريّ وعَمْرِو القنا وذويهما . قال : ثم هرب إلى اليمامة من الحجّاج ، فنزل بحَجْر ، فأتاه آلُ حكّام الحنفيُّون ، فقال[2] : [من الخفيف]

---

1 شعره : 192 .
2 شعره : 193–194 .

طَيَّروني مـــن البـلاد وقالوا مالَكَ النَّصفُ من بني حَكَّامِ[1]
ناقَ سيري قد جَدَّ حَقّاً بنا السَّيـ ـرُ وكوني جَوَّالـةً في الزِّمامِ
فمَتى تَعْلَقي يَـدَ المَلِك الأَسْـ ـودِ تَسْتَيْقِنِـي بألاّ تُضامي[2]
قد أُراني ولي من الحاكِمِ النَّصْـ ـفُ بحَـدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ

قال : والملك الأسود إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة لعبْد المِلك ، وكان ابن حكَّام على شُرْطته قال : [من الخفيف]

ومُنِينـــا بِطِمْطِـــمٍ حَبَشِيٍّ حالِكِ الوَجْنَتين من آلِ حامِ[3]
لا يُبـالي إذا تَضلَّع خَمْـراً أَبِحِـلٌّ رَمـاك أم بِحـرامِ[4]

قال العَنَزِيّ : فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أَبي حَفْصَة ، عن أَبيه ، قال : كان مالكٌ المزموم من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذاتَ ليلة فسَمِعَتْ قراءته امرأةٌ من آل حَكَّام فرَمَت بنفسها من فوق سطح كانت عليه ، فسَمِع الصوتَ أهلُها ، فأتَوْه فضربوه ضربات ، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بن عربيّ ، وكان عبدُ الله بن حكَّام على شُرْطَته فلم يُعدِه[5] عليهم ، فهجاه بالأبيات الماضية ، وهجاه بقصيدته التي أوَّلُها[6] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالجِزْعِ ذِي الآطام خبِّرينا سُقِيـتِ صَوْبَ الغَمامِ

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عِمْران بن حِطّان .

[اعتراف الفرزدق بتفوّقه]

أَخبرني أَحمدُ بن الحسين الأصْبهانيُّ ابن عمِّي قال : حدَّثني أَبو جعفر بن رُسْتم الطَّبريُّ النَّحويُّ ، قال : حدَّثنا أبو عُثمان المازنيُّ قال : حدَّثنا عمرو بن مُرّة قال : مرَّ عِمران بن حِطَّان على الفرزدق وهو ينشد والناس حولَه ، فوقف عليه ، ثم قال[7] : [من الخفيف]

أَيُّها المـادِحُ العِبـادَ لِيُعْطى إنَّ للهِ مـا بـأَيْدي العِبـادِ

---

1 النصف : الانصاف .
2 شعره : فمتى تلقني .
3 الطمطم : الأعجم الذي لا يفصح .
4 تضلّع : امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .
5 لم يعده : لم ينصره .
6 شعره : 193 .
7 شعره : 176 .

فاسألِ اللهَ ما طلبتَ إليهم   وارجُ فضلَ المُقسِّم العوّادِ
لا تقُلْ في الجَوادِ ما ليس فيه   وتُسمِّي البخيلَ باسم الجَوادِ

فقال الفرزدق : لولا أنّ الله عزّ وجلّ شغل عنّا هذا برأيه للقينا منه شرّاً .

[أوعظ بيت قالته العرب]

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني عبدُ الرّحمن بن موسى الرّقيّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بن محمد بن حُمَيْد بن سُليمان بن حَفْص بن عبد الله بن أبي جَهم بن حُذيفة بن غانم العدويّ قال : حدّثنا يَزيدُ بنُ مرّة ، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى عن عيسى بن يَزيد بن بَكر المدنيّ ، قال : اجتمع عند مسلَمة بن عبد الملك ناسٌ من سُمّاره ، فيهم عبدُ الله بن عبد الأعلى الشّاعر ، فقال مَسْلَمة : أيُّ بَيْت قالَته العربُ أوعظُ وأحكَم ؟ فقال له عبدُ الله قوله : [من الطويل]

صَبا ما صَبا حتّى عَلا الشَّيبُ رأسَه   فلمّا علاه قال لِلْباطِلِ ابْعُدِ

فقال مَسْلَمةُ : إنّه والله ما وَعَظَني شِعْرٌ قطّ كما وَعَظَني شِعْرُ ابن حِطّان حيث يقول[1] : [من الطويل]

فيُوشِكُ يَومٌ أن يُقارِنَ لَيْلَةً   يَسوقانِ حَتْفاً راح نَحْوك أو غدا

فقال بعضُ مَن حضر : واللهِ لقد سَمِعتُه أجَّل الموتَ ثم أفناه ، وما صنَع هذا غيرُه ، فقال مَسلمة : وكيف ذاك ؟ قال : قال[2] : [من البسيط]

لا يُعجزُ المَوتَ شيءٌ دُونَ خالِقِه   والموتُ فانٍ إذا ما نالَه الأَجَلُ
وكلُّ كَرْبٍ أَمامَ المَوتِ مُتَّضِعٌ   للموتِ ، والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيَتُه ، ثم قال : ردِّدهما عليّ ، فردَّدَهما عليه حتى حَفِظَهما .

[خلات الصدق في زوجته]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنيع بن أحمد بن مُؤرِّج السَّدُوسيّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : تزوّج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمِّه ليردّها عن مذهب الشِّراية ، فذهبت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فممَّا قال فيها[3] : [من البسيط]

1 لم يرِد هذا البيت في مجموع شعره .

2 شعره : 168 .

3 شعره : 167 وفيه «جمر» بدل «حمز» .

يا حَمْزَ إنِّي على مـا كان من خُلقي ... مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّهـا فيكِ
اللهُ يعلَـم أنِّي لم أَقُـلْ كَذِبـاً ... فيمـا عَلِمْـتُ وأَنِّي لا أُزَكِّيكِ

[لا يكذب في شعره]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، وحدَّثني بعضُ أُصحابنا ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ : أنَّ امرأةَ عمران بن حِطّان قالت له : أَلَم تزعم أَنَّك لا تَكْذِب في شعرك ؟ قال : بلى ، قالت : أفرأَيتَ قولَك : [من مجزوء الكامل]

وكذاك مَجْـزَأَة بن ثَـوْ ... رٍ كان أَشجعَ من أُسامَهْ

أَيَكون رجل أَشجعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إنّ مجزأَةَ بن ثَوْر فتح مدينةَ كذا ، والأسد لا يَقدر على فتحِ مدينة .

صوت

[من الطويل]

نَدِيميَّ قـد خَفَّ الشَّرابُ ولَم أَجِد ... له سَوْرَةً في عَظْم رأسي ولا جِلْدي
نَدِيمـيَّ هـذِي غِبُّهُم فاشرَبا بها ... ولا خيْر في شُرْبٍ يكون على صَرْدِ[1]

الشعرُ لعُمارة بن الوليد بنِ المُغيرة المخْزُوميّ ، والغناءُ لابن سُرَيج خفيف ثقيل .

1 الغب : الزيارة يوماً بعد يوم . والصرد : الخالص من كل شيء ، أي صرفاً . وفي رواية «على حرد» أي على غضب .

[382] ـ أخبار عمارة بن الوليد ونسبه[1]

عُمارة بن الوليد ، بن المُغيرة ، بن عبد الله ، بن مَخْزُوم ، بن يَقَظة ، بن مرّة ، بن كعب ، بن لؤيّ ، بن غالب ، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب[2] ، ويقال له الوحيد ، وكان أزوادُ الرَّكْب لا يمرُّ عليهم أحد إلاّ قَرَوْه وأحْسَنُوا ضيافته ، وزوَّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه . وكان عمارة بن الوليد فَخوراً مِعنّاً[3] متعرِّضاً لكلّ ذي عارِضة من قُرَيش ، فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن شَبِيب ، قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار ، عن الحزاميّ ، قال : مرَّ عمارة بن الوليد بمُسافرِ بن عمرو ، فوقَفَ عليه وهو مُنْتشٍ ، فقال : [من مجزوء الرمل]

خُلِقَ البِيضُ الحِسان لنا وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنَّا أُحقَّ به حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مُسافرُ بن عمرو بن أُميّة ، فقال : [من مجزوء الرمل]

أعُمارَ بنَ الوليد لقد يذكُر الشّاعر مَنْ ذَكَرَهْ
هل أخو كأْسٍ مُخَفِّفها ومُوَقٌّ صَحبَه سَكَرَهْ
ومُحيِّيهم إذا شَرِبُوا ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا وجياد الرَّيْطِ والحَبَرهْ
كابِراً كُنّا أُحقَّ به كلُّ حيٍّ تابِعٌ أَثَرَهْ

[يترك الشراب ثم يعود]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا العُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الرّاوية : أنَّ عُمارة بن الوليد خَطَب امرأةً من قَومِه فقالت : لا أتزوّجُك أو تترُك الشّراب والزّنا ، قال : أمّا الزّنا فأتركه ، وأمّا الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع . ثم اشتدَّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب ؛ فتزوَّجها ومكث حيناً لا يشرب ، ثمّ إنّه لبِس ذات يوم حُلَّته وركب ناقته وخرج يسير ، فمرّ بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون ، فدعَوْه فدخل عليهم

1 لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي في نسب قريش : 322 وانظر تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد 1 : 202 و4 : 105 وقد تقدم خبر مرافقته عمرو بن العاص إلى الحبشة (انظر التذكرة الحمدونية 8 : 215–217) .
2 أزواد الركب : مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة ، لأن الراكب لم يكن يتزود بزاد .
3 المعن : من يدخل فيما لا يعنيه .

وقد أنفدوا ما عندَهم . فقال للخمّار : أطعِمْهم ويلك ، فقال : ليس عندي شيء ، فنحر لهم ناقته ، فأكلوا منها ، فقال : اسقِهم ، ولم يكن معهم شيء يشربون به ، فسقاهم ببُردته ؛ ومكثوا أيّاماً ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلمّا رأته امرأته ، قالت له : ألَم تحلف ألاّ تشرب ؟ ولامته ، فقال : [من الطويل]

ولسنا بشَرْبِ أُمَّ عمرو إذا انتشوْا ثيابُ النَّدامى عندهم كالغنائم[1]

ولكنَّنا يا أُمَّ عَمْرٍو نديمُنا بمنزلة الرّيّان ليس بعائِمِ

أسرَّك لما صرَّع القومَ نشوةٌ أن اخرُجَ منها سالماً غيرَ غارِمِ

خليّاً كأنّي لم أكُن كُنتُ فيهمُ وليس الخِداعُ مرتضًى في التّنادِمِ

[ملاحاته عمرو بن العاص]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم ، قال : حدَّثني عمّي : أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب ، قال : قدِم رجل من تجّار الرُّوم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكّة ، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، فعرضها عليه بمائة حِقٍّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحداً ؟ قال : نعم ، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال : لن تعدم لها غَوِيّاً من بني سهم ، قال : قد أخذتها : فاشتراها بمائة حِقّ ، يعني مائة بعير ، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم ، فناداه عمارة : أتبيع الحُلّة يا عمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة ، فقال : [من الوافر]

عليكَ بجزِّ رأس أبيك إنّا كفيناك المُسَهَّمة الرِّقاقا[2]

زوَوْها عنكمُ وغَلَتْ عليكم وأُعطينا بها مائةً حِقاقا

وقلتم : لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ وكلٌّ سوف يَلبَسُ ما أُطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : يا عمرو ، ما هذا التّهوّر ؟ إنّك لست بعتبةَ بن ربيعة ، ولا بأبي سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولا سُهيل بن عمر ، ولا أُبيّ بن خلف . فقال عمرو : إلاّ أكن بعضَهم فإنّ كلَّ واحد منهم خيرُ ما فيه فيَّ : من عُتبة حلمُه ، ومن أبي سفيان رأيُه ، ومن سُهَيل جودُه ، ومن أُبيّ بنِ خلف نجدَتُه ، وأمّا الوليد فوالله ما أحبّ أنّ فيّ كلَّ ما فيه من خيرٍ وشرٍّ ، ولكنّك والله مالكَ عَقْلُ الوليد ، ولا بأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ، ولا لِسانُ أبي الحكَم ، يعني أبا جهل . وانصرف ، فأمر عُمارةُ بجزور فنُحِرت على

---

1 أم عمرو في ل : أم عوف .

2 المسهمة : المخططة .

طريق عمرو ، وأَقبل عمرو فقال : لَمَنْ هذه الجزور ؟ قيل : لعُمارة ، فقال له : أطعِمنا منها يا عُمارة ، فضحك منه ، ثمّ قال : [من الوافر]

عليك بجَزْر أيرِ أَبيك إنّا كفيناك المُشاشة والعُراقا[1]
ومَنسَبَة الأطايب من قريشٍ ولم تَرَ كأسَنا إلاَّ دِهاقا[2]
ونلبسُ في الحوادثِ كلَّ زَغْفٍ وعند الأَمن أَبْراداً رِقاقا[3]

فوقع الشرُّ بينهم ، فقال عمرو : [من الوافر]

لعَمْرُ أَبيك والأخبار تَنْمي لقد هَيَّجْتَني يا ابنَ الوليدِ
فلا تعجل عُمارةُ إنَّ سَهْماً لمخزومٍ بن يَقْظةَ في العديدِ
وأورِدْ يا عُمارةُ إنَّ عودي من آعواد الأباطحِ خيرُ عودِ

فأَجابه عُمارة ، فقال : [من الوافر]

أَلا يا عمرو هل لك في قُريشٍ أَبٌ مثلُ المُغيرة والوليدِ
وجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يَنْمي إلى عمرِو بن مخزومٍ بِعُودِ
إذا ما عُدَّت الأعواد نَبْعاً فَما لي في الأباطِحِ من نَديدِ
وقد عَلِمتْ سَراةُ بني لُؤَيٍّ بأَنّي غيرُ مؤتَشِبٍ زهيدِ[4]
وإنّي للمُنابِذِ من قريشٍ شَجاً في الحَلْقِ من دونِ الوريدِ
أَحوطُ ذِمارَهم وأَكفُّ عنهم وأصبِر في وَغا اليوم الشَّديدِ
وأبذُل ما يضِنّ به رِجالٌ وتُطمِعُني المروءَةُ في المزيدِ
وإنّك من بني سَهْمِ بنِ عَمرٍو مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعودِ
وكان أَبوكَ جَزَّاراً . . . وكانت له فأس وقِدْرٌ من حديدِ

أَخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن أبي عوانةَ ، عن عبد الملك بن عمير ، أنّ عمر بن الخطّاب قَسَم بروداً في المهاجرين .

قال العَمَريّ : هكذا ذكر أبو عوانةَ ، وقد حدَّثني الهيثم ، عن أبي يعقوب الثَّقفيّ ، عن عبد

1 المشاشة : رأس العظم اللين . والعراق : أكل اللحم عن العظم .
2 كأس دهاق : ممتلئة .
3 الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
4 مؤتشب : مختلط النسب غير صريح .

الملك بن عُمير ، قال : أخبرني مَنْ شهِد ذلك : أنَّ عبد الله بن أبـي ربيعة المخزوميّ بعثَ إلى عمر بن الخطّاب بِحُلَلٍ من اليمن ، فقال عمر : عليَّ بالمحمَّدِين ، فأُتِي بمحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ، ومحمد بن حطّاب أخي حاطب ، وكلّهم سمّاه النبيّ ﷺ محمّداً ، فأقبلوا ، فاطّلع محمد بن حطّاب فيها ، فقال له عمر : يا شيبة معمر ، يعني عمّاً له قُتِل يوم بدر ، اكفف ، وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده ؛ فقال له عمر : أعطهم حُلّةً حُلّة . فنظر إلى أفضلها ، وكانت أُمُّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ما هذا ؟ فقال : هذه لفلان ، الذي هو ربيبه ، فقال عمر : اردُدْه ، وتمثّل بقول عُمارة بن الوليد : [من الطويل]

أسرَّك لّما صرَّع القومَ نشوةٌ ... أَن اخرُجَ منها سالِماً غيرَ غارمِ

خَلِيّاً كأنّي لم أكُن كنت فيهمُ ... وليس الخِداعُ مُرتضًى في التّنادمِ

وقال أبو عوانة : من تصافي التنادم .

ثمّ أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب ، ثمّ خلَطها ، ثم قال : ليُدخِلْ كلُّ امرىءٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له .

صوت

[من المنسرح]

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهْ

فاقبَلْ من الدَّهر ما أتاك بِهِ ... مَنْ قرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ

لكلِّ همٍّ من الهمومِ سَعَهْ ... والصُّبح والمُسْيُ لا فلاحَ معَهْ[1]

الشعر للأضبط بن قُرَيع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر من روايته ، وسمعناه يغنّي في طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة ، فذكر أنّه سمعه من محمد بن يحيى المكّيّ في هذه الطريقة ، ولم يعرف صانعَه ولا سأل عنه .

1 المسي : الامساء . لا فلاح معه : لا بقاء معه .

[383] ـ أخبار الأضبط ونسبه[1]

[الأضبط مفرّك]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبدُ الله بن طاهر ، قال : قال أبو محلّم : أخبرني ضِرار بن عيينة ، أحد بني عبد شمس ، قال : كان الأضبط بن قُرَيْع مُفرَّكاً ، وكان إذا لقي في الحرب تقدّم أمام الصفّ ، ثم قال : [من الرجز]

أنــا الذي تفرُكُه حلائلُهْ ألا فتًى مُعشَّقٌ أُنازِلُهْ ![2]

قال : فـاجتمع نساؤه ذات ليلـة يسمرن ، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط ، فأجْمَعن أنّ ذلك لأنّه بارد الكَمَرة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشيء من دُهن ؟ فلمّا سمع قولَها صاح : يا آل عوف ، يا آل عوف ! فثار الناس وظنّوا أنّه قد أُتِيَ ، فقال : أوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنّه لا حُظْوة لبارد الكمرة ، فانصرفوا يضحكون ، وقالوا : تبّاً لك ، ألهذا دعوتَنا !

[يعصى ويلام]

قال أبو مُحلّم : كانت أُمُّ الأضبطَ عَجيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح بنت دارم أُمّ جُشَم وعبشمس ابنَي كعب بن سعد ، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بني سعد ، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه ، وكان يشير عليهم بالرّأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأرَوْه مع ذلك أنـّهم على رأيه ، فقال في ذلك : [من المنسرح]

لكلّ هَــمٍّ مــن الهُمومِ سَعَهْ والُمسْيُ والصُّبح لا فلاحَ معَهْ[3]
لا تحقِرنَّ الفقيرَ علَّــك أن تركعَ يوماً والدّهرُ قــد رَفعَهْ
وصِلْ حِبال البعيد إنْ وَصَلَ الحبْـ ـــلَ وأقْصِ القريـبَ إن قطعَهْ
قــد يجمع المــال غيرُ آكلِهِ ويأكل المــالَ غيرُ مَنْ جمعَهْ

---

1 ترجمة الأضبط بن قريع في الشعر والشعراء : 298–299 والمعمرين : 7 وأمثال الضبي : 6 والسمط : 326 وشرح شواهد المغني : 155 وخزانة البغدادي 11 : 455–456 والمحبر : 182 ، 247 .

2 المفرّك : الذي تبغضه زوجاته .

3 صدر البيت في الخزانة : لكل ضيق من الأمور سعة . وفي الشعر والشعراء : يا قوم من عاذري من الخدعة .

مــا بال مَنْ غَيُّه مُصيبُك لا يملك شيئاً مــن أمرِه وَزعَهْ[1]
حتى إذا مــا انجلَتْ غَوايتُه أقبــل يَلحــى وغيُّــه فجعَهْ
أذودُ عــن نفسه ويخدَعُنــي يا قوم مَنْ عاذري من الخُدَعَهْ
فاقْبَلْ مــن الدَّهرِ ما أتاكَ به مَــنْ قــرَّ عينــاً بعيشه نفعَهْ

[شعره في امرأة نشزت]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : كان الأضبطُ بن قريع قد تزوّج امرأة على مال ووصيفة ، فنَشَزَت عليه ، ففارقها ولم يعطِها ما كان ضمِن لها ، فلمّا احتملت أنشأ يقول : [من الطويل]

ألَـم تَرَهــا بانــت بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحبتها الوَصائِفُ
ولكنّهــا بانــت شَموسٌ بَزِيَّــة مذممــة الأخــلاق حدباءُ شارِفُ
لــو انَّ رسولَ اللّهْوِ سلَّم واقِفاً عليها لرامتْ وَصلَه وهــو واقِفُ

أخبرنا وكيع قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : حدَّثنا الجمّاز : قال : أنشدت أبا عبيدة وخَلَفاً الأحمر شِعر الأضْبطِ : [من المنسرح]

وصِلْ حبال البعيد إن وصل الحبــ ــل وأقْصِ القريبَ إنْ قطعَهْ

فما عرفا منه إلاّ بيتاً وعجز بيت ، فالبيت الذي عرفناه : [من المنسرح]

فاقبل مــن الدَّهرِ ما أتاك به . . . .

والعجز :

يا قوم مَنْ عاذِري من الخُدعَهْ

والخدعة : قوم من بني سعْد بنِ زيْد مناة بنِ تميم .

صوت

[من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمُهْتَضَمٍ حقّــي ولا قارع سِنّي[2]
ولا مُسلمٍ مــولاي عنــد جنايةٍ ولا خائفٍ مولاي من شرِّ ما أجْني

الشعر لأعشى بني ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

---

1 وزعه : كفه . ويروى : ما بال من سره مصابك . . .
2 في السمط (906) : ولا سالم قرني .

[384] ـ أخبار أعشى ربيعة ونسبه[1]

الأعشى اسمه عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار : شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة ، وكان مَرْوانيّ المذهب ، شديد التعصّب لبني أُميّة .

[مديحه عبد الملك]

أخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليزيديّ قال : حدَّثنا عمِّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيبَ ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمِّه العبّاس بن هشام ، عن أبيه ، قالا : قدِم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبدُ الملك : ما الذي بَقِي منك ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ سِنِّي
ولا مُسلمٍ مَولايَ عند جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاي من شرِّ ما أَجني
وإنّ فُؤادي بين جَنبيَّ عالِمٌ ... بما أبصرت عيني وما سَمِعَتْ أُذْني
وفضَّلني في الشِّعرِ واللُّبِّ أنَّني ... أقولُ على عِلمٍ وأعرفُ مَن أَعْني
فأصبحتُ إذ فَضَّلتُ مروانَ وابنَه ... على النّاسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : مَن يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألفَ جَرِيب[2] ، وقال له : امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلاً[3] فأتى زَيداً فقال له : ائتِني غداً ، فأتاه فجعل يردِّده ، فقال له : [من الرجز]

يا زيدُ يا فِداكَ كُلُّ كاتِبِ ... في النّاسِ بين حاضرٍ وغائبِ

---

1 ترجمة أعشى بني ربيعة في السمط : 906 والمؤتلف : 10–11 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 وجمهرة أنساب العرب : 324 وتاريخ ابن عساكر (تراجم عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) : 222–224 وفيه معظم الشعر الوارد في هذه الترجمة .

2 الجريب : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع .

3 عيل الرجل : من يعول من أزواج وأولاد وأتباع .

هل لك في حَقٍّ عليكَ واجبِ في مثله يرغــب كُلُّ راغِبِ
وأنت عَـفٌّ طَيِّب المكاسبِ مُبَرَّأٌ مــن عَيْــبِ كلِّ عائِبِ
ولستَ ، إن كفَيْتني وصاحِبي طُــولَ غُـدُوٍّ ورَواحٍ دائِبِ
وسُدَّةَ الباب وعُنفَ الحاجبِ مــن نِعْمــةٍ أسدَيْتَها بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سُفيانَ بنَ الأَبرد الكلبيّ ، فكلَّمه سُفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان ، فقال له : [من البسيط]

عُدْ إذ بدأْتَ أبا يَحيى فأنتَ لَها ولا تَكُنْ حين هاب النّاسُ هيّابا
واشفَع شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً فــإنَّ مــن شُفَعاءِ النّاسِ أذْنابا

فأتى سُفيانُ زيداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

[بحثّ عبد الملك على محاربة ابن الزّبير]

قال محمد بن حبيب : دخل أعشى بني أبي ربيعة[1] على عبد الملك وهو يُرَوِّي في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يَجِدّ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك متلوِّماً يُنهِضُكَ الحَزْم ويقعِدك العَزمُ ، وتَهُمّ بالإقدام وتجنَح إلى الإحجام ، انقَدْ لبصيرتك وأمضِ رأيَك ، وتوجَّهْ إلى عـدُوّك ، فجَدُّك مُقبِل ، وجـدُّه مُدبِر ، وأصحابُه له ماقِتون ، ونحن لك مُحِبُّون ، وكلمَتُهم مُفترِقة ، وكَلِمَتُنا عليك مُجتمِعة ، واللهِ ما تُؤتى من ضَعْف جَنان ، ولا قِلّة أعوان ، ولا يُثبِّطُك عنه ناصح ، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال : هاتِها ، فإنّك تنطق بلسان وَدُود وقلب ناصح ، فقال : [من الكامل]

آلُ الزُّبَير مــن الخلافــة كالّتي عَجِــلَ النِّتاجُ بحَمْلِهــا فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت مــا لا تُطِيــق فضَيّعت أحمالَها
قُومــوا إليهــم لا تَنامــوا عنهمُ كَــم للغُــواةِ أطلتُمــوا إمْهالَها
إنَّ الخِلافــةَ فيكــمُ لا فيهــمُ مــا زِلتُــمُ أركانَهــا وثِمالَها[2]
أمسَوْا على الخيرات قُفْــلاً مغلقاً فانهض بيُمْنِـك فافتــحْ أقفالَها

فضحك عبدُ الملك وقال : صدقتَ يا أبا عبد الله ، إنّ أبا خُبَيب لقُفلٌ دون كلّ خير ،

---

1 يقال لـه : أعشى بنـي ربيعة نسبـة إلى ربيعة بن نزار ، و«أعشى بني أبي ربيعة» نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

2 ثمالها : غياثها .

ولا نتأخَّر عن مُناجَزته إن شاء الله ، ونستعين الله عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأُمر له بصلة سنيّة .

[الحجّاج يسرّ بكلامه بعد جفاء]

قال ابن حبيب : كان الحجّاج قد جفا الأعشى واطَّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلمّا فرغَ الحَجَّاج من حرب الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث ، وجعل يوبِّخ أهلَ العراق ويؤنِّبهم ؛ فقال مَن حضر من أهلِ البصرة : إنَّ الرَّيبَ والفِتنة بدآ من أهلِ الكوفة ، وهم أوّل مَن خلع الطاعة وجاهر بالمعصية ؛ فقال أهل الكوفة : لا ، بل أهلُ البصرة أوَّلُ مَنْ أظهر المعصية مع جرير بنِ هميان السّدوسيّ ، إذ جاء مخالفاً من السِّند . وأكثروا من ذلك ، فقام أعشى بني أبي ربيعة ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ لا براءة من ذنب ، ولا ادِّعاء على الله في عصمة لأحد من المِصْرَيْن ، قد والله اجتهدوا جميعاً في قِتالِك ، فأبى اللهُ إلاَّ نَصْرَك ؛ وذلك أنّهم جَزِعوا وصبرتَ ، وكفروا وشكَرْتَ ، وغفرْتَ إذ قَدَرْتَ ، فوَسِعَهم عفوُ الله وعفوُك فنجَوْا ، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسُرَّ الحجّاجُ بكلامه وقال له جميلاً ، وقال : تهيَّأْ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شِفاهاً ، انتهى .

[غضب الحجّاج عليه لرثائه ابن الجارود]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حدَّثني حمَّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : بلغ الحجّاجَ أنَّ أعشى بني أبي ربيعة رثى عبدَ الله بن الجارود ، فغضب عليه ، فقال يعتذِر إليه : [من الطويل]

أَبِيتُ كأنِّي من حِذار ابنِ يُوسُفٍ ... طَرِيدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالِكُ
ولو غَيْرُ حَجَّاجٍ أَراد ظُلامَتي ... حَمَتْني من الضَّيْمِ السُّيوفُ الفواتِكُ[1]
وفِتيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرةً ... إذا احتلَفَت يومَ اللِّقاء النَّيازِكُ[2]
يُحامون عن أَحسابِهِم بِسُيوفهم ... وأَرماحِهم واليومُ أَسودُ حالِكُ

[يمدح عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدَّثني أحمد بن عبدُ الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجوف ، عن ابن مؤرِّجٍ ، عن أبيه ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن

1 الفواتك في ل : البواتك ، وهي القواطع .
2 قصرة : قريبو النسب . والنيازك : الرماح القصيرة .

مروان ، فأنشده قولَه[1] : [من الوافر]

رَأيتُك أمسِ خيرَ بنـــي مَعَدٍّ وأنتَ اليــومَ خيرٌ منك أمسِ
وأنتَ غداً تَزيدُ الضِّعْفَ ضِعفاً كذاك تزيد سادةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال له : من أيٍّ بني أبي ربيعة أنتَ ؟ قال : فقلتُ له : من بني أُمامة ، قال : فإنّ أُمامةَ ولد رجلين : قيساً وحارثـةَ ، فأحدُهما نَجـم ، والآخر خمَل . فمن أيّهما أنت ؟ قال : قلتُ : أنا من ولد حارثة ، وهو الذي كانت بكر بن وائل توَّجَتْه ، قال : فقام بمِخْصَرةٍ في يده ، فغمَز بها في بطني ، ثم قال : يا أخا بني أبي ربيعة همُّوا ولم يفعلوا ، فإذا حدّثتني فلا تكذِبْني ، فجعلتُ له عهداً ألاّ أُحدِّث قُرشيّاً بكذبٍ أبداً .

[يمدح أسماء بن خارجة] .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أحمدُ بن الهيثم السُّلميّ . قال : حدَّثني أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبيّ ، قال : أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماءَ بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكَساه ، فقال : [من الوافر]

لأَسماءَ بنَ خارِجَة بنِ حِصْنٍ على عِبْءِ النَّوائبِ والغَرامَهْ
أَقَـلُّ تَعَلُّـلاً يومـاً وبُخلاً على السُّؤالِ من كَعْبِ بنِ مامَهْ
ومَصْقَلةُ الذي يَبْتـاع بَيْعـاً رَبِيحاً فـوق ناجِية بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ : جعل ناجيةَ رجلاً وهي امرأة ، لضرورة الشعر .

[يمدح سليمان بن عبد الملك]

قال أبو فراس : فحدَّثني الكلبيّ ، عن خِداش ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال : [من الطويل]

أَتيـنـا سُليمـــانَ الأَميرَ نـــزورُه وكان امرءاً يُحْبى ويُكرَمُ زائرُهْ
إذا كُنتَ في النَّجْوى بـه مُتَفَرِّداً فلا الجُودُ مُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُهْ
كلا شافعَيْ سُؤَّالِـهِ مـن ضميرِه على البُخْلِ ناهِيه وبالجودِ آمِرُهْ[2]

فأعطاه وأكرمه وأمر كلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصلَتِه ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه .

---

1 في المؤتلف أنه قال البيتين ومعهما ثالث لبشر بن مروان . والبيت الثالث :

وتاج الملك ليس يزال فيهم يحـوّل فوق رأس كل رأس

2 الشطر الثاني في شرح الحماسة : عن الجهل ناهيه وبالحلم آمره .

صوت[1]

[من المتقارب]

نَأَتْـكَ أُمامَـةُ إلاّ سُؤالا ... وإلاّ خيـالاً يُـوافي خَيالا
يُـوافي مـع الليـلِ ميعادُها ... ويأبى مـع الصُّبح إلاّ زِيالا
فذلـك يَبذُل مـن وُدِّها ... ولو شَهِـدَت لم تُواتِ النَّوالا[2]
فقـد رِيـعَ قَلبيَ إذْ أَعلَنوا ... وقيل أَجَـدَّ الخلِيطُ احْتِمالا

الشعر لعمرو بن قَمِيئة ، والغناء لحُنَيْن خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ وغيره أنّه من مَنْحول يحيى إلى حنين .

1 ديوان عمرو بن قميئة : 54–55 ومنتهى الطلب : 154/1 .
2 الديوان : فذاك تبدّل . وللبيت روايات مختلفة (انظر حاشية الديوان : 54) وكذلك الحال في أكثر شعره .

[385] ـ أَخبار عمرو بن قميئة ونسبه[1]

هو فيما ذكر أَبو عمرو الشيبانيّ ، عن أَبي بَرْزَة : عمرو بن قَمِيئة بن ذَرِيح بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعَب بنِ عليّ بنِ بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعِمّي بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبيّ : ليس من العرب مَنْ له ولَدٌ ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعلبة بن عُكابة ، فإنّه ولدَ أربعةً كلٌّ واحد منهم قبيلة : شَيْبان بن ثَعلبة ، وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة وهو أَبو قبيلة ، وذُهْل بن ثَعلبة وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة وهو أَبو قبيلة .

وكان عمرو بن قمِيئة من قُدماء الشعراء في الجاهليّة ، ويُقال : إنّه أوّلُ مَنْ قال الشعر من نِزار ، وهو أَقدَم من امرىء القيس ، ولَقِيه امرؤُ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لمّا توجّه إليه فمات معه في طريقه ، وسمَّته العربُ عَمْراً الضائع لموته في غُربة وفي غير أَرَبٍ ولا مَطْلب .

نسختُ خبرَه من روايتي أَبي عمرو الشَّيبانيّ ، ومؤرِّج ، وأَخبرني ببَعْضه الحسنُ بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي سَعْد ، عن ابن الكلْبيّ ، فذكرتُ ذلك في مواضعه ، ونَسبتُه إلى رُواته ، قالوا جميعاً :

كان عَمْرُو بنُ قميئة شاعراً فَحْلاً مُتقدّماً ، وكان شابّاً جميلاً حَسنَ الوجه مدِيدَ القامة حسن الشَّعْر ، ومات أَبوه وخلَّفه صغيراً ، فكفلَه عَمُّه مَرْثَد بن سَعد ، وكانت سبَّابتا قدمَيْه ووُسْطَياهما مُلتَصِقَتين ، وكان عمُّه مُحِبّاً له مُعجباً به ، رقيقاً عليه .

[هويته امرأة عمّه فامتنع عليها]

وأَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا أَبو عمر العُمَريّ ، عن لَقيط وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة : أنَّ مَرْثَدَ بن سعد بن مالك عمّ عمرو بن قَمِيئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال ، فهويت عَمْراً وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك . فغاب مَرْثَد لبعض أمره ، وقال لَقِيط في خبَره : مضى يَضْرب بالقِداح ، فبعَثَت امرأتُه إلى عمرو تدعوه على لسان عمِّه ، وقالت

---

1 ترجمة عمرو بن قميئة في المعمرين : 68 والمؤتلف : 254–255 والشعر والشعراء : 292–293 وخزانة البغدادي 4 : 410–412 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 . وقد نشر لايل ديوانه (كيمبرج 1919) وأعادت دار صادر (بيروت) نشره بتحقيق د . خليل إبراهيم العطية (1994) ، وإلى هذه الطبعة نشير .

للرَّسول : ائتِني به من وراءِ البيوتِ ، ففعل ؛ فلمّا دخل أُنكر شأنَها ، فوقف ساعة ، ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئت بأمرٍ عظيم ، وما كان مثْلي ليُدْعى لمثْل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأمتنعنَّ منه خوفَ الدَّناءة والذِّكْر القبيح الشَّائع عنّي في العرب ؛ قالت : والله لتفعَلَنَّ أو لأسُوأَنّك ، قال : إلى المساءةِ تدْعِينني . ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يُخبِر عمَّه بما جرى ، فأمرت بجَفْنة فكُفِئت على أثر عمرو ، فلمّا رجع عمُّه وجدها مُتَغَضِّبة ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : إنّ رجلاً من قومك قريبَ القرابة ، جاء يَسْتامني نَفْسي ويُريد فِراشك منذ خرجت ، قال : مَن هو ؟ قالت : أما أنا فلا أُسَمِّيه ، ولكن قُم فافْتَقِد أثره تحت الجَفْنة ، فلمّا رأى الأثر عرفه .

قال مُؤرِّج في خبره : فحدَّثني أبو بَرْزَة وعلْقمة بن سعد وغيرُهما من بني قيس بن ثعلبة ، قالوا : وكان لِمرْثد سيفٌ يُسمَّى ذا الفَقار ، فأتى ليَضربه به ، فهرب فأتى الحِيرةَ ، فكان عند اللَّخميّين ولم يكن يَقوى على بني مَرْثد لكثرتهم ؛ وقال لعمرو بن هِند : إنّ القوم اطّردوني ، فقال له : ما فعلوا إلاّ وقد أجْرمْت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتَ مُجرماً رددتُك إلى قومك ، فغضب وهَمَّ بهجائه وهجاء مرْثَد ، ثم أعرضَ عن ذلك ، ومدح عمَّه واعتذر إليه ، انتهى .

وأمّا أبو عمرو فإنّه قال : لمّا سمع مَرْثد بذلك ، هجر عَمْراً وأعرض عنه ، ولم يُعاتِبْه لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يعتذِر إلى عمِّه[1] : [من الطويل]

خليـــليَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَــزَوَّدا ... وأَنْ تجمعا شَمْلي وتَنْتَظِـرا غَدا

فمــا لَبثِي يومــاً بسائقِ مَغْنَــمٍ ... ولا سُرْعتِـي يومــاً بسائِقة الرَّدى

وإن تُنْظِـراني اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتستوجبــا مَنّــاً عــليَّ وتُحْمَدا

لعمرُك مــا نَفْسٌ بجِـدٍّ رَشيدةٍ ... تؤامرني سُوءاً لأَصــرِمَ مَــرْثَدا[2]

وإن ظهَرت منّي قوارِصُ جَمَّةٌ ... وأُفرِعَ مــن لَوْمِي مِراراً وأُصعدا[3]

على غيرِ جُــرْمٍ أَن أكــون جَنَيْتُه ... سِوى قَــولِ باغٍ كادَني فتَجهَّدا

لعَمْرِي لنِعْم المَرء تدْعــو بخَيْلِه ... إذا ما المُنادي في المَقامــةِ ندَّدا[4]

1 ديوانه : 29–30 .
2 الديوان : تؤامرني سراً .
3 الديوان : ظهرت منه .
4 الديوان : تدعو بحبله .

عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتَعَبِّسٌ ... ولا مُؤيِسٌ منها إذا هو أُوقدا

وإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهَبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيحِ لم تَتْرُكْ من المالِ مِرْفَدا[1]

صَبَرتُ على وَطْءِ المَوالي وخَطْبِهِم ... إذا ضَنَّ ذُو القربى عليهم وأَخْمَدا[2]

يعني أخمد نارَه بُخلاً ، وروى : أجْمداً . المجمد : البخيل .

ولم يَحمِ فَرْجَ الحَيّ إلاّ مُحافظٌ ... كريم المحَيَّا ماجِدٌ غيرُ أَجْرَدا[3]

الأَجردُ : الجعْد اليدِ البخيل .

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفَضْل بن إسحاق ، عن الهيثم بن عَدِيّ ، قال : سأل رجُلٌ حمّاداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بُردة : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قال الذي يقول : [من الطويل]

رمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ من حيثُ لا أَرى ... فما بالُ مَن يُرمى ولَيْس بِرامِ[4]

قال : والشعر لعمرو بن قَميئة .

[قال في التسعين]

قال عليّ بن الصباح في خبره ، عن ابن الكلبيّ : وعُمِّر ابن قَميئةَ تسعين سنة ، فقال لمَّا بلَغَها : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تِسْعينَ حِجَّةً ... خلعت بها عَنّي عِنانَ لِجامِي[5]

على الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصا ... أَنوءُ ثلاثاً بَعْدَهُنَّ قِيامي

رمَتْني بناتُ الدَّهرِ من حَيْثُ لا أُرى ... فما بالُ مَن يُرْمى وليس بِرامِ

فلو أنَّ ما أُرمى بنَبلٍ رَمَيْتُها ... ولكنَّما أُرمى بغَيرِ سِهامِ[6]

إذا ما رآني النّاسُ قالوا : ألم يَكُن ... حَدِيثاً جَدِيدَ البَرْي غيرَ كَهامِ[7]

---

1 كحل : السنة الشديدة المجدبة . وعرية : باردة .

2 خَطْبهم في الديوان : وحطمهم .

3 أجردا في الديوان : أحردا .

4 ديوانه : 38–39 . ومنتهى الطلب : 148/1 . وانظر الخبر والشعر في الخزانة 2 : 250–251 (عن المعمرين) .

5 الشطر الثاني في الديوان : خلعت بها يوماً عذار لجامي .

6 الشطر الثاني في الديوان : فكيف بمن يرمى وليس برام .

7 جديد البري في الديوان : جديد البز ، والبز هو السلاح . والكهام : الكليل البطيء .

وأفْنى وما أُفنِى من الدهرِ ليلةً ولم يُفْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ
وأهلكَني تأميلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : حدَّثنا الهيثم بن عديّ عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : دخلتُ على عبد الملك بنِ مروان في عِلّته التي مات فيها ، فقلت : كيف تَجِدُك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ كما قال عمرو بن قميئة : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزتُ تِسْعين حِجَّةً خَلَعْتُ بها عَنِّي عِنانَ لجامِ
رَمَتْني بَناتُ الدَّهر من حَيْثُ لا أرى فكيف بمَنْ يُرمى وليس بِرامِ !
فلو أنَّها نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ولكنّما أُرمى بغَيْرِ سِهامِ
وأهلكَني تأمِيلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وتأمِيلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

فقلتُ : لستَ كذلك يا أمير المؤمنين : ولكنّك كما قال لبيد[1] : [من البسيط]

قامَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينا
فإن تُزادِي ثَلاثاً تَبْلُغي أملاً وفي الثّلاثِ وَفاءٌ للثَّمانِينا

فعاش حتى بلَغ التسعين ، فقال[2] : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزت تِسْعين حِجَّةً خلعتُ بها عن مَنْكِبيَّ رِدائِيا

فعاش حتى بلغ عشراً ومائة سنة ، فقال[3] : [من البسيط]

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رَجُلٌ وفي تكامل عَشْرٍ بعدها عِبَرُ

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة ، فقال[4] : [من الكامل]

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرى داحسٍ لو كان للنّفس اللجوجِ خُلُودُ

ويروى : «دَهْراً قبل مَجْرى داحس» ، فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة ، فقال[5] : [من الكامل]

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها وسُؤالِ هذا النّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ ؟

فتبسَّم عبد الملك وقال : لقد قَوَّيتَ من نَفْسي بقَوْلك يا عامر ، وإنِّي لأَجِدُ خِفّاً وما بي

1 شرح ديوان لبيد : 352 .
2 انظر شرح ديوان لبيد : 261 والبيت في قصيدة لزهير بن أبي سلمى (ديوان زهير بشرح ثعلب : 286) .
3 في الديوان 2 : 250 وفيه وفي الخزانة : بعدها عمر .
4 الديوان : 35 . والسبت : يقال إنه ثمانون سنة .
5 ديوان لبيد : 35 .

من بأس وأمرَ لي بصِلة ، وقال لي : اجلِسْ يا شعبيّ فحدِّثني ما بينك وبين الليل ؛ فجلست فحدَّثتُه حتى أمسَيت ، وخرجتُ من عنده ، فما أصبحت حتى سَمِعْت الواعية[1] في داره .

[مرافقته امرىء القيس]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن طَهْمان السُّلميّ ، عن إسحاق بن مِرار الشَّيبانيّ ، قال : نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل ، وضرب قُبَّته ، وجلس إليه وجوهُ بكر بن وائل ، فقال لهم : هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعرٌ إلاّ شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأتوني به ، فأتوْه بعَمْرو بن قَميئة وهو شيخ ، فأنشده فأعجِب به ، فخرج به معه إلى قيصر ، وإيّاه عَنى امرؤ القيس بقوله[2] : [من الطويل]

بَكى صاحِبِي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَـن أنَّا لاحِقـانِ بقَيْصَرا
فقُلتُ لـه : لا تَبْكِ عينُك إنَّما ... نُحاوِلُ مُلْكـاً أو نَموتَ فنُعْذَرا

وقال مؤرِّج في هذا الخبر : إنَّ امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره : ألا تركب إلى الصَّيد ؟ فقال عمرو[3] : [من الطويل]

شَكوتُ إليـه أنَّني ذُو جلالـةٍ ... وأنّي كَبيرٌ ذُو عِيـالٍ مُجَنَّب[4]
فقال لنـا : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... إذا سَرَّكم لحمٌ من الوَحشِ فاركَبُوا

صوت

[من السريع]

يا آحِ من حَرِّ الهَوى إنّما ... يَعرِف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا
أصبحتُ للحُبِّ أسيراً فقد ... صعَّدني الحُبُّ وقـد صوَّبا
لا شكَّ أنّي مَيِّتٌ حَسْرَةً ... إن لم أزُر قَبْـلَ غَـدٍ زَيْنَبا
تِلْك الّتي إن نِلْتُها لم أُبَلْ ... مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا

الشعر للمُؤمَّل بن جميل بن يحيى بن أبي حَفْصة بن عمْرو بن مروان بن أبي حَفْصة ، والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشاميّ .

1 الواعية : الصراخ .
2 ديوان امرىء القيس (صادر) : 95 .
3 ديوان عمرو بن قميئة : 66 .
4 ذو جلالة في الديوان : ذو خلالة . والجلالة : عظم القدر . والخلالة : الحاجة والفقر والمجنب : الفقير . وجنب القوم : انقطعت ألبانهم .

[386] ـ أخبار المؤمل بن جميل[1]

قد مضى نَسبُ أبي حفصة في أخبار مروان ، وكان يحيى بن أبي حفصة يُكنى أبا جميل . والمؤمَّل بن جميل يُكنى أبا جميل . وأمّ جميل أميرة بنت زياد بن هَوْذة بن شماس بن لؤيّ من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة . وأمّ المؤمّل شريفة بنت المذَلق بن الوليد بن طلِبة بن قيس بن عاصم المِنقريّ ، وكان جميل يُلقّب قَتيل الهوى ، ولُقِّب بذلك لقوله[2] : [من الخفيف]

قُلن : من ذا ؟ فَقُلتُ هذا اليمانـ ـيّ قَتيلُ الهوى أبو الخطّابِ
قُلن : باللهِ أنت ذاك يَقيناً لا تقُل قولَ مازحٍ لَعّابِ
إن تكن أنتَ هُو فأنت مُنانا خالِياً كنتَ أو مع الأصحابِ

[غلامه المطرز]

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان ، عن أبيه ، وحكى أبو أحمد ، رحمه الله ، عن محمد بهذا الإسناد : أنّ أبا جميل اشترى غلاماً مدنيّاً مُغنِّياً مجلوباً من مولّدي السّند على البراءة من كلّ عيب ، يقال له المطرَّز ، فدعا أصحاباً له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنيين ، يقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة ، فلمّا أخذ القومُ مجلسَهم ومعهم المُطَرّز اندفع الشيخان فغنّيا ، فقال المطرّز لأبي جميل مولاه : ويلك يا أبا جميل يا ابن الزّانية ، أتدري ما فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك ! أجنِنت ! ما لك ؟ قال : ما أنا فأشهد أنّك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة يقال له بُهلول ، وهو في بُستان له ، فقال لهم : مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم ، وقد بلّغتكم رسالتَه ، وإن شاوَرتموني أشرتُ عليكم ؛ فقالوا : أشِرْ علينا ، قال : أرى ألاّ تذهبوا إليه ، فمجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطعْناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وما هي ؟ قال : تحلِفون عليّ ألاّ أبرحَ ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

---

1 ترجمة المؤمل بن جميل في تاريخ بغداد 13 : 180 ، وانظر مصارع العشاق (صادر) 2 : 40 وأعلام الزركلي ، وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 281 .

2 في مصارع العشاق أن الذي سمي قتيل الهوى هو المؤمل لا أبوه ، وأن الأبيات التالية له .

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحَه يَضربه وهو يقول : ويلك أبا جميلَ ! اتَّقِ الله فيَّ ، الله الله في أمري ! أما عَلمت ويلك خبري قبل أن تشترِيَني ! قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبَة في بستان له يستقي منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يصُبُّه لجيران لهم في حيِّهم ، ثم يستَقي مكانه من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سلِ الغلمان إذا أتيت البستان : هل استقيتُ منه ؟ فيسألهم فيجده صادِقاً .

حدَّثنا يحيى بن محمد بن إدريس ، عن أبيه : أنّ يحيى بن أبي حَفصة زوَّج ابنه جميلاً شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طَلِبة بن قيس بن عاصم ، فولدت له المُؤمّل بن جميل ، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلاً ، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمهديّ فحظِيَ عنده ، وهو الذي يقول في شكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك : [من الكامل]

ظلّت عليَّ الأرضُ مُظلمةً ... إذْ قِيلَ عبدُ الله قد وُعِكا
يا ليتَ ما بِكَ بي وإن تَلِفت ... نفسي لذاك وقلَّ ذاكَ لكا

وهو الذي يقول : [من السريع]

يا آحِ من حَرِّ الهوى إنّما ... يعرف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

وذكرَ الأبيات التي تقدّم ذِكرها والغناء فيها .

صوت

[من الكامل]

إنِّي وَهبتُ لظالِمي ظُلمي ... وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زال يَظلمني وأرحَمهُ ... حتَّى رَثيتُ له من الظّلمِ

الشعر لمساور الورَّاق ، والغناء لإبراهيمَ بن أبي العَنْبَس ، ثاني ثقيل بالوسطى ، أخبرني بذلك ذُكاءُ وغيره .

[387] ـ أخبار مساور ونسبه[1]

[نسبه]

هو مساور بن سوَّار بن عبد الحميد ، من آل قَيْس بن عيْلان بن مُضَر ويقال : إنّه مولى خُوَيْلد من عَدْوان[2] كوفيّ قليل الشِّعر من أصحاب الحديثِ ورُواته ، وقد روى عن صَدْر من التابعين ، ورَوى عنه وجوه أصحابِ الحديث .

أخبرني عليٌّ بن طَيْفور بن غالب النِّسائيّ قال : حدَّثنا يعقوبُ بن حميد بن كاسب ، قال : حدَّثنا حمّاد بن أسامة ، عن مساوِر الورّاق ، قال : حدَّثني جعفر بن عمرو ، بن حُرَيث ، عن أبيه ، قال : كأنّي ألنظر إلى النبيَّ ﷺ وهو على ناقَتِه يخطبُ ، وعليه عِمامة سوداء ، قد أرخاها بين كتفيه .

[ابن أبي ليلى لا يجعله في من يوصى بهم]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الأُشْنانداني ، عن الأصمعيّ ، قال : كان قوم يَجْلِسون إلى ابن أبي ليلى ، فكتب قوماً منهم لِعيسى بن مُوسى ، وأشار عليه أن يَشْغلهم ويَصِلهم . فأتى مُساوِرٌ الورَّاق ، فكلّمه أن يجعَله فيهم فلم يفعل ، فأنشأ يقول : [من المتقارب]

أراكَ تُشِير بأهلِ الصلاحِ ... فهل لكَ في الشّاعرِ المُسلِمِ
كَثيرِ العيالِ قليلِ السؤا ... ل عَفٌّ مطاعِمُه مُعْدِمِ
يُقيم الصَّلاةَ ويؤتي الزَّكاةَ ... وقد حَلَّق العامَ بالمَوْسِمِ
وأصبح واللهِ في قَومِهِ ... وأمسى وليس بذي دِرْهَمِ

قال : فقال ابن أبي ليلى : لا حاجة لنا فيه ، فقال فيه مساورٌ أبياتاً ، قال أبو بكر ابن دُرَيْد : كرِهنا ذِكرها صيانة لابن أبي ليلى .

[هجا مَن عاب شعر المرقش الأكبر]

أخبرني محمد قال : حدَّثني التوّزي قال : كان مُساوِرٌ الورّاق ، وحمَّاد عَجْرد ، وحَفْص بن أبي بُردة مجتمعين ، فجعل حَفْص يَعيب شعْرَ المُرقِّش الأكبر ؛ فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال : [من الطويل]

1 ترجمة مساور الوراق في تهذيب التهذيب 10 : 103-105 والوافي بالوفيات 25 : 481-482 وانظر أعلام الزركلي .
2 ل : عدنان .

لقد كان في عينَيْك يا حفْصُ شاغِل وأنفٌ كَثِيلِ العَوْد عمّا تَتَبَّعُ[1]
تَتَبَّعتَ لحناً في كلام مُرَقَّشٍ ووجهُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمعُ

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً ، وهاجره مدة .

[وصيته لابنه]

نسختُ من كتاب عُبيد الله اليزيديّ بخطِّه : حدَّثنا سليمانُ بن أبي شَيخ ، قال : كان مُساوِر الورَّاق من جدِيلة قيس ، ثم من عدوان ، مولًى لهم ، فقال لابنه يوصيه : [من الكامل]

شَمِّر ثيابك واستعدَّ لقائلٍ واحكُكْ جَبينَك للعُهود بثُومِ
إنَّ العُهودَ صفَتْ لكلِّ مُشمِّرٍ دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ حسنِ التَّعهُّد للصلاةِ صَؤُومِ
من ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ وسِماكٍ العَتَكيّ وابنِ حَكِيمِ
وعليك بالغَنَويِّ فاجلِسْ عنده حتى تُصيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ
تغنِيك عن طلب البُيوعِ نَسيئةً وتكفُّ عنك لسانَ كُلِّ غَرِيمِ
وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّماً فاخْصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسْلِيمِ

[عمل بالوصيّة فتعرض للعقاب]

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مُساوِرٌ أن ولاّه عيسى بن موسى عملاً ، ودفع إليه عهده ، فانكسر عليه الخراج ، فدُفِع إلى بطينٍ صاحبِ عذابِ عيسى يسْتأدِيه ، فقال مُساوِر : [من الوافر]

وجدت دواهِرَ البَقَّال أهْنى من الفُرْنِيِّ والجَدْي السَّمينِ[2]
وخَيراً في العَواقِبِ حين تُبلى إذا كان المَرَدُّ إلى بَطِينِ
فكُنْ يا ذا المُطِيف بقاضِيَيْنا غداً من عِلْم ذاك على يَقينِ
وقُلْ لهما إذا عَرَضا بعَهْدٍ : بَرئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرينِ[3]
فإنّك طالما بَهْرجْتَ فيها بمثلِ الخُنْفُساء على الجَبينِ

---

1 ثيل : وعاء قضيب البعير . والعود : المسن من الإبل .
2 دواهر البقال : لعلها ما يطعمه من البقال . والفرني : خبز ملتوت بالسكر والسمن .
3 عرينة : من اليمن . وعرين : هي من تميم . وقال جرير :
عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين

[استعباره في مقبرة حميد الطوسيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : مَرَّ مُساوِر الورَّاق بمقبرة حُمَيد الطوسيّ وكان له صديقاً ، فوقف عليها مُستعبِراً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أبا غانِمٍ أمَّا ذَراك فواسِعٌ وقَبرُك مَعمورُ الجَوانبِ مُحْكَمُ
وما يَنْفَع المقبورَ عُمْرانُ قَبْرِه إذا كان فيه جِسْمُه يَتهدَّمُ

[أصحاب أبي حنيفة]

أخبرني إسماعيلُ بن يونُس الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا محمد بن الصبّاح ، عن سفيان بن عُيَينة ، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب : أنَّ حامد بن يحيى البلْخيّ ، حدَّث عن سفيان بن عُيَيْنة ، وهذه الرواية أتمّ ، قال : لمَّا سَمِع مُساوِر الورَّاق لغَطَ أصحاب أبي حنيفة وصياحَهم أنشأ يقول : [من البسيط]

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سَعةٍ حتى بُلِينا بأصحاب المَقايِيسِ
قَومٌ إذا اجْتمعوا ضَجُّوا كأنَّهمُ ثعالبٌ ضَبَحَتْ بين النَّواويسِ[1]

فبلغ ذلك أبا حنيفةَ وأصحابَه ، فشقَّ عليهم وتوعّدُوه ، فقال أبياتاً تُرضِيهم وهي : [من الوافر]

إذا ما النّاسُ يوماً قايَسُونا بآبِدَةٍ من الفُتْيا ظَريفَهْ
أتيناهُمْ بمِقْياسٍ ظَرِيفٍ مُصيبٍ من قِياسِ أبي حَنيفَهْ[2]
إذا سَمِع الفَقِيهُ بها وَعاها وأثبتها بحِبْرٍ في صَحِيفَهْ

فبلغ أبا حَنِيفة فرضِي . قال مُساورٌ : ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة في يوم شديد الحَرّ ، فدَخلت فلم أجِد لرجْلِي مَوْضعاً من الزّحام ، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت ؛ فلمّا رآني قال : إليَّ يا مُساوِر ، فجئْتُ فإذا مكان واسع ، وقال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقلت في نفسي : نفعَتني أبياتي اليوم . قال : وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي : هاهنا ، هاهنا ، ويوسِّع لي إلى جنبه ، ويقول : إنَّ هذا من أهل الأدب والفَهْم ، انتهى .

[حقوق جيرانه وحقوقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أبو المعمّر عبد الأوّل بن مزيد ، أحد بني أنف الناقة ، قال : كان مُساور الورَّاق لا يُضيعُ حقّاً لجارٍ له ، فماتت بِنتُه ، فلم يشهدها من

1 ضبحت الثعالب : صوتت . والنواويس : القبور .
2 انظر الأبيات وجوابها في عيون الأخبار 2 : 140 ، وفيه :
أتيناهم بمقياس صحيح تلادٍ من طراز أبي حنيفة

جيرانِه إلاّ نفرٌ يسيرٌ ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من الطويل]

تغيَّب عنّي كُلُّ جافٍ ضرورةً ... وكلّ طُفَيْليّ من القوْمِ عاجزِ[1]

سَريعٍ إذا يُدعى ليوم وَليمَةٍ ... بَطيءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجَنائزِ

أخبرني محمد بن الحسن ، قال : حدّثنا عبد الأوَّل ، قال : قدِم جارٌ لِمُساور الورّاق من سفر ، فجاءَهُ يُسلّم عليه ، فقال : يا جارية ، هاتي لأبي القاسم غداء . فجاءت برغيفٍ فوضَعَتْه على الخُوان ، فمَدَّ يده يأكل مع مُساوِر ، وقال له : يا أبا القاسِم ، كُلْ من هذا الخبز ، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه ، فقال مُساورٌ في ذلك : [من البسيط]

ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الخُبزَ فاكهةٌ ... حتّى رأيتُكَ يا وَجْهَ الطَّبَرْزِينِ[2]

كأنَّ لِحْيَتَه في وجهه ذَنَبٌ ... أو شِعْرَةٌ فوق بَظرٍ غيرِ مَختونِ

[جزعه على صديقه أبي العيص الجرمي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : دخل مُساورٌ الورّاق على أبي العيص الجرميّ يعوده وكان صديقَه ، فكلّمه فلم يُجِبْه ، فبَكى مُساورٌ جَزَعاً عليه ، وأدنى رأسَه منه يكلّمه ، فقال أبو العيص : [من الطويل]

أفي كلِّ عامٍ مَرْضةٌ بعد نَقْهةٍ ... وتَنْعى ولا تُنْعى مَتى ذا إلى متى

سيوشك يومٌ أن يجيء ولَيْلةٌ ... يَسوقان حَتْفاً راح نحوك أوْ غَدا

فتُمسي صَريعاً لا تُجيب لدَعوةٍ ... ولا تَسْمع الدّاعي وإن جَدَّ في الدُّعا

ثم لم يلبث أن مات ، رحمه الله .

صوت

[من الطويل]

تَنامِينَ عن لَيْلي وأُسهَرُه وَحْدي ... وأنهى جُفوني أن تَبُثّكِ ما عِنْدي[3]

فإن كُنتِ ما تَدْرِينَ ما قد فعلتِه ... بنا فانظُري ماذا على قاتِلِ العَمْدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيد الكاتب ، والغناء لعَريب خفيف ثقيل مُطْلق بالسبابة في مجرى الوسطى .

---

1 يروى : كل جاف صرورة ، والصرورة الذي لم يتزوج أو لم يحجّ .

2 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .

3 مجموع شعره : 125 .

[388] ـ أخبار سعيد بن حميد ونسبه[1]

[نسبه]

سعيد بن حُميد بن سعيد بن حُمَيد بن بجر ، يُكْنى أبا عُثمان من أولاد الدَّهاقين ، وأصله من النَّهْروان الأوْسط ، وكان هو يقول : إنَّه مَوْلى بني سامةَ بن لُؤَيّ ، من أهل بغداد ، بها وُلِد ونشأ ، ثم كان يتنقَّل في السُّكنى بينها وبين سُرَّ مَنْ رأى : كاتبٌ شاعرٌ مُترَسِّل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذْهبِه ، فأغرى به المعتصم ، وقال : إنّه شُعُوبيٌّ زِنْديق ، فحبَسه مدّة طويلة ؛ ثم بانت براءته له أو للواثق بعده ، فخلَّى سبيله .

[أبوه يهجو ابن أبي دواد]

وكان شاعراً أيضاً ، فكان يَهْجو أحمد بن أبي دُواد ، وأنشدنيها جماعةٌ من أصحابنا ، قال : [من الوافر]

لقد أصبحتَ تُنْسَب في إيادِ ... بأن يُكْنى أبوكَ أبا دُوادِ
فلو كان اسمُه عمرَو بنَ مَعْدِي ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ
لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عيْشي ... لما أصلحتَ أصلَك في إيادِ
وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسيرِ من التّلادِ

[كان قوي الحافظة]

فذكر محمد بن موسى أنّ أبا يوسفَ بن الدَّقّاق اللّغوي أخبره أنَّ حُمَيْد بن سعيد بن حُمَيد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صبيٌّ فقال له : امضِ به معك إلى مجلس ابن الأعرابيّ ؛ قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنشدنا أُرجوزةً لبعض العرب فاستحْسنتُها ، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتبُها منها ؛ فلمّا انصرفنا قلت له : فاتَتنا هذه الأُرجوزة ، فقال : لم تفتُكْ ، أتُحِبّ أن أُنشدَكها ؟ قلت : نعم ، فأنْشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه ، وإنّما سَمِعها مرَّةً واحدة . فلقيتُ أباه من غدٍ ، فقال لي : كيف رأيتَ سعيداً ؟ قلت له : إنّك أوْصَيْتَني به ، وأنا أسألُك الآن أن تُوصيَه بي ، فضحك وسألني عن الخبر ، فأعلَمْته فسُرَّ به .

[شغفه بالغلمان المرد]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلحة ، قال : حدَّثني ابن أبي المُدَوَّر ، قال : دخل

---

1 ترجمة سعيد بن حميد في معجم الأدباء (عباس) : 1365–1366 والوافي بالوفيات 15 : 213 والسّمط : 161 ووفيات الأعيان 3 : 80 ، 89 وقد جمع يونس أحمد السامرائي رسائله وشعره (بغداد ، 1971) .

سعيدُ بن حُميد يوماً على أبي العبّاس بن ثوابة ، وكان أبو العبّاس يُعاتبه على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى على رأسِه غُلاماً أمردَ حَسَن الوجه ، عليه مِنْطَقَةٌ وثياب حِسان ، فقال له : يا أبا العبّاس[1] : [من الكامل]

أزعمْتَ أنَّك لا تَلوطُ فقُل لنا هـذا المُقَرْطَقُ قائماً ما يصْنعُ[2]

شَهِـدَت مَلاحَتُـه عليكَ بِرِيبَةٍ وعلى المُريـبِ شَواهدٌ لا تُدفَعُ

فضحك أبو العبَّاس وقال : خُذْه ، لا بُورِك لك فيه حتى نستريح من عَتْبك .

أخبرني عَمِّي ، رحمه الله ، قال : قال لي محمد بن موسى بنِ الحسن بن الفُراتِ الكاتب : كان سعيد بن حُمَيْد يهوى غلاماً له من أولاد المَوالي ، فغاب عنه مدّة ، ثم جاءه مُسلِّماً ، فقال له : غِبتَ عنّي هذه المدّة ثم تَجيئني فلا تُقيم عندي ! فقال له : قد أمسينا ، فقال : تَبيتُ ، قال : لا والله لا أقدِر ، ولم يَزل به حتى اتَّفقا على أنَّه إذا سَمِع أذان العتَمة انصرف ، فقال له : قد رضِيت . ووضع النَّبيذَ ، فجعل سعيد يَحُثُّ السَّقْي بالأرطال ، فلمّا قرُب وقتُ العتَمة ، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المسجِد وهو مُؤَذِّنُه قولَه[3] : [من الخفيف]

قـل لِداعي الفِراق أخِّرْ قليلاً قـد قَضيْنا حَقَّ الصّلاةِ طويلا

أخِّـر الوقْتَ في الأذانِ وقدِّمْ بعدهـا الوقت بُكرةً وأصيلا

ليس في ساعـةٍ تُؤَخِّرها وِزْ رٌ فنحيـا بهـا وتأتي جميلا

فتُراعـي حـقَّ الفُتُوَّةِ فينا وتُعافـى مـن أن تكون ثقيلا

فلمّا قرأ المُؤذِّن الرُّقْعة ضَحِك وكتب إليه يحلِف أنّه لا يُؤَذِّن ليلَته تلك العتَمة ، وجعل الفتى ينتظِر الأذانَ حتى أمسى وسَمِع صوتَ الحارس ، فعَلِم أنَّها حِيلة وقعَت عليه وبات في موضعه . وقال سعيد في ذلك[4] : [من الرجز]

عَرَّضتُ بالحُـبِّ لـه وعرَّضا حتى طَوى قلبي على جَمْر الغَضى

وأظْهَرتْ نفسي عن الدَّهْرِ الرِّضا ثـم جَفـاني وتولَّـى مُعرِضا

لم ينقضِ الحبُّ بَلى صبري انقضى فِداكَ مَنْ ذاقَ الكرى أو غَمَّضا

---

1 مجموع شعره : 158 (من المنسوب إليه) .

2 المقرطق : الذي يلبس القرطق ، وهو قباء من طاق واحد .

3 مجموع شعره : 145–146 .

4 مجموع شعره : 135–136 .

حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى سألتُه حُوَيْجَةً فأعرضا
وقال : لا ، قولَ مُجيبٍ بِرِضا فكان ما كان وكابرْنا القَضا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة ، أخبرني بذلك ذُكاء وجه الرُّزَّة .

وجدت في بعض الكتب : حدَّثني أحمد بن سليمان بن وَهْب أنّه كان في مجلس فيه سعيد بن حُمَيد ، فلمّا سكروا قام سعيد قومة بعد العصر ، فلم نشعر إلاّ وقد أخذ ثيابَه فلبسها ، وأخذ بعضُدتي الباب ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

سلام عليكم حالت الرَّاحُ بيننا وألوتْ بنا عن كلّ مرأًى ومَسْمَعِ
ولم يبْقَ إلاّ أن يَميلَ بنا الكَرى ويجمع نومٌ بين جَنْبٍ ومضْجعِ

فقام له أهل المجلس ، وقالوا : يا سيِّدنا ، اذهب في حفظ الله وفي ستره ، فانصرف وودَّعهم .

[اعتذاره لفضل الشاعرة]

حدَّثني محمد بن الطَّلاَّس أبو الطَّيِّب ، قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّتْه به ، وفي آخرها[2] : [من الطويل]

تَظنُّون أنِّي قد تبدّلتُ بعدكم بديلاً وبعضُ الظَّنّ إثمٌ ومُنكَرُ
إذا كان قلبي في يديكِ رَهينةً فكيف بلا قلب أُصافي وأُهجُر !

في هذين البيتين لابن القصَّار الطنبوريّ رمل ، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل .

[خبره مع كعب الجارية]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني أبو عليّ المادرانيّ أنّه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المقَيِّن ، وكان بعضُ أهلِ المجلس يهواها . قال : فدخل إلينا سعيد بن حميد ، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حِجرها ، فإذا فيها قولُه[3] : [من مجزوء الرمل]

ما على أحسن خلْـ ـق الله أن يَحسُنَ فِعْلُهْ

1 مجموع شعره : 137 .
2 مجموع شعره : 131–132 .
3 مجموع شعره : 144 .

بأبـي أنــتَ وأُمّي مــن مَليكٍ قَــلَّ عَدْلُهْ
وبَخيــلٍ بالهَـوى لــو كان يُسلَى عنــه بُخلُهْ
أكثَرَ العاذِلُ في حُبِّــ ــك لــو ينفع عَذْلُهْ
فهــو مَشْغـولٌ بعَذْلي وفــؤادي بـِك شُغْلُهْ
أُكثِرُ الشَّكْـوى وأستَعْـ ـدي على مَـنْ قَلَّ بذْلُهْ

فوثبت الجارية فقبَّلت رأسَه وجَلستْ إلى جنبِه ، فقال الرجل الذي كان يهواها : هذا والله كلام الشَّياطين ورُقْيَةُ الزِّنا ، وبهذا يَتمّ الالأمْر ، أمّا أنا فإنِّي أُشهدكم ، لا قرأتُ اليوم في صَلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلَّها تَنْفعُني . فضحك سعيد وقال : بحياتي قُومي فارْجِعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعَتْه قبل أن يقرأها في صلاتِه ، وسُرِّيني بذلك ، فقامت فرَجَعتْ إلى موضعها .

[زيارة على غير وعد]

قال عليّ بن العبّاس : وحدَّثني أبو عليّ المادَرانيُّ : أنَّه كان عنده يوماً ، فدخلت إليه جاريةٌ ، كان يهواها ، غفلةً على غير وَعْد ، فسُرَّ بذلك وقال لها : قد كُنتُ على عِتابِك ، فأمَّا الآن فلا ؛ فقالت : أمَّا العِتابُ فلا طاقةَ لي به ، ووالله ما جِئتُك إلاّ عند غفلة البوّاب ، فقال سعيد في ذلك[1] : [من مخلع البسيط]

زاركَ زَوْرٌ عـلى ارتقـابِ مُغتَنِمـاً غَفْلَـة الحُجّابِ
مُستَتِراً بالنِّقــابِ يَبــدُو ضِياءُ خَدَّيــه في النِّقابِ
كالشَّمْسِ تبدو وقد طَواها دُونَك سِتْرٌ مــن السَّحابِ
قد كان في النفسِ منك عَتْبٌ يدعــو إلى شِدَّة اجْتِنابِ
فمِلتُ بالعَتْبِ عن حَبيبٍ يَضعُف عن موقف العِتابِ
والذَّنبُ منه وأَنتَ تَخْشَى في هَجْرِه صولَـة العِقابِ

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني ابن أَبي سعد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن داود ، قال : كان أبي يَسْتَحسِن قولَ سعيد بن حُميد :

تَظُنُّون أَنِّي قــد تَبَدَّلْتُ بعدكم بَدِيـلاً ، وبَعضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ

1 مجموع شعره : 119 .

إذا كان قَلْبِـي في يَدَيْكِ رهينـةً فكيف بلا قَلْبٍ أُصافِي وأَهجُرُ !

ويقول : لَئن عاش هذا الغُلامُ لَيكوننَّ له في الشِّعر شأْن .

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريض أنَّه له .

[زيارة فضل له على غفلة]

أخبرني ابنُ أَبي طَلْحة قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ مُسافِر أَنّه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخَلت عليه فَضْل الشاعرة على غَفلة ، فوثَب إليها وسَلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عنده ، فقالت : قد جاءَني وحياتِك رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُني الجُلوسُ ، وكرِهتُ أن أَمُرَّ ببابِك ولا أراك . فقال سعيد من وَقتِه على البَديهة[1] : [من الطويل]

قَرُبتِ ولا نَرْجُـو اللِّقاءَ ولا نَرى لنـا حيلَـةً يُدْنيكِ منّـا احْتِيالُها

فأَصبحْتِ كالشمسِ المُنيرة ضوؤُها قريبٌ ولكـن أَيْنَ مِنّـا مَنالُها !

كَظاعِنـةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبَةُ النَّوى علينا ولكـن قـد يُلِمُّ خيالُها

تُقرِّبهـا الآمـالُ ثـم تَعُوقُهـا مُماطَلَةُ الدُّنيـا بهـا واعتلالُها

ولكنّهـا أُمنيَّـةٌ فلعلّهـا يجودُ بهـا صَرْفُ النَّوى وانْتِقالُها

[استرضاء فضل الشاعرة]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ؛ قال : تغاضبَ سعيدُ بن حميد وفَضْل الشاعرة أيّاماً ، ثم كَتب إليها[2] : [من المتقارب]

تعالَـيْ نُجدِّدُ عَهْـدَ الرِّضا ونَصفَح في الحُبِّ عمَّا مَضى

ونَجـرِي على سُنَّـةِ العاشقين ونضمن عنِّـي وعنكِ الرِّضا

ويَبـذُل هـذا لِهـذا هَواهُ ويَصْبِـر في حُبِّـه للقَضا

ونخضعُ ذُلاً خُضوعَ العَبيدِ لمولًـى عزيـزٍ إذا أَعرضا

فإنِّـيَ مُذْ لَـجَّ هذا العِتابُ كأَنِّيَ أَبطنْتُ جَمْـرَ الغَضى

فصارت إليه وصالَحته .

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيها لابن القصّار خفيف رمل .

---

1 مجموع شعره : 144 .

2 مجموع شعره : 134–135 .

[دعوة تنتزعه من مجلس السرور]

أخبرني ابن أبي طَلحة قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن أبي المدوّر قال : بات سعيد بن حُمَيد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل ، واصطبحا على غناء حسن كان عندهما ، فجاءه رسول الحسن بن مَخْلَد وقد أمِر ألاَّ يُفارِقه لأمرٍ مُهمٍّ ، فقام فلبِس ثيابَه ، وأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

يا ليلةً باتَ النُّحوسُ بَعيدةً عنها على رَغْم الرَّقيبِ الرَّاصِدِ
تَدعُ العَواذِلَ لا يَقُمْنَ لِحاجةٍ وتقومُ بهجتُها بِعُذرِ الحاسِدِ
ضَنَّ الزَّمانُ بها فلمّا نِلْتُها وَرِدَ الفراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً قَوْلَ المُقِرِّ مُكَذِّباً للجاحِدِ

[ردّه على عتاب ابن ثوابة]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدَّثني أبو العبّاس بن أبي المدوّر ، قال : كان سعيد بن حُميد صديقاً لأبي العبّاس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، وجاءه رسول فَضْل الشَّاعرة يسألُه المصير إليها ، فمضى معه وتأخَّر عن أبي العبّاس ، فكتب إليه رُقْعةً يعاتِبه فيها معاتبةً فيها بعض الغِلظة ، فكتب إليه سعيد[2] : [من الكامل]

أقلِلْ عِتابَك فالبقاءُ قليلُ والدَّهْرُ يَعدِل تارةً ويَميلُ
لم أبكِ من زَمن ذَممتُ صروفَه إلاّ بكيتُ عليه حين يَزولُ
ولِكُلِّ نائبةٍ ألمَّتْ مُدَّة ولكلِّ حالٍ أقبلت تحويلُ
والمُنتمُون إلى الإخاءِ جماعةٌ إن حصَّلوا أفناهم التَّحصيلُ
ولعلَّ أحداثَ الليالي والرّدى يَوْماً ستَصْدَعُ بيننا وتحولُ
فلئن سبقتُ لتبكِينَّ بحسرة وليكثُرنَّ عليَّ منكَ عَويلُ
ولتُفجَعَنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصولُ
وليذهبنَّ جمالُ كلِّ مروءة وليعفُونَّ فِناؤها المأهولُ
ولئن سَبقْتَ ولا سبَقْتَ ليمْضِينْ مَنْ لا يشاكله لديَّ عديلُ
وأراك تَكْلَف بالعتابِ وودُّنا باقٍ عليه من الوفاءِ دليلُ
ودٌّ بدا لذَوِي الإخاء جميلُه وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ

1 مجموع شعره : 126 .
2 مجموع شعره : 146–147 .

ولعـلَّ أيّـام الحيـاةِ قصيرةٌ فَعـلامَ يكثُر عتبُنـا ويطولُ

[عتاب مظلومة له وجوابه]

أخبرني الطَّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عليّ بن أبي الرعد : أنّ سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقيّ ، فبلغه أنّها تُواصلُ بعض أعدائه ، فهجرها مدّة ، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوّقه ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

أمري وأمـرُك شيءٌ غير مُتَّفقِ والهجر أفضل من وصلٍ على مَلَقِ
لا أكْذِبُ اللهَ ، مـا نفسِي بعاليةٍ ولا خليقةُ أهل الغدْرِ مِنْ خُلقِي
فإن وثقـتِ بـوُدٍّ كنتُ أبذُله فعاوِدِي سوءَ ظنّ بـي ولا تثِقي

[اعتذاره لهبة المغنية]

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنّه حَضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هِبةُ المغنّية ، وكان سعيد يتعشّقها ويَهيمُ بها ، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ، ودَخلت بعد ذلك وهو في القوم ، فسلّمت عليهم سواه . فقالوا لها : أتَهجُرين أبا عُثمان ؟ فقالت : أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلّمني ، فقال سعيد[2] : [من البسيط]

اليـوم أيقنتُ أنَّ الهجـرَ مَتلفَةٌ وأنَّ صاحبَـه منـه على خَطَرِ
كيف الحياة لِمَن أمسى على شَرَفٍ من المنيّة بـين الخَوْفِ والحَذَرِ
يلـومُ عَيْنَيْـهِ أحيانـاً بذَنْبهما ويحمِـل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ
تنأَوْنَ عنـه وَينـأى قلبُه معكم فقلبُـه أبـداً منـه على سَفَرِ

فوثَبت إليه وقبّلت رأسَه ، وقالت : لا أهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ .

[عتاب فضل ورجوعها إليه]

أخبرني جَحْظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : غضِبت فَضْل الشاعرة على سعيد بن حُمَيْد فكتب إليها[3] : [من السريع]

يا أيّها الظـالم مـا لي ولَكْ أهكَذا تهْجر مَـنْ واصلَكْ !
لا تصرفِ الرّحمـةَ عن أهلها قد يَعطِف المَوْلى على مَنْ مَلكْ

1 مجموع شعره : 140 .
2 مجموع شعره : 156 (من المنسوب إليه) .
3 مجموع شعره : 140-141 .

ظلمتَ نفساً فيــكَ عَلَّقْتُها ... فــدارَ بالظُّلــمِ عــليَّ الفَلَكْ
تبــارَكَ اللّهُ فمـا أعلَـم اللّهَ ... بِمــا ألقــى ومــا أغفلكْ !

فراجعت وصله ، وصارت إليه جواباً للرقعة .

في هذه الأبيات لعَريب ثاني ثقيل وهزج ، عن ابن المعتزّ ، وأخبرني ذُكاءُ وجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء .

[جوابه لفضل على تشوقها إليه]

أخبرني الطّوسيّ الطّلحيُّ قال : حدَّثنا محمد بن السَّريّ : أنّ سعيدَ بن حُمَيْد كان في مجلس الحَسن بن مَخلَد ، إذ جاءه الغلام برقعة فَضْل الشاعرة تشكو فيها شِدَّة شوقها ، فقرأها وضَحِك ؛ فقال له الحسنُ بن مُخَلّد : بحياتي عليك أقرئنيها ، فدفَعها إليه فقرأها وضَحِك وقال له : قد وحياتي مَلَّحتْ فأَجِبْ ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

يا واصفَ الشوق عندي من شواهده ... قلــبٌ يهيم وعَيْنٌ دَمعُها يكِفُ
والنَّفسُ شاهــدةٌ بــالوُدِّ عارفةٌ ... وأَنفُسُ النّــاسِ بالأهــواء تأتلِفُ
فكُــن على ثِقَــةٍ مِنِّــي وبيِّنةٍ ... إنّي على ثقــةٍ مــن كلّ ما تصِفُ

[فضل تميل إلى بنان]

أخبرني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون قال : لمّا عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو المغنّي ، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلّداً ، ثم قال فيها[2] : [من البسيط]

قالوا : تَعزَّ وقد بانوا فقُلتُ لهم : ... بــانَ العزاءُ على آثــارِ مَنْ بانا
وكيــف يملكُ سُلوانــاً لحبِّهِمُ ... مَنْ لم يُطِق للهَوى سَتْراً وكتمانا !
كانت عزائمُ صَبْري أستعين بها ... صارتْ عــليَّ بحمــد الله أعوانا
لا خَيْرَ في الحبِّ لا تبدو شواكِلُهُ ... ولا تَرى منــه في العينين عُنوانا

قال أبو الحسن جحظة : وغنّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً ، وأظنّه عنى نفسَه .

[تبرؤه لأبي هفان مما نسب إليه]

أخبرني الطّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عيسى الكاتب : أنّ أبا هِفّان بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جفاء وطَعْن على شعرِه ، فتوعّده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبَلَغَ

---

1 مجموع شعره ؛ 138 .
2 مجموع شعره : 151–152 .

سعيداً ما جرى ، فكتب إلى أبي هفّان[1] : [من البسيط]

أمسى يُخَوِّفنـي العبـديُّ صولَته ... وكيف آمنُ بأسَ الضَّيْغَمِ الهَصِرِ[2]
من ليس يُحرِزُني من سيفِه أجَلي ... وليس يمنعني مِـنْ كيدِه حذَري
ولا أُبـارزُه بالأمـرِ يَكرهُـه ... ولـو أُعِنْتُ بأنصارٍ مـن الغِيَرِ
لـه سِهامٌ بـلا ريشٍ ولا عَقَبٍ ... وقَوْسُهُ أبـداً عُطْلٌ مـن الوَترِ
وكيف آمنُ مَنْ نَحْرِي له غَرَضٌ ... وسَهمُه صائبٌ يَخفى عن البصرِ

[مع فضل الشاعرة]

أخبرني الطَّلحيُّ قال : حدَّثني محمد بن السَّريّ : أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو في دار الحسن بن مَخلد في حاجة له ، قال : فإنّي عنده إذ جاءته رُقعةُ فَضْل الشاعرة ، وفيها هذان البيتان : [من الكامل]

صوت

الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيـدُ ... والدّارُ دانِيـةٌ وأنـتَ بَعيـدُ
أشكوكَ أم أشكو إليكَ فإنّه ... لا يستطيع سِواهُمـا المجهودُ

أنا يا أبا عُثمان في حال التَّلف ولم تَعُدْني ، ولا سألْت عن خَبري .

فأخذ بيدي فَمضينا إليها ، فسأل عن خبرها ، فقالت : هوذا أموتُ وتستريح منّي ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

لا مُـتِّ قبلِيَ بل أحيا وأنتِ معاً ... ولا أعيشُ إلى يـوم تَموتينـا
لكـن نَعيش بمـن نَهوى ونأمَلُه ... ويُرغِـمُ الله فينـا أنْفَ واشينا
حتـى إذا قـدَّر الرحمـنُ ميتتنا ... وحانَ من أمرنا مـا ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعـاً كغُصْنَيْ بانـةٍ ذَبُلا ... مِنْ بعد ما نَضَرا واستوسقا حِينا
ثـمَّ السَّلام علينـا في مضاجعنا ... حتـى نعـودَ إلى ميزان مُنْشِينا

أخبرني إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور قال : قال لي أبي : كانت فَضْل الشاعرةُ تتعشّق سعيدَ بن حميد مدّة طويلة ، ثم تعشّقت بناناً ، وعدَلت عنه ، فقال فيها قصيدته الدّالية التي

---

1 مجموع شعره : 130–131 .
2 العبدي : نسبة إلى عبد القيس قوم أبي هنان .
3 مجموع شعره : 152–153 .

يقول فيها :

تَنامينَ عـــن ليلي وأُسهَرُه وَحْدِي

فَلم تَتَعطَّف عليـه ، وبلغها بعد ذلك أنّه قد عَشِق جارية من جواري القيان ، فكتبت إليه : [من المنسرح]

يـــا عاليَ السنِّ سَيّىءَ الأَدَب شِبتَ وأنتَ الغُلام في الطَّربِ
ويحكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرَك الْـ ـمَنْصوب بينَ الغُرور والعَطبِ
لا تَصدَّيْـــنَ للفقيـرِ ولا يَطلُبْـن إلاّ معـادِنَ الذهبِ
بينا تَشَكَّى هـواك إذ عَدَلَتْ عن زفراتِ الشَّكْوى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَـــظ هـــذا وذاك وَذا لحـظ مُحِـبٍّ وفِعْلَ مُكْتسبِ

[فضل تعوده في مرضه]

أخبرني إبراهيم قال : وحدَّثني أَبي قال : افْتَصد سعيد بن حميد ، فسأَلْتني فضل الشاعرة وسأَلَت عَرِيب أن نمضي إليه ، ففعلنا ، وأهدت إليه هدايا ، فكان منها ألف جَدْي وحمل وألف دجاجة فائقة ، وألف طبق ريحان وفاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ . فكتب إليها سعيد : إنَّ سروري لا يتمّ إلاّ بحضورك ، فجاءته في آخر النهار ، وجلسنا نشرب فاستأذن غلامُه لبنان فأَذِن له ، فدخل إلينا وهو يومئذٍ شابٌّ طَرِير ، حسَن الوجه ، حسنُ الغِناء ، نظيف الثياب ، شَكِلٌ[1] فذهب بها كلَّ مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها ، فتشَمَّز سعيد واستُطِير غضباً ، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف ، وأقبل عليها سعيد يَعذلُها ويُؤَنّبها ساعة ، ثم أمسك ، فكتبت إليه : [من مجزوء الكامل]

يـــا مَـن أطلــتُ تَفرُّسي في وَجْهِــــه وتَنفُّسي
أَفديــك مـــن مُتَدلِّـــل يُزْهـــى بقَتْـــلِ الأَنفُسِ
هَبْنِـــي أَسأْتُ ومــا أسأْ تُ بَـلى أُقِـرّ أَنـا المُسي
أَحْلفتَنـــــــي أَلاَّ أُســا رق نَظْـرةً في مَجْـلِسي
فنظـرتُ نظـرةَ مُخطِيءٍ أَتْبَعْتُهـــا بتَفَـــــرُّسِ
ونَسيتُ أَنّي قـــد حَلَّفْـ ـتُ ، فما عُقوبَةُ مَنْ نَسي ؟

فقام سعيد ، فقبَّل رأسَها وقال : لا عقوبةَ عليه بل نَحْتَمِل هَفوته ، ونَتجافى عن إساءته ؛

1 شكل : فيه دلال وغزل .

وغنَّت عَريبُ في هذا الشِّعر هَزَجاً ، فشَربنا عليه بَقِيَّة يومِنا ، ثم افترقنا . وأثَّر بَنان في قَلبها وعَلِقَت به ، فلم تَزلْ حتى واصلتْه وقَطعت سعيداً .

وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المُعتزّ ، قال : قال لي إبراهيم بن المهديّ[1] : كانت فَضْل الشَّاعرة من أحسن خلْق الله خطّاً ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلَغهم في مخاطبة ، وأثبتهم في محاورة ، فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد : أظنّك يا أبا عثمان تكتب لفَضْل رِقاعَها وتُقيّدها وتُخرِّجها ، فقد أخذتْ نحوك في الكلام وسلكت سبيلَك . فقال لي وهو يضحك : ما أخْيَب[2] ظنَّك ، ليتها تسلم منّي ولا آخُذُ كلامَها ورسائلَها ، والله يا أخي لو أخذ أفاضلُ الكُتَّاب وأُماثلُهم عنها لما استغنَوْا عن ذلك .

صوت

[من الخفيف]

كلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فَمُودِي ما لِحَـيٍّ مُؤمَّـلٍ مِـنْ خُلودِ
لا تَهـابُ المَنونُ شَيئاً ولا تُبْـ ـقي على والـدٍ ولا مَوْلودِ

الشعرُ لابن مُناذِر ، والغناء لبنان ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صَنْعته ، وفيه لِساجي جارية عُبيد الله بن عبدِ الله بن طاهر ثقيلٌ أوَّل أيضاً على مذهب النَّوْح ، ابتداؤه نشيد .

1 ط . بيروت : إبرهيم بن المدبر .
2 ط . بيروت : ما أحسن ظنّك .

[389] ـ أخبار ابن مناذر ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن مُناذر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبوع ، ويُكْنى أبا جعفر ، وقيل إنّه كان يُكنى أبا عبد الله .

ووجدتُ في بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنّه كان يُكْنى أبا ذَريح وقد كان له ابنٌ يُسمّى ذَريحاً ، فمات وهو صَغير وإيّاه عَنى بقوله : [من مجزوء الوافر]

كأنَّكَ للمنايا يا ذَريحُ اللهُ صَوَّرَكا

فناطَ بوَجْهِك الشِّعرى وبالإكليل قَلَّدكا

ولعلّه اكْتَنى به قبلَ وفاته .

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القَهْرمان ، وكان سليمان مولْى عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكرة عَبداً لثَقيف ، ثم ادَّعى عُبيد اللهِ بن أبي بكرة أنّه ثقفيٌّ ، وادّعى سليمان القهرمان أنّه تميميٌّ ، وادّعى ابن مناذر أنّه صَلِيبة من بني صُبَير بن يربوع ، فابنُ مناذِر مَولى مَوْلى مَوْلًى ، وهو دَعِيٌّ مولى دَعيٌّ ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قطّ ممّن عرفْناه وبلَغنا خبره .

[عالم باللغة]

ومحمد بنُ مناذر شاعر فصيح مُقَدَّم في العِلم باللغة وإمامٌ فيها ؛ وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها ؛ وكان في أوَّل أمرِهِ يتألَّهُ ، ثم عدَل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتَّك وخلع ، وقذَف أعراضَ أهلِ البصرة حتى نُفيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك . وهذه الأبيات يرثي بها ابنُ مناذر عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ . وكان عبد الوهّاب مُحدِّثاً جليلاً ، وقد روى عنه وجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة ، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا . فكان في أيّام حياته مَستوراً متألِّهاً جميلَ الأمر ، فلمّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عليه ، وأخبارُهما تُذكَر في مواضعها .

[ناسك يتهتّك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفَش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النَّحويُّ ، قال : كان ابنُ مناذر مولْى صُبَيْر بنِ يَربوع ، وكان إماماً في علم اللُّغة وكلام العرب ، وكان في أوّل أمره

---

1 ترجمة ابن مناذر في الشعر والشعراء : 747–749 ومعجم الأدباء (عباس) 2648–2651 وبغية الوعاة 1 : 249–250 والكامل للمبرد : 1426–1428 وطبقات ابن المعتزّ : 119–125 ولسان الميزان 5 : 390–393 وعصر المأمون 2 : 400 .

ناسكاً مُلازماً للمسجد ، كثير النَّوافل ، جميلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقفيّ ، فتهتّك بعد ستره ، وفتكَ بعد نُسْكِه ، ثم ترامى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البَذاء وقذف المُحْصَنات ، ووجبت عليه حُدودٌ ، فهرب إلى مكّة وبقي بها حتى مات .

[سفيان بن عيينة يسأله عن معاني الحديث]

وكان يُجالس سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ ، فيسأله سفيانُ عن معاني حديث النبيّ ﷺ فيُخبره بها ، ويقول له : كذا وكذا مأْخوذ من كذا ، فيقول سفيان : كلامُ العرب بَعضُه يأْخذ برِقاب بعض . قال : وأدرَك المهدِيَّ ومدَحه ، ومات في أيّام المأْمون .

أخبرني عليُّ بن سُلَيمان ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد وغيره : أنَّ محمد بن مُناذِر كان إذا قيل له : ابن مَناذر ، بفتح الميم ، يغضب ، ثم يقول : أَمَناذر الصُّغرى أم مَناذِر الكبرى ؟ وهما كورتان من كُوَر الأهواز ، إنّما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر ، مثل ضارب فهو مُضارِب ، وقاتل فهو مُقاتِل .

[بينه وبين المعتزلة]

قال محمد بن يزيد : ولمّا عدل محمد بن مناذر عمّا كان عليه من النُّسْك والتألّه وعظتْه المعتزلة فلم يَتَّعِظ ، وأوعدَته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخولَ المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحه في مَطاهِرهم ، فإذا توضَّؤوا به سوّد وجوهَهم وثيابَهم ، وقال في توَعُّد المعتزلة إيّاه[1] : [من الكامل]

أَبلِغْ لديك بنـــي تَميمٍ مأْلُكاً ... عَنّي وعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ[2]
أنّي أَخٌ لكُمُ بِـــدارِ مَضِيعَةٍ ... بُـــومٌ وغِربـــانٌ عليـــه وُقوعُ[3]
يا لَلْقبائل مـــن تَميمٍ ما لكُم ... رَوْبى ولَحْمَ أُخِيكم بِمَضِيعِ[4]
هُبُّوا لـــه فلقد أُراه بنَصْرِكُم ... يـــأْوي إلى جَبَـــلٍ أَشَمَّ مَنِيعِ
وإذا تحزَّبَـــت القَبائـــلُ كُنْتُمُ ... ثِقَتِـــي لِكُـــلِّ مُلِمَّـــةٍ وفظِيعِ
إن أنتـــمُ لم تَثْأَرُوا لأَخيكمُ ... حتـــى يُباءَ بوِتْـــرِهِ المَتْبُوعِ

1 الأبيات في معجم الأدباء 2450 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

2 مألكاً ومألكة : رسالة .

3 في البيت إقواء .

4 روبى : خاثرو النفس .

فخُذوا المَغازِلَ بالأَكُفِّ وأيقِنوا ... ما عِشْتُمُ بمَذَلَّةٍ وخضوعِ
إن كنتمُ حُذُباً على أحسابكم ... سُمُعاً فقد أسمعتُ كُلَّ سَمِيعِ
أينَ الصُّبَيْرِيُّـــونَ لم أَرَ مِثْلَهم ... في النائباتِ وأين رَهْط وَكِيعِ

قال : ثم استَحْيا من قولِه : أينَ الصُّبَيْرِيُّونَ ؟ لِقِلَّة عَدَدهم فقال : أين الرِّياحيُّون ؟ .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني الحَسن بن عليّ ، قال : حدَّثني مسعود بن بِشْر ، قال : قال لي ابنُ مُناذر : ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم ، قال : وكان مَوْلى صُبَيْر بن يَرْبوع ، فقلت : بنو صُبَير نَفْسان ونصف ، فمَن أدْعو منهم ؟ فقلت : ليس إلاّ إخوتهم بنو رياح ، فقلت أبياتاً حَرَّضْتُهم فيها ، وحضَضْتُ بنو رياح ، فقلت : [من الكامل]

أين الرِّياحِيُّون لم أَرَ مِثلَهــم ... في النَّائباتِ وأينَ رَهْط وكيع !

قال : فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطرَدُوهم عنّي .

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدّثني محمد بن يزيد ، قال : حدّثني الجاحِظ ، عن مسعود بن بِشر ، عن أبي عُبيدة ، قال : ما زادت بنو صُبَيْر بنِ يَرْبو ع قط على سَبْعة نَفَر ، كُلَّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميِّت .

[عدني الأصل]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم ، قال :حدَّثني إسحاقُ بن محمد النَّخعيّ ، قال : حدَّثني أبو عثمان المازنيّ ، قال : كان ابن مناذر من أهل عدن ، وإنَّما صار إلى البصرة في طَلَب الأدب لتَوافُر العلماء فيها ، فأقام فيها مدَّة ، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ ، فتَطاول أمرُه إلى أن خرَج عنها ، وكان مُقِيماً بمكّة ، فلمّا مات عبد المجيد نَسَك ، وقوم يقولون : إنّه كان دهريّاً .

[يهجو الذين كرهوا إمامته في الصلاة في المسجد بعد تهتّكه فهجوه وردّ عليهم]

وذكر أبو دعامة ، عن عطاء الملط قال : كان ابن مناذر يؤُمُّ النَّاسَ في المسجد الذي في قبيلَته ، فلمّا أظهَر ما أظهره من الخَلاعة والمُجُون كرِهوا أن يُصلّي بهم وأن يأْتمُّوا بـه ، فقالـوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه ، وألقوا الرقعة في المِحرابِ ؛ فلمّا قضى صَلاتَه قرأها ، ثم قلبَها وكَتَب فيها يقول : [من البسيط]

نُبِّئْــتُ قافيــةً قِيلت تَناشَدَها ... قومٌ سأترك في أعراضهم نَدَبا
ناكَ الذيـن رَوَوْهــا أُمَّ قائِلها ... ونــاك قائلُهــا أُمَّ الذي كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم .

[صلته بأبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفّار ، قال : حدَّثني الفضل بنُ موسى مولى بني هاشم ، قال : دخَل ابنُ مُناذِر المسجدَ الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غُلام مُسْتَنِدٍ إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقْعةً ودَواةً ، فكتب أبياتاً مدَحه بها ، وسأل الغُلامَ الذي التمسه أن يُوصِّل الرُّقْعة إلى الفَتى المُستنِد إلى السارية . فذهب بها إلى الغلام ، فلمّا قرأها قلبَها وكتب على ظهْرها يقول[1] : [من الكامل]

مِثلُ امْتِداحِك لي بـلا وَرِقٍ ... مثلُ الجِدارِ بُني عـلى خُصٍّ[2]
وألذُّ عِنْدي مـن مديحك لي ... سُودُ النِّعـالِ ولَيِّن القُمْصِ
فإذا عَزَمْـتَ فَهـيٌ لي وَرِقاً ... فإذا فعلتَ فلستُ أَستَعْصي

فلمّا قرأها ابن مُناذر قام إليه فقال له : ويْلك ، أأنتَ أبو نُواس ؟ قال : نعم ، فسلَّم عليه وتعانَقا ، وكان ذلك أوَّل المودَّة بينهما .

[بينه وبين أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مُناذِر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنتَ في الشِّعرِ ؟ قال : أقول في الليلة إذا سَنَح القولُ لي ، واتَّسعَت القوافي عشرةَ أبياتٍ إلى خمسة عشر . فقال له أبو العتاهية : لكنِّي لو شِئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيت لقُلْت ، فقال ابن مُناذِر : أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك[3] : [من الهزج]

أَلا يـا عُتبـةَ السَّاعَهْ ... أَموتُ السَّاعَـةَ السَّاعَهْ

قلت ؛ ولكنِّي لا أعوِّد نفْسي مثل هذا الكلام السَّاقِط ، ولا أسمَح لها به ، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَه .

أخبرني به الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني سَهْل بن محمد أبو حاتم ، وأحمد بنُ يعقوب بن المُنير ابن أخت أبي بَكر الأصمّ . قال ابن مَهْرُوَيْه : وحدَّثني به يحيى بنُ الحسن الرّبيعيّ ، عن غسَّان بن المُفَضَّل ، قال : اجتمع أبو العتاهية ، وابنُ مُناذر ، فاجتمع الناس إليهما ، وقالوا : هذان شَيْخا الشُّعراء . فقال أبو العتاهية لابن مُناذِر : يا أبا

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (الغزالي) .

2 الورِق : الدراهم المضروبة .

3 ديوان أبي العتاهية : 577 ومعجم الأدباء : 2649 .

عبد الله ، كم تقولُ في اليوم من الشّعْر ؟ وذكر باقي الخبر مثل المتقدّم سواء .

[إعجابه بشعره]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع ، قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرز خلفٌ الأحمر ، وحضرها ابن مُناذر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا مُحْرِز ، إن يكن النّابغة ، وامرؤ القَيْس ، وزُهير ، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخلّدة فقِسْ شعْري إلى شِعْرِهم ، واحكُم فيها بالحقّ . فغضِب خلَفٌ ، ثم أخذ صحفة مملوءة مَرقاً فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مُناذر مُغْضَباً ، وأظنّه هَجاه بعد ذلك .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خَلَّاد[1] الأرقط ، قال : لَقِيَني ابن مُناذِر بمكّة ، فأنشدني قصيدته :

كُلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فمُودِي

ثم قال لي : أقرىء أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابنُ مناذر ، اتّقِ الله واحكُم بين شِعْري وشِعْر عَديّ بن زَيد ، ولا تقُلْ ذلك جاهليٌّ ، وهذا إسلامي ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين ، ولكن احكُم بين الشعريْن ودع العَصبيَّة . قال : وكان ابنُ مناذِر ينْحُو نحو عديّ بن زيد في شِعره ، ويميل إليه ويقدِّمه .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عثمان الكزبريّ ، قال : أخبرني محمد بن الحجّاج الجراداني ، قال : قلتُ لابن مُناذر : مَنْ أشْعَر الناس ؟ قال : مَنْ كُنتُ في شِعْره ، فقلت له : ومَنْ ذاك ؟ فقال : عَدِيُّ بن زيد ، وكان ينْحُو نحوه في شِعْرِه ويقدِّمه ويتّخذه إماماً .

[محبّته لعبد المجيد الثقفيّ]

والأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رَثى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ ، وكان يَهواه . وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملِهم في كلّ حال ، وكان على غاية المحبَّة لابن مُناذر والمُساعدة له والشَّغَف به . وكان يبلغُ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم ، فلا يُنْكِر ذلك ، لأنَّه لم تكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابن مُناذر حينئذٍ حَميدَ الأمر حسنَ المروءة عفيفاً . فحدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بنُ محمد حُدَّان ، قال : حدَّثني قُدامة بنِ نوح ، قال : قيل لعبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ : إنّ ابن مُناذر قد أفسد ابنَك ، وذكره في شِعره وشبَّب به ، فقال عبد الوهّاب : أولا يَرْضى أبْني أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره في شِعره !

1 ل : حماد .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ ، قال : أُمُّ عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثّقفيّ الذي كان يشبِّب به ابن مُناذر بانَةُ بنْت أبي العاصي ، وهي موْلاة جِنان التي يشَبِّب بها أبو نُواس ، قال : فحدَّثني مَنْ رأى محمد بنَ مُناذر يومَ ثالثِ بانةَ هذه ، وقد خرَج جواريها إلى قبرها ، فخرج معهنَّ نحو الجبَّانة بالبصرة ، قال : فقلتُ له : يا أبا عبد الله ، أين تريد ؟ فقال : [من المجتث]

اليومُ يـومُ الثّلاثا وَيـومُ ثالثِ بانَـهْ

اليوم تَكثُر فيـه الظّبا ءُ في الجَبَّانَـهْ

قال أبو الحسن : ولَدت بانَةُ من عبدِ الوهَّاب بن عبد المجيد أولادَه : عبدَ المجيد ، وأبا العاصي ، وزياداً . وزيادٌ الذي عناه أبو نواس في قوله يُشَبِّب بجِنان[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفْنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقط من طول ما اختلَجْ

وفُؤادِي مِـنْ حَرّ حُبِّـ ـكِ قـد كاد أو نَضَجْ

خبِّريني فَدَتْـكِ نَفْسـ ـي وأَهْلي مَتى الفَرَجْ !

كان ميعادُنـا خُـرو جَ زيـادٍ فقـد خَرَجْ

قال ابن عمّار : قال لي النَّوفَليّ : في هذه الأبيات غناء حُلْو مليح ، لو سَمِعْته لشربتَ عليه أربعة أرطال .

قال النوفليُّ : وكان لعبد الوهّاب ابنٌ يقال له : محمد ، كان أسنَّ ولَدِه ، ويقال : إنّه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبي العاصي هذه امرأةَ أبيه ، وإنّ زِيادَ بن عبد الوهّاب منه ، وكان أشْبَه الناس به .

حدَّثني ابن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أبي ، قال : خرج ابن مناذر يوماً من صلاة التّراويح وهو في المَسْجد بالبصرة ، وخرج عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب خلفَه ، فلم يَزَل يُحدِّثه إلى الصُّبْح ، وهما قائِمان ، إذا انْصَرَف عبدُ المجيد شيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله ، فإذا بَلغَه وانصرفَ ابنُ مُناذر شيَّعه عبدُ المجيد ، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بفراقِ صاحِبِه حتى أصبحا . فقيلَ لعبد الوهّاب بن عبد المجيد : ابنُ مناذر قد أفْسد ابنَك ، فقال : أَوما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر .

وفي عبدِ المَجِيد يقول ابن مُناذر يمدحُه ، وهو من مختار ما قاله فيه ، أنشدنيها عليُّ بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن زيد من قصيدةٍ أوّلها : [من مخلع البسيط]

---

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

شَيَّب رَيــبُ الزَّمــانِ رأسي ... لَهْفــي على ريــبِ ذا الزَّمانِ
يَقدَحُ في الصُّمِّ من شَرَوْرى ... ويَحْـدُر الصُّمَّ مــن أبــانِ[1]

يقول فيها يمدح عبد المجيد : [من مخلّع البسيط]

مِنِّــي إلى الماجِـدِ المُرجَّــى ... عبـدِ المَجيـد الفتــى الهِجانِ
خيــرِ ثَقيــفٍ أبًا ونَفْساً ... إذا التَقَــت حَلْقَتــا البِطانِ
نفسي فِـداءٌ لــه وأهْــلي ... وكُلُّ مــا تَمْلِــكُ اليَدانِ
كأنَّ شمسَ الضُّحى وبدر الدُّجـ ... ــى عليــه مُعلَّقــانِ
نِيطــا معــاً فــوق حاجِبَيْهِ ... والبــدرُ والشَّمسُ يَضْحَكانِ
مُشمِّــرٌ ، هَمُّــه المَعالي ... ليس بِــرَثٌ ولا بِــواني
بَنــى لــه عِــزَّةً ومَجْداً ... في أوَّلِ الدَّهْــرِ بانيــانِ
بــانٍ تَلقَّــاه مــن ثَقِيفٍ ... ومــن ذُرا الأزدِ خَيرُ باني
فاسأَلْــه مِمَّــا حَوَت يَــداه ... يَهْتَــزُّ كالصَّــارِمِ اليَماني

[تمريضه عبد المجيد]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد قال : مرض عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب الثّقفيّ مرضاً شديداً بالبصرة ، وكان ابن مناذر ملازماً له يُمرِّضه ويخدمه ، ويتولّى أمره بنفسه ، لا يَكِله إلى أحد . فحدَّثني بعضُ أهلهم قال : حضرتُ يوماً عنده ، وقد أسْخِن له ماءٌ حارٌّ لِيَشْرَبه ، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول : آهِ ! بصوتٍ ضَعِيف ، فغَمَس ابن مُناذر يدَه في الماء الحارّ وجعل يتأوَّه مع عبد المجيد ويدُه تحترق حتى كادت يدُه تسقُط ، فجذبْناها وأخرجْناها من الماء ، وقلنا له : أمجْنُونٌ أنتَ ! أيُّ شيء هذا ! أينتفع به ذاك ! فقال : أساعده ، وهذا جَهْدٌ من مقِلٍّ . ثم استقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفِي مدّة طويلة ، ثم تَردَّى من سَطح فمات ، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يَفضُل أهلَه وإخوتَه في البكاء والعَويل ، وظهَر منه من الجزع ما عجب الناس له ، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة ، فرواها أهلُ البصرة ، ونيح بها على عبد المجيد ، وكان الناس يُعجَبون بها ويَسْتَحْسِنُونها .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم النُّوشجاني ، قال : سمعت أبي يقول : حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذِر : أنشِدني ما قلت في عبد المجيد ، فأنشده قصيدته

1 شرورى وأبان : جبلان .

الطويلة الدّالية . قال سفيان : بارَكَ الله فيك ، فلقد تفرَّدت بمراثي أهلِ العراق .

[وفاة عبد المجيد]

فأخبرني عمّي : قال : حدَّثني أبو هِفّان ، قال : قال الجَمّاز : تزوَّج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كلّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها . فصعد ذاتَ يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب السِّتارة قد انحلَّ ، فأكبَّ عليه ليشدَّه ، فتردَّى على رأسِه ومات من سَقْطتِه ، فما رأيتُ مُصيبَةً قطّ كان أعظم منها ولا أنكأ للقلوب .

[رثاء عبد المجيد]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الخرّاز ، قال : قال لي ابن مُناذِر : ويحك ! لستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نياحةً على استواء ، قلت : فما تُحِبّ ؟ قال : تخرجُ معي حتى أُطارحك ، فطارحني القصيدة التي يقول فيها[1] : [من الخفيف]

إنَّ عبدَ المجيد يوم تولَّى ... هَدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدُودِ

هَدَّ عبدُ المجيدِ رُكْني وقد كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أَبُوءُ منه شَدِيدِ

قال : فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعَيْتُها ، ووضعنا فيها لحناً ؛ فلمّا كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها ، صلّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارِهم ، وقد صعد النساء على السَّطح يَنُحن عليه ، فسكَتن سكتةً لهنّ ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه . فلمّا سمِعْننا أقبلن يَلْطُمنَ ويصِحْن حتى كِدْنَ يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدّة تَشرُّفِهنَّ علينا وإعجابهنَّ بما سمعنه منّا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدَّث به النّاسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال لي : حدَّثني موسى بن حمّاد بن عبد الله القُرشيّ ، قال : حدَّثني محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذر : [من الخفيف]

لأُقِيمَنَّ مأتماً كَنُجوم اللَّيْل ... زُهْراً يَلْطُمْن حُرَّ الخُدُودِ

مُوجَعاتٍ يَبْكِين للكَبِدِ ... الحَرَّى عليه وللفُؤادِ العَمِيدِ

قالت أُمّ عبد المجيد : والله لأُبِرَّنَّ قسمَه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : واي ، وَيْه ، واي ، وَيْه ، فيقال : إنّها أوّل مَن فعل ذلك وقاله في الإسلام .

---

1 انظر القصيدة في طبقات ابن المعتز : 122–124 وكامل المبرد : 1436 وما بعدها .

وأخبرني بهذا الخبر ابن عمّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمّه : أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفشُ ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعيّ ، قال : أنشدني محمد بن مُناذِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهّاب يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

يـا عَينُ حَقٌّ لكِ البُكا ءُ لحـادِثِ الرُّزءِ الجَليلِ
فابْكي على عبـدِ المجيـ ـدِ وأعوِلـي كلَّ العَويلِ
لا يُبْعِـدُ اللهُ الفتى الـ ـفَيَّاضَ ذا الباعِ الطَّويلِ[2]
عَجِـلَ الحِمامُ بـه فودَّ عَنـا وآذنَ بـالرَّحِيلِ
لَهَفـي عـلى الشَّعَرِ المُعَـ ـفَّرِ منكَ والخَدِّ الأَسيلِ[3]
كَسَفتْ لِفقْـدِكَ شمْسُنا والبـدْرُ آذن بـالأُفولِ[4]

[لم تعجب داليته أبا عبيدة]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني النَّضرُ بن عمرو عن المازنيّ ، قال : حدَّثنا حيّان : أنّ ابن مُناذر دفع قصيدته الدَّالية إليه ، وقال : اعرِضها على أبي عُبَيْدة ، فأتيْتُه وهو على باب أبي عَمْرو بن العلاء ، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعْجِبه ، وقال : دعني من هذا ، فإنِّي قد تشاغلْتُ بحِفْظِ القرآنِ عنه وعن مِثْله ، قال : وكان أبو عبيدة يُبغِضُه ويُعادِيه لأنّه هجاه .

[هبّود أمّ عبود]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : قال ابن مناذِر : قلت : [من الخفيف]

يَقـدَحُ الدّهـرُ في شماريخ رَضْوى

ثم مكثتُ حولاً لا أدري بِمَ أُتمِّمُه ، فسمعت قائلاً يقول : هبُّود ، قلت : وما هبُّود ؟ فقال لي : جُبَيْل في بلادنا ، فقلت : [من الخفيف]

ويحُـطُّ الصُّخورَ مـن هَبُّودِ

قال إسحاق : وسمِع أعرابيٌّ هذا البيت ، فقال : ما أجهل قائله بهبُّود ! والله إنّها

1 الأبيات في طبقات ابن المعتز : 124-125 .
2 الطبقات : لا يبعدن ذاك الفتى . . .
3 الطبقات : لهفي على الثغر . . .
4 عجز البيت في الطبقات : جزعاً وهمّت بالأفول .

لأُكَيمة ما تُواري الخارِىء ، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور !

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : سمِعْتُ أبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول : أنشدني ابنُ مُناذر قصيدتَه الدَّالية التي رثى فيها عبد المجيد ، فلمّا بَلغ إلى قوله : [من الخفيف]

يَقدح الدَّهرُ في شماريخ رَضْوى ويحُـطّ الصُّخورَ مِـنْ هَبُّودِ

قلت له : هبُّود ، أيّ شيء هو ؟ فقال : جبل ، فقلت : سَخِنت عينُك ، هبُّود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شيء خلَقه الله ، وقد والله خَرِيتُ فيها مرّات . فلمّا كان بعد مدّة وقَفتُ عليه في مَسجد البصرة وهو ينشدها ، فلمّا بَلغَ هذا البيتَ أنشدَها :

ويحُطّ الصُّخورَ مـن عَبُّـودِ

فقلت له : عبُّود ، أيُّ شيء هوذا ؟ فقال : جبل بالشّام ، فلعلَّك يا ابن الزَّانية خَرِيت عليه أيضاً ؛ فضحِكتُ ثم قُلت : لا ما خرِيتُ عليه ولا رأيته ، وانصرفتُ عنه وأنا أضحَك .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيُّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال كان يحيى بنُ زياد يُرمى بالزّندقة ، وكان من أظرف النّاس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزِّنديق .

[محمد بن زياد مزندق الظاهر]

وكان الحاركيّ واسمه محمد بن زياد يُظهر الزّندقة تظارفاً ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

يا ابنَ زيادٍ يـا أبا جَعفرٍ أظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفي
مُزَنْدَق الظاهِر باللفظِ في باطِنِ إسلامِ فَتًـى عَفِّ
لسْتَ بزِنْديــقٍ ولكنّمـا أرَدْتَ أن تُوسَم بالظَّرْفِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

يـا أبـا جعفرٍ كأنّك قد صِرْ تَ على أجْرَدٍ طَويلِ الجِرانِ[1]
من مَطايا ضَوامرٍ ليس يَصْهَلْ ـنَ إذا مـا رُكِبْنَ يوم رِهانِ
لم يُذَلّلْـنَ بالسُّرُوجِ ولا أقْـ ـرَح أشداقَهنَّ جـذبُ العِنانِ
قائماتٍ مُسوَّماتٍ لدى الجِسْـ ـرِ لأمثالِكـم مـن الفِتْيانِ

[تركه الناس لحضور حلقة عتبة النحويّ]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قـال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينة ، عن ابن عائشة ،

1 الجران : باطن عنق البعير وغيره .

قال : كان عُتبة النحويّ من أصحاب سيبويه ، وكان صاحب نحوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسِّره على مذاهب أصحابه ، وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه . فجلس عُتْبة قريباً من حَلْقته ، فتقوّض الناسُ إليه ، وتركوا ابن مُناذر ، فلمّا كان في يوم الجمعة الأُخرى قام ابن مناذر من حَلْقته ، فوقف على عُتْبة ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الرجز]

قُوموا بنا جميعاً لِحَلْقَةِ العَذارِي
تَجمعن للشقاء إلى عُتْبةِ الخَسارِ
مالي وما لِعُتْبَة إذ يبْتغي ضِراري

قال : فقام عتبة إليه فناشده ألاّ يَزيد ، ومنعَ مَنْ كان يجلِس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته ، وجَلس هو بعيداً من ابنِ مُناذِر بعد ذلك .

[يهجو جاره ابن عمير]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة ، قال : كان لابن مُناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير من المعتزلة ، فكانَ يَسعى بابن مناذر إليهم ، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به ، فقال يَهجوه : [من السريع]

بَنو عُمَيْر مَجدُهم دارُهمْ وكُلّ قَوْم فلَهُم مَجْدُ
كأنّهم فَقْعٌ بِدَوِّيَّةٍ ليس لهم قَبْلٌ ولا بَعْدُ[1]
بَثَّ عُمَيْرٌ لؤمَه فيهمُ فكُلُّهم من لُؤْمِهِ جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن النَّوفلي بمِثْله ، وزاد فيه . وعبد الله بن عُمَير ، أبو هؤلاء الذين هجاهم ، أخو عبدِ الله بن عامِر لأُمِّه ، أمُّهما دجاجةُ بنت إسماعيل بن الصَّلت السَّلمي .

[حاضر الجواب]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا الخليل بن أسد ، قال : كان ابن مُناذِر مِن أحْضَر الناسِ جواباً ، قال له رجل : ما شأنك ؟ قال : عِظَم في أنْفي .

قال : وسأله رجُلٌ يوماً : ما الجَرْباء ؟ فأومأ بِيدِه إلى الأرض ، قال : هذه ، يَهْزأ به ، وإنّما الجَرْباء السماء .

[خبره مع الخليل بن أحمد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ ، قال :

---

1 فقع بدوية : يقال : فقع بقرقر (أو بقرقرة) مثل يضرب للذليل .

حدَّثني جعفرُ بن محمد عن دماذ قال : دار بين الخليل بنِ أحمد وبين ابن مُناذِر كلام ، فقال له الخليل : إنّما أنتم معشرَ الشُّعراء تَبَعٌ لي ، وأنا سُكّان السفينة ، إن قرَّظْتُكم ورضيتُ قولَكم نَفَقْتُم وإلاّ كسَدْتم . فقال ابن مُناذر : واللهِ لأقولَنّ في الخليفة قصيدةً أمتَدِحهُ بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك ، فقال في الرشيد قصيدتَه التي أوَّلُها[1] : [من المنسرح]

ما هَيَّجَ الشوق من مُطَوَّقَةٍ ... أوفَتْ على بانةٍ تُغَنِّينا

يقول فيها :

ولو سألْنا بحُسْن وَجْهك يا ... هارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينا

قال : وأراد أن يَفِدَ بها إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البصرة حاجّاً ليأخُذَ على طريق النِّباج وكان الطريق قديماً ، فدخلها وعديلُه إبراهيم الحرَّانيّ . فتحمَّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحكَم الثَّقفيّ ، وأبي بَكر السُّلَميّ حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشدَه إيّاها ، لمّا بَلَغ آخِرَها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو : [من المنسرح]

قومي تَميمٌ عند السِّماكِ لهم ... مَجْدٌ وعِزٌّ فما يُنالونا

فلمّا أنشده هذا البيت تعصَّبَ عليه قَوْمٌ من الجلساء ، فقال له بعضهم : يا جاهلُ ، أتفخر في قصيدةٍ مدحتَ بها أمير المؤمنين . وقال آخر : هذه حَماقة بَصْريَّة ، فكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألفَ درهم .

[استحسن الرشيد بيتاً له فأجازه]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، قال : حدَّثني سهيل السّلميّ : أنَّ الرشيد استسقى في سنة قَحْط فسُقي الناس ، فسُرَّ بذلك ، وقال : لله دَرُّ ابن مُناذر حيث يقول : [من المنسرح]

ولو سألْنا بحُسْن وَجْهِك يا ... هارون صَوْبَ الغَمامِ أُسقِينا

وسأل عن خَبره فأُخبِر أنَّه بالحِجاز ، فبعث إليه بجائزة .

[هجاء بكر بن بكّار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ ، قال : حَدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا نصر بن عليّ الجَهْضَميّ ، قال : حدَّثني محمد بن عباد المهلبيّ ، قال : شهد بكر بن بكّار عند عُبيد الله بن الحسن بن الحُصَين بن الحُرّ العنبريّ بشهادة ، فتبسَّم ثم قال له : يا بكر ، ما لك ولابن مُناذر حيثُ يقول : [من السريع]

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذه القصيدة منها البيت الثاني هنا .

أعـــوذُ بـــالله مـــن النّـــار ومنك يـــا بَكْـــرَ بنَ بَكّارِ

فقال : أُصلحَ اللهُ القاضي ، ذاك رجل ماجنٌ خَليع لا يُبالي ما قال ، فقال له : صَدَقْتَ وزاد تبسُّمه ، وقَبِل شهادتَه ، وقام بكر وقد تَشوَّر[1] وخجِل . قال العنزيّ : فحدَّثني أبو غسّان دماذ قال : أنشدني ابن مُناذِر هذا الشِّعر الذي قاله في بكر بن بكّار وهو : [من السريع]

أَعـــوذُ بـــالله مـــن النّـــارِ ومنـــكَ يـــا بكـــرَ بنَ بَكّارِ
يـــا رَجُلاً ما كان فيما مَضى لآل حِمْـــــران بِـــــزَوّارِ
مـــا مَنزِلٌ أَحدثْتَـــه رابعـــاً مُعْتَزِلاً عـــن عَرْصَـــة الدّارِ
مـــا تَبْرحُ الدَّهرَ على سَوْأَةٍ تطـــرحُ حَبَّـــاً للخُشَنْشارِ
يا معشرَ الأَحداثِ يا وَيْحَكم تَعَـــوَّذُوا بالخالِـــقِ الباري
مِن حَرْبَةٍ نِيطَت على حَقْـوِهِ يَسْمى بهـــا كالبَطَلِ الشّاري
يـــوم تَمنّـــــى أنَّ في كَفِّـــه أَيْـــرَ أبـــي الخِضْرِ بـدِينارِ

قال ابن مَهْرُوَيْه في خبره : والخُشَنْشار هو معاوية الزِّيادي المُحدِّث ، ويكنى أبا الخضر ، وكان جميل الوجه .

وقال العنزيّ في حديثه : حدَّثني إسحاقُ بن عبد الله الحمرانيّ ، وقد سألتُه عن معنى هذا الشعر ، فقال : الخُشَنْشار : غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان في محلَّتنا ، وهذا لقبه ، وكان بكر بنُ بكّار يتعشَّقه ، فكان يجيء إلى أبي فيُذاكِره الحديث ويُجالسه وينظر إلى الخُشَنْشار .

قال العنزيّ : حدَّثني عمرُ بن شَبَّة ، قال : بلغني أنَّ عبيد الله بن الحسن لقي ابن مُناذِر فقال له : وَيحك ، ما أردتَ إلى بكر بن بكّار ففضَحْتَه ، وقلت فيه قولاً لعلَّك لم تتحقَّقه ؟ فبدأ ابن مناذر يحلِف له بيمين ما سَمِعْتُ قطّ أغلظ منها ، أنَّ الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كلُّ مَن يعرِف بَكْراً ويعرِف الخُشَنْشار ، ويُجمِع عليه ولا يخالفه فيه . فانصرف عبيد الله مغموماً بذلك قد بان فيه ، فلمّا بعُد عنّا ، قلتُ لابن مُناذِر : برىء اللهُ منك ، وَيْلك ما أَكْذَبك ! أَكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بن بكّار يقول فيه مِثل قولك حتى حلَفْت بهذه اليمين ؟ فقال : سَخِنت عَينُك ، فإذا كنتَ أعْمى القلب أيّ شيء أصنع ! أفتراني كنت أُكذِّب نَفسي عند القاضي ، إنّما موَّهتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ مَن يعرفُهما يقول مثل قولي ، وعنيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي : [من السريع]

---

1 تشور : بمعنى خجل .

أعوذُ باللهِ مِـن النَّارِ

أفتَعرِف أنتَ أحداً يعرفُهما أو يجهلهُما إلاّ يقول كما قلت : أعوذُ بالله من النار ، إنّما موَّهتُ على القاضي وأردتُ تحقيقَ قولي عنده .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وبكرُ بن بكَّار رجلٌ مُحدِّث ، قد روى عن ورْقاء ، عن ابن أبي نُجَيْح تفسير مُجاهِد ، وروى حديثاً صالحاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبي ، قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة ، قال : حدَّثنا بكر بنُ بكّار عن عبد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم» .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الأحوص بن الفَضْل البصريّ قال : حدَّثنا ابنُ معاوية الزِّياديّ ، وأبوه الخُشْنَشار الذي يقول فيه ابن مُناذِر :

تَطْـرح حـبّـاً للخُشْنَشار

قال : حدَّثني مَنْ لقي ابنَ مُناذِر بمكّة فقال : ألا تشتاق إلى البصرة ؟ فقال له : أخبرني عن شمس الوزّانين ، أعلى حالها ؟ قال : نعم ، قال : وَثِيق بنُ يوسفَ الثَّقفيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : فغسَّان بن الفَضْل الغلاّبيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : لا ، والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ من الثلاثة . قال : وشمس الوزّانين في طرف المِرْبد بحضرة مسجد الأنصار في موضع حيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمسُ تفارقه .

[هجاء أخي عبد المجيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان محمد بن عبدِ الوهاب الثَّقفيّ أخو عبد المجيد يُعادي محمد بن مُناذر بسبب ميْله إلى أخيه عبد المجيد ، وكان ابن مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه ، وكلٌّ واحدٌ منهما يطلُب لصاحبِه المكروه ويسعى عليه . فلَقِي محمد بن عبد الوهّاب ابن مُناذر في مسجد البصرة ، ومعه دفتر فيه كتاب العرُوض بدوائره ، ولم يكن محمد بن عبد الوهّاب يعرِف العَرُوض ، فجَعَل يلحَظ الكِتاب ويَقرؤه فلا يفهمُه ، وابنُ مُناذر مُتغافِلٌ عن فِعْلِه ، ثم قال له : ما في كتابِك هذا ؟ فخبّأه في كُمِّه وقال : وأيُّ شيء عليك ممّا فيه ؟ فتعَلّق به ولَبّبه ؛ فقال له ابن مُناذر : يا أبا الصَّلْت ، اللهَ اللهَ في دمي فطمِع فيه وصاحَ يا زِنْدِيق ، في كُمِّك الزَّنْدَقة . فاجتمع النّاسُ إليه ، فأخرج الدَّفتر من كُمِّه وأراهم إيّاه ، فعرفُوا براءَته ممّا قَذفه به ، ووثَبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفُّوا به ، وانصرَفَ بخِزْيٍ ، وقال ابن مُناذر يهجوه[1] : [من الهزج]

---

1 في طبقات ابن المعتز أربعة من هذه الأبيات : الأول والثاني وبيتان قبل الأخير .

إذا أنـــتَ تَعلَّقْـــتَ بحَبْـــلٍ مـــن أبي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْـــتَ بحَبْـــلٍ وا هِـــنِ القُـــوَّةِ مُنْبَتٌّ
إذا مـــا بَلـــغ المجـدَ ذَوُو الأحسابِ بـــالمَتِّ
تقاصَرْتَ عـــن المَجْـدِ بأمـــرٍ رائـبٍ شَخْتِ[1]
فـــلا تَسْمو إلى المَجْـدِ فمـــا أمـــرُك بالثَّبْتِ[2]
ولا فَرعُـــك في العِيدا نِ عُـــودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
ومـــا يُبقي لكم يـــا قوْ مُ مـــن أثْلَتِكم نَحْتي
فهـــا فاسْمَع قَرِيضاً من رقيـــقٍ حَسَنِ النَّعْـتِ
يقـــول الحـــقَّ إن قـــال ولا يرميـــك بـــالبَهْتِ
وفي نَعْـــتٍ لِوَجْعـــاء قـــد استَرْخَت من الفَتِّ
فعِنْدي لـــك يـــا مَأْبُو نُ مِثْـــلُ الفالجِ البُخْتِي[3]
عُتُـــلٌّ يُعمِـلُ الكُـــومَ مـــن السَّبْتِ إلى السَّبْتِ
لـــه فَيْشَلَـــةٌ إن أُدْ خِلَـتْ واسعةُ الخَرْتِ[4]
وإلاّ فاطْـــلِ وجعـــاءَ كَ بالخَضْخاضِ والزِّفْتِ[5]
ألَـــم يبلغْـــك تَسآلي لـــدى العَلاَّمَةِ المَرْتِ[6]
فقـــال الشيخُ سَرْجُويَـــهُ : داءُ المرءِ من تَحْتِ
فخُذْ مـــن وَرَقِ الدِّفْلى وخُـــذ مـــن وَرقِ القَتِّ
وخُذْ مـــن جَعْرِ كَيْسانٍ ومـــن أُظفـــارِ نِسَّخْتِ[7]
فغَرْغِـــرْه بـــه واسْعَطْ بِـــذا في دائِـــهِ أُفْتي

قال : ونسَّخْت : لقَب أبي عُبَيدة ، وهو اسمٌ من أسماء اليهود ؛ لقِّب به تعريضاً بأنَّ جدَّه

1 الرائب من الأمور : الذي فيه ريبة أو الفاتر . وشخت : دقيق ضامر .
2 في رواية : فما أصلك .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . والبخت : الإبل الخراسانية .
4 الخرت : الثقب .
5 الوجعاء : الدبر . والخضخاض : نفط أسود تدهن به الإبل الجربى .
6 المرت : من لا شعر في حاجبيه .
7 الجعر : ما يبس من العذرة .

كان يهوديّاً ، وكان أبو عُبيدة وسِخاً طويل الأظفار أبداً والشَّعَر ، وكان يَغضَب من هذا اللّقب .

فأخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذِر هذه الأبيات : [من الهزج]

إذا أنــــت تَعلَّقْــتَ بحَبْلٍ مــن أبي الصَّلْتِ
تَعلَّقْـــتَ بحبْــلٍ وا هــنِ القُــوَّةِ مُنْبَتِّ
وقال الشيخُ سَرْجُويـ ـهُ : داءُ المَرْءِ من تَحْتِ

فبلغ ذلك سَرْجُويه ، فجاء إلى محمد بن عبد الوهّاب ، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه ، فسلَّم عليه وكان أَعْجَمِيّاً لا يفصح ، ثم قال له : «بركست كمَن كفتم أن كسر مناذر كفت : داء المرء من تحت[1] ، فكاد القوم أن يَفتَضِحوا من الضَّحك ، وصاح به محمد : اعزُب قبَّحَك الله ! فظَنَّ أنّه لم يقبل عُذْرَه ، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك ، ومحمد يَصيح به : ويلك اعزبْ عنّي ، وهو في الموتِ منه ، وكلّما زادَه من الصّياح إليه زادَه في العُذْرِ واجتهَد في الأيمان ؛ وضحك الناس حتى غُلِبوا ، وقام محمد خَجِلاً فدخَل منزِلَه وتفرَّقوا .

قال أبو الحَسَن النّوفليّ : ثم مَضى لذلك زمانٌ ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله هَرِيسَة الكاتب فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ورَوى شَيْــخُ تَمِيــمٍ خالــــدٌ أنَّ هَرِيسَهْ
يُدْخِلُ الأَصلعَ ذا الخُرْ جَيْن في جَوْفِ الكَنِيسَهْ

فلَقِي خالدُ بنُ الصَّباح هذا هريسةَ ، وكان يُعاديه ، وأراد أن يُخجِله ، فحَلَف له مجتهداً أنّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نعامة ، فقال هريسَة : يا بارد ! لم تُرِد أن تَعْتَذِر ، إنّما أردتَ أن تَتشبَّه بابنِ مُناذِر ومحمد بن عبد الوهّاب ، وبأبي الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذّل ، ولست من هؤلاء في شيء .

[ضرير وأخرس]

قرأتُ في بعض الكُتُب عن ابن أَبي سَعْد ، قال : حدَّثني أَبو الخطَّاب الحسن بن محمد ، عن محمد بن إسحاق البَلْخيّ ، قال : دخلتُ على ابنِ مُناذِر يوماً وعنده رجلٌ ضريرٌ جالسٌ عن يمينه ، ورجل بَصيرٌ جالسٌ عن شماله ساكِتٌ لا يَنْطِق . قال : فقلت له : ما خبرك ؟ فقال : [من الخفيف]

1 يريد أن ما نسبه إليه ابن مناذر غير صحيح .

يين أَعْمى وأَخرَسٍ أَخرَسَ اللـ ـه لسانَ الأعمى وأَعْمى البَصيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

[مع سفيان بن عيينة]

ونسختُ من كِتاب ابن أَبي الدُّنيا : حدَّثَني أَبو محمد التَّميميّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله ، عن الحسن بن عليّ ، قال : كنَّا عند باب سُفيان بن عُيَيْنة وقد هرب منّا ، وعنده الحسن بن عليّ التَّخْتاخ[1] ، ورجلٌ من الحجَبة ، ورجل من أصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأْذَن لنا ؛ فجاء ابن مُناذِرٍ فقَرُب من الباب ، ثم رَفَع صوته فقال : [من الطويل]

بعَمْرٍو وبالزُّهْريّ والسَّلَفِ الأُولى بهم ثَبَتَتْ رِجْـلاك عند المَقاوِمِ

جعلتَ طَوالَ الدَّهْرِ يَوْماً لصالِحٍ ويوْمـاً لصبَّاحٍ ويومـاً لحاتِمِ

وللحسَنِ التَّخْتاخ يومـاً ودونهم خَصصتَ حُسَيْناً دُونَ أَهل المواسمِ

نظرتُ وطالَ الفِكْر فيك فلم أَجد رَحاك جَرَت إلاّ لأَخْذِ الدَّراهمِ

فخرج سُفيان وفي يدِه عَصاً وصاح : خُذُوا الفاسِق ، فهَرَب ابنُ مُناذر منه ، وأَذِنَ لنا فدَخلنا .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أَبو بكر المُؤدِّب ، قال : حدّثني محمد بن قُدامة ، قال : سمعتُ سُفيانَ بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذر : يا أَبا عبد الله ، ما بَقِيَ أَحدٌ أَخافُه غيرَك ، وكأنّي بك قد مِتُّ فرثَيْتَني ، فلمّا مات سُفيان بن عُيَيْنة ، قال ابن مُناذِر يَرْثيه : [من السريع]

راحـوا بسُفيانَ عـلى نَعْشِهِ والعِلْـمِ مَكسُوَّيْـن أَكْفانا

إنّ الـذي غُـودِرَ بالمُنْحَنى هَـدَّ مِـن الإسلامِ أَركانا

لا يُبعِدَنْـكَ اللهُ مِـن مَيِّتٍ وَرَّثَنـا عِلْمـاً وأَحـزانا

أَخبرني أَحمد بن عُبَيْد الله بن عمَّار ، قال : حدَّثني أَحمد بن سُلَيْمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثني شيخٌ من أَهل الكوفة يقال له عوّام ، قال : سمِعتُ سُفيانَ بن عُيينة وقد تكلّم بكلام استُحسِن ، فسأَله محمد بن مُناذر أَن يمليَه عليه ، فتبَسَّم سُفيانُ وقال له : هذا كلام سَمِعتُك تتكلَّم به فاستحْسَنْتُه فكتَبْتُه عنك ، قال : وعلى ذلك أُحِبّ أَن تُمليه عليّ ، فإنّي إذا رَوَيْتُه عنك كان أَنفقَ له من أَن أَنسبه إلى نفسي .

---

1 التختاخ : الألكن .

قال عوّام : وأنشدني ابنُ عائشة لابن مُناذر يَرثي سفيان بن عُيَيْنة بقوله[1] : [من السريع]

يَجْنِـي مـن الحِكْمة نُوّارَها ... مـا تَشْتهـي الأنفُسُ ألـوانا
يـا واحـدَ الأُمَّة في عِلْمِـهِ ... لَقِيتَ مـن ذي العَرْشِ غُفرانا
راحـوا بسُفْيانَ على نَعْشِهِ ... والعلـمِ مَكْسُوَّيـن أكفانا[2]

[عودة إلى المجون بعد عبد المجيد الثقفيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر الحَنفيّ ، قال : لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهّاب ، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مكّة ، وترك النُّسْك وعاد للمُجونِ والخَلْع ، وقال في هذا المعنى شِعْراً كثيراً ، حتى كان إذا مَدَح أو فَخر ، لم يجعل افتِتاح شعره ومَباديه إلاّ المُجون ، وحتى قال في مَدحه للرَّشيد[3] : [من المنسرح]

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسن البـ ... ـصْريّ في العِشْقِ وابنِ سيرِينا ![4]
إنَّ سَفاهاً بـذي الجَلالَة والشَّيْـ ... ـبة ألاّ يـزالَ مَفْتونـا

وقال أيضاً في هذا المعنى[5] : [من الهزج]

ألا يـا قمـر المَسْجـ ... ـد هل عندَك تَنْوِيلُ !
شِفائـي منـك ، إن ... نَـوَّلْتَنـي ، شَمٌّ وتَقْبِيلُ
سَلا كُـلُّ فُـؤادٍ و ... فُـؤادي بـك مَشْغولُ
لقـد حُمِّلت مـن حُبِّـ ... ـك ما لا يَحمِلِ الفِيلُ

[بينه وبين يونس النحوي]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ ، قال : حدّثني التَّوّزيّ ، قال : قال ابنُ مناذر ليُونُس النحويّ يُعرّض به : أخبرني عن جُبّل أتنصَرِف أم لا ! وكان يونُس من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا ابن الزّانية . فانصرفَ ابنُ مُناذر : فأعَدَّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك ، وصار إليه وسأله ، هل تنصرف جُبّل ؟ وعَلِم يونُس ما أراد ، فقال له : الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس .

1 الأبيات، بهذا الترتيب في معجم الأدباء : 2651 .
2 على نعشه في معجم الأدباء : على عرشه .
3 البيتان في الشعر والشعراء : 747 وطبقات ابن المعتز : 121 .
4 الطبقات : هل عندكم . . . تروى أو ابن سيرينا .
5 الأبيات، في الشعر والشعراء : 748 وطبقات ابن المعتز : 121 .

[خبره مع حجّاج الصواف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثني إسحاق بن عَمْرو السَّعديّ ، قال : حدَّثني الحجّاج الصَّوّاف . وأخبرني الحسن بن عليّ أيضاً ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد ، قال : حدَّثني أُمَيَّة بن أبي مروان ، قال : حدَّثني حجّاج الصَّوّاف الأعور ، قال[1] : خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيراي في الطريق ابن مُناذِر ، وكان لي إلْفاً وخِدْناً وصدِيقاً . فدَخَلْتُ مكّة فسألتُ عنه ، فقالوا : لا يَبْرَح المسْجد ، فدخَلْت المسجد فالتَمسْتُه فوجدته بفِناء زَمْزَم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشُّعراء يَكتُبون عنه ؛ فسلَّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشَّوق إليَّ مثلُ ما عندي ، فرفَع رأسَه فردَّ السَّلام ردّاً ضعِيفاً ، ثم رجع إلى القوم يُحدِّثُهم ولم يَحْفَل بي . فقلتُ في نفسي : أتراه ذهبتْ عنه مَعْرِفتي ! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبد الوهّاب الثقفيّ من باب بني شَيْبة داخلاً المسْجد ، فرفع رأسه فنظر إليه ، ثم أقبل عليَّ فقال : أتعرِف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذي يقول فيه مَنْ قَطَعَ اللهُ لِسانه : [من الهزج]

إذا أنـــتَ تعلَّقْـتَ ... بِحَبْلٍ مِـن أبي الصَّلْتِ

تَعلَّقــتَ بحَبْـــلٍ وا ... هِــنِ القُـوَّةِ مُنْبَتِّ

قال : فتغافل عنّي ، وأقبل عليهم ساعة ، ثم أُقبل عليّ فقال : من أيِّ البِلادِ أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : وأين تنزل منها ؟ قلت : بحضرة بني عائش الصَّوّافين ، قال : أتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له : حجّاج الصَّوّاف ؟ قلت : نَعَم تركته يَنِيكُ أُمَّ ابنِ زانيةٍ يقال له : ابنُ مُناذِرٍ ، فضَحِكَ وقام إليَّ فعانَقني .

قال مؤلّف هذا الكِتاب : ولابن مُناذِر هجاءٌ في حجّاج الصَّوَّاف على سبيل العَبَث ، وهو قولُه : [من المنسرح]

إنَّ ادِّعـاءَ الحَجَّـاجِ في العَرَبِ ... عنْـدَ ثَقِيفٍ من أعْجَب العَجَبِ

وهـــو ابنُ زانٍ لألــف زانِيـةٍ ... وألـف عِلْــجٍ مُعَلْهَـجِ النَّسَبِ[2]

ولـــو دَعــاهُ داعٍ فقال له : ... يـا ألأم النَّاسِ كلِّهـم أجِبِ

إذاً لقالَ الحجَّـاج : لبَّيْك مِـنْ ... داعٍ دَعـاني بالحـقِّ لا الكَذِبِ

---

1 الخبر والشعر في طبقات ابن المعتز : 119 .

2 النسب في ل : الحسب . والمعلهج : الهجين .

رِلـو دَعـاه داعٍ فقــال لــه : مَنِ المُعَلَّى في اللؤمِ ؟ قـال : أبي
أبـــوه زانٍ والأُمُّ زانيــــةٌ بنتُ زُنـــاةٍ مَهْتُوكَةُ الحُجُبِ
تَقـول : عَجِّــلْ أدْخِلْ ، لِنائِكها اترُكْه في استي إن شئْتَ أو رَكَبِي
مَـنْ ناكَنِــي فيهما فأَوْسَعَني رَهْـــزاً دِراكاً أعطيتُــه سَلَبي
هَمُّ حِـرِي النَّيْكُ فابتَغوا لِحِري أَيْرَ حِمـارٍ أقضي بــه أَرَبي
أُحِـبُّ أيــرَ الحِمــار وا بِأبي فَيْشةُ أيْــرِ الحِمــار وابــأبي
إذا رأَتْـــه قالــت : فديتُك يـا قُــرَّة عَيْنِـــي ومُنْتَهــى طَلَبي
إذا سَمِعتُ النَّهِيقَ هــاج حِرِي شَوْقاً إليــه وهــاج لي طَرَبي
يأْخُــذُني في أسافلي وحِــرِي مِثلُ اضْطرام الحريـقِ في الحَطَبِ
شَكَــتْ إلى نِسْوة فقُلــن لهــا وهي تنادي بالوَيْـلِ والحَرَبِ :
كُفِّي قَليلاً ، قالت : وكَيْفَ وبِي في جَوفِ صَدْعي كَحِكَّة الجَرَبِ
أرى أُيورَ الرِّجـال مـن عَصَبٍ ليتَ أُيورَ الرِّجـال من خَشَبِ

[يهرب من البصرة لهجاء إسكاف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الرَّازيُّ أبو عبد الله ، قال : حدَّثني أبو بجير ، قال : كان ابن مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصرة ، فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له : أنا صديقُك فاتَّقِ الله وأَبْقِ على الصَّداقةِ وابن مناذر يُلِحُّ . فقال الإسكاف : فإنِّي أستعِينُ اللهَ عليكَ وأتعاطى الشعر ، فلمّا أصبحَ غدا عليه ابن مُناذِر كما كان يفعل ، فأخذ يَعْبَث به ويهجوه ، فقال الإسكاف : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَــلَّ عَديــدُه ورمــى القَضاء بــه فِراشَ مُناذِرِ
عبدَ الصُّبَيْرِيِّــين لم تَــكُ شاعِراً كيف ادَّعيتَ اليومَ نِسْبَة شاعِرِ !

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه ، وجعلوا يتناشَدُونَهما إذا رأَوْه ، فخرج من البصرة إلى مكّة وجاور بها ، فكان هذا سبب هربَه من البصرة .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، عن أبي حاتم ، قال : قال ابن مناذر : ما مرَّ بي شيء قطّ أشدَّ عليّ ممَّا مرَّ من قول أبي العَسْعاس فِيَّ : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَــلَّ عَديدُه ورَمى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ

انظُر بكَم صِنْفٍ قد هجاني في هذا البيت قبَّحه الله ، ثم مَنَعني من مكافأته أنّي لم أجِد له نَباهة فأغُضَّها ، ولا شرفاً فأَهدِمَه ، ولا قَدْراً فأُضَعَه .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني الكُرانيّ ، قال : حدَّثني بِشْر بن دِحْية الزِّياديّ أبو معاوية قال : سمعتُ ابن مُناذِر يقول : إنّ الشِّعرَ ليَسْهُل عَلَيَّ حتى لو شِئْتُ ألاّ أتكلّم إلاّ بشِعْرٍ لفَعلت .

[برد شعره]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، قال : رأيتُ ابنَ مناذر بمكّة وهو يتوكّأ على رجُل يمشي معه ويُنشد : [من مجزوء الوافر]

إذا ما كِدْتُ أشْكُوها ... إلى قَلْبي ، لها شَفَعا

ففرّق بيننا دَهْرٌ ... يُفرّق بين ما اجْتَمَعا

فقلت : إنَّ هذا لا يُشبِه شِعْرك ، فقال : إنّ شِعْري بَرَد بعدك .

[يذمّ امرأة محمد بن عبد الوهاب]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا أنَّ محمد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ تزوَّج امرأةً من ثقيف يقال لها عمّارة ، وكان ابنُ مُناذر يُعاديه ، فقال في ذلك : [من السريع]

لمّا رأيتُ القَصْفَ والشّارَهْ ... والبَزَّ قد ضاقَتْ به الحارَهْ

والآسَ والرّيحانَ يُرْمى بهِ ... من فَوق ذي الدّارَةِ والدّارَهْ

قُلتُ : لِمَنْ ذا ؟ قِيلَ : أعجوبةٌ ... مُحَمَّدٌ زُوِّج عَمّارَهْ

لا عَمَّر اللهُ بها رَبْعَه ... فإنّ عَمّارَةَ بَدْكارَهْ[1]

وَيْحَكِ فِرّي واعصِبي فاكِ لي ... فهذه أُختُكِ فَرّارَهْ

قال : فوالله ما لَبِثتُ عنده إلاّ مُدَيْدة حتى هربت ، وكانت لها أُختٌ قبلها متزوِّجة إلى بعض أهل البصرة ففركَتْه وهربت منه ، فكانوا يعجبون من موافقةِ فِعْلِها قول ابن مُناذِر .

[فشل مع خالد أبي أمية]

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثت أنّ أبا أُميّة واسمه خالد ، وهو الذي يقول فيه أبو نواس[2] : [من الخفيف]

---

1 بدكاره : بنت زنا بالفارسية .

2 لم نعثر عليهما في ديوانه (الغزالي) .

أيّها المُقْبِــلان من حَكَمان كيـف خلَّفتُما أبـا عُثْمانِ ؟
وأبــا أُمَيَّـــة المُهَــذَّب والما جِـد والمُرْتَجى لرَيْبِ الزَّمانِ

كان خطب امرأة من ثَقيف ، ثم من ولد عُثمان بن أبي العاصي ، فردَّ عنها ، وتصدَّى للقاضي أن يُضَمِّنَه مالاً من أموال اليتامى ، فلم يُجبه إلى ذلك ، ولم يَثِق به ، فقال فيه ابنُ مناذر : [من البسيط]

أبــا أُميَّــة لا تَغْضَبْ عليَّ فَمـا جَزاءُ مـا كان فيما بيننا الغَضَبُ
إن كانَ رَدَّك قَومٌ عـــن فَتاتِهِمُ ففي كَثير مــن الخُطّابِ قد رَغِبُوا
قالوا عَلَيْكَ دُيونٌ مـا تَقومُ بها في كلّ عام بها تُسْتَحْدَث الكُتُبُ
وقــد تَقَحَّم مــن خَمْسِينَ غايَتُها معْ أنّه ذو عيالٍ بَعْدَ مـا انْشَعبُوا
وفي التي فَعَل القاضي فلا تَجِدَنْ فلَيْس في تلك لي ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ
أردتَ أمْــوالَ أيتــام تُضَمِّنُها وما يُضَمَّن إلاّ مَنْ لـه نَشَبُ

[هجاء ابن دأب]

أخبَرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثني أحمدُ بن زهير ، قال : سمعت إبراهيم بن المُنذر الخزاميّ يقول : بلغَ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب قولٌ قبيحٌ ، قال : فدعاني ، وقال : اكتب : [من الوافر]

فمَن يَبْغِ الوَصاةَ فإنَّ عِنْدي وَصـاةً للكُهــولِ ولِلشَّبابِ
خُذُوا عَنْ مالِكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دابِ
تــرى الغاوِيــن يَتَّبِعون منها ملاهِــيَ من أحاديثٍ كِذابِ
إذا التُمِسَتْ مَنافِعُها اضمَحَلَّتْ كما يَرْفَضُّ رَقْـراقُ السَّحابِ

قال : فرُوِيَتْ ، وافتضَح بها ابنُ دأب . قال الحزاميّ : فلمّا قَدِمْت العراقَ وجدتُهم قد جعلوها : [من الوافر]

خُــذُوا عــن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن

[رثاء الرشيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا أبو حاتِم ، قال : كان الرَّشيد قد وصل ابن مُناذر مرَّاتٍ صِلاتٍ سنيَّةً ، فلمّا مات الرَّشيد رثاه ابنُ مُناذِر فقال : [من مجزوء الكامل]

مَــنْ كان يَبْكِي للعُلا مَلِكــاً وللهِمَمِ الشَّرِيفَهْ

فلْيَبْكِ هارونَ الخَلِيـ ـفَةَ للخَلِيفَة والخَليفَهْ

[هجاء صديقه من بني طليق]

أُخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثَنا أَحمدُ بن أَبي خَيْثَمة ، عن محمد بن سَلاَّم قال : كان محمد بن طَلَيق وسائر بني طليق أصدقاء لابنِ مُناذر ، فلمّا وَلِي المَهديُّ الخلافةَ اسْتَقْضى خالِدَ بنَ طَلَيق ، وعَزل عُبيد الله بنَ الحسن بن الحرّ ، فقال ابن مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه[1] : [من مجزوء الرمل]

أَصبح الحاكِمُ يا لَلنّـ ـاسِ من آلِ طَلِيقِ
جالِساً يَحْكُم في النّا سِ بحُكم الجاثَلِيقِ[2]
يدع القَصْدَ ويَهْوي في بُنَيّاتِ الطَّرِيقِ[3]
يا أَبا الهَيْثَمِ ما كنـ ـتَ لهذا بخَلِيقِ
لا ولا كنتَ لما حُمِّلـ ـتَ منه بمُطيقِ
حَبْلُه حَبْلُ غرورٍ عنده غيرُ وَثِيقِ

قال ابن سلاّم : فقلتُ لابن مُناذِر : ويْحك إذا بلغ إخوانَك وأصدقاءَك من آل طَليق أنَّكَ هجوْتَهُم ما يقولون لك ؟ وبأيِّ شيء تعتذِر إليهم ؟ فقال : لا يُصدِّقون إذا بلغهم أنّي هجوْتُهم بذلك ؛ لأنّهم يَثِقُون بي .

[عاده بنو مخزوم فمدحهم]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيْل ، عن مسعود بن بِشْر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُناذر ، قال : كنتُ بمكّة فاشتكيتُ ، فلم يَعُدْني من قريش إلاّ بنو مَخْزوم وحدهم ، فقلتُ أُمدَحُهم : [من المنسرح]

جاءَت قُرِيشٌ تَعودُني زُمَراً فقد وَعى أَجرَها لها الحَفَظَهْ
ولم تَعُدْني تَيْمٌ وإخوتُها وزارَني الغُرُّ من بني يَقَظَهْ
لن يَبْرحَ العِزُّ منهمُ أَبداً حتى تَزُولَ الجِبالُ من قُرَظَهْ[4]

---

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذا الشعر هي : الأول والثاني والرابع والخامس مع إضافة بيت ليس هنا : أي قاض أنت للنقض وتعطيل الحقوق

2 الشعر والشعراء والطبقات : ضحكة يحكم . . . . برأي الجاثليق . والجاثليق : رئيس الأساقفة .

3 بنيات الطريق : كناية عن الترهات .

4 قرظه : واد بين اليمن ونجد .

[ابن عائشة وداليته في عبد المجيد]

أخبرني الحسن ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعيّ ، قال : كنّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه : أنشدني مرثِيةَ ابنِ مُناذر في عبد المجيد فجَعَل يُنشِدُها فكُلَّما أتى على بيت استَحْسَنه ، حتى أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

لأقِيمَنَّ مأْتَماً كنُجُومِ اللَّيْلِ زُهْراً يَخْمِشْن حُرَّ الخُدودِ

فقال ابن عائشة : هذا كلام لَيِّن كأنّه من كلام المُخنَّثِين ، فلمّا أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

كُنتَ لِي عِصْمةً وكُنتَ سماءً بك تَحْيا أرضي ويَخْضرُّ عُودي

فقال : هذا بَيْتُها ، ثم أُنشد : [من الخفيف]

إنَّ عبدَ المَجيدِ يوم تَوَلَّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ

ما دَرى نَعشُه ولا حامِلُوه ما عَلى النَّعشِ من عَفافٍ وجُودِ

وَأَرانا كالزَّرعِ يَحصُدُنا الدَّهْـ ـرُ فمِن بَيْنِ قائمٍ وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة : أَجعله زرعاً يحصدنا الله ؟ فليس هذا من كلام المسلمين ، أَلا تَرى إلى قوله : إنَّه يقول : [من الخفيف]

يَحكُمُ اللهُ ما يشاءُ فَيُمْضي ليس حُكْمُ الإلهِ بالمَرْدودِ

[رثاء البرامكة وغضب الرشيد عليه]

أَخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن مُوسى ، ولم يتجاوزه بالإسناد .

ونَسخْتُ هذا الخبرَ من كتاب ابن أبي مَرْيم الحاسب : حدَّثني ابنُ القدّاح ، وعبدُ الله بن إبراهيم بن قُدامة الجُمَحِيّ ، قالا : حدَّثنا ابن مُناذِر ، قال : حجَّ الرَّشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة وحجَّ معه الفضل بن الرّبيع ، وكنتُ مُضيَّقاً مُملِقاً ؛ فهيَّأْتُ فيه قولاً أجدتُ تَنمِيقَه وتنوَّقتُ فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوِية وإذا هو يسأَل عنّي ويطلُبني . فبدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أميرَ المؤْمنين ، هذا شاعرُ البرامكة ومادحهم ؛ وقد كان البِشْر ظهر لي في وجهه لّما دخلتُ ، فتنكَّر وعبس في وجهي ، فقال الفَضْلُ : مُرْه يا أمير المؤمنين أن يُنْشِدك قوله فيهم :

أَتانا بَنُو الأَملاكِ من آلِ بَرْمك

فقال لي : أنشِد ، فأبيتُ ، فتوعَّدَني وأكرهَني ، فأنشدته[1] : [من الطويل]

أَتانـا بَنو الأَملاكِ مـن آلِ بَرْمَكٍ فيا طيبَ أَخبارٍ ويا حُسْن مَنْظَرِ
إذا ورَدوا بطحاء مكّـةَ أَشرقت بيَحْيى وبالفضلِ بن يحيى وجَعْفَرِ[2]
فتُظلِمُ بَغدادٌ ويَجْلُـو لنا الدُّجى بمكّـةَ مـا حجّوا ثلاثـةُ أَقْمُرِ[3]
فما صلَحت إلاّ لِجُـودٍ أكُفُّهم وأَرجلُهـم إلاّ لأَعـوادِ مِنْبَرِ[4]
إذا راضَ يحيى الأَمرَ ذَلَّتْ صِعابُه وحَسبُكَ مِـنْ راعٍ لـه ومُدَبِّرِ[5]
تَرى الناسَ إجلالاً لـه وكأنّهم غرانِيقُ ماءٍ تحت بـازٍ مُصَرْصِرِ[6]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءكَ يا أميرَ المؤمنين أيّامَ مدَحْتُهم ، وفي طاعتك لم يلْحقهم سُخطُك ولم تَحلُل بهم نِقْمتُك ، ولم أكُن في ذلك مبتدِعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظَرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلَّني فضلُهم ، وأغناني رِفدُهم فأثنيتُ بما أَوْلَوا ، فقال : يا غلام ، الطُمْ وجهَه ، فلُطِمْـتُ والله حتـى سَدِرتُ[7] وأُظلم ما كان بيني وبين أهـل المجلس . ثـم قـال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمَنَّك ولا تركـتُ أحـداً يعطيك شيئاً في هذا العام . فسُحِبت حتى أُخرِجت ، وانصرفتُ وأنا أسوأ الناسِ حـالاً في نفسي وحالي وما جرى عليَّ ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومئذٍ قُوتَ عِيالي لعيدهم ؛ فإذا بشابٌ قد وقف عليّ ، ثم قال : أعزِزْ عليّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودفع إليَّ صُرَّةً وقال : تَبلَّغْ بما في هذه ، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار ، قال الصوليُّ في خبره : فإذا هي ثلاثمائة دينار ، فقلت له : مَن أنتَ جعلني الله فداءك ! قال : أنا أخوك أبو نُواس ، فاستعِن بهـذه الدنانير واعذِرْني ، فقَبِلتُها ، وقلت : وصلَك اللهُ يا أخي وأحسنَ جزاءك .

[جعفر يكافئه على القراءة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسَن الرَّبيعيّ ،

---

1 في معجم الأدباء ثلاثة أبيات منها : 3 ، 2 ، 4 . وفي طبقات ابن المعتز أربعة أبيات : 1 ، 3 ، 4 ، 5 . وبعد الأول بيت آخر :

لهـم رحلة في كل عام إلى العدا وأخرى إلى البيت العتيق المستر

2 الطبقات : إذا نزلوا . . .
3 معجم الأدباء : ستظلم بغداد . . . ثلاثة أبحر .
4 الطبقات ومعجم الأدباء : فما خلقت . . . وفي الطبقات : أقدامهم بدل أرجلهم .
5 الطبقات : إذا رام . . . . وناهيك . . . .
6 الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي . ومصرصر : مصوت .
7 سدرت : تحيرت .

قال : حدَّثنا أَبو مُعاوية الغلابيّ ، قال : قال سُفْيان بن عُيَيْنة : كلَّمني ابنُ مُناذِر في أن أُكلِّم له جعفرَ بن يحيى ، فكلَّمتُه له ، وقد كان ابنُ مُناذِر ترك الشِّعر ، فقال : إن أحبّ أن يعود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً ، وإن أَحبَّ أن أُعطِيَه على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف ، فذكرتُ ذلك له ، فقال لي : خُذْ لي على القراءة ، فإنّي لا آخذ على الشِّعر وقد تركتُه .

أُخبرني عمّي عن الكُرانيّ ، عن الرِّياشيّ ، قال : قال العُتبيُّ : جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَن قائلُها ، فقال ابنُ مناذر : [من الرمل]

هَـذِه الدَّهماءُ تَجري فِيكمُ ... أُرْسِلَتْ عَمْـداً تَجُـرُّ الرَّسَنا

[ألفة الرشيد ويحيى]

قال الكُرَّانيّ : وحدَّثني الرِّياشيّ قال : سمعت خَلَف بن خليفة يقول : قال لي ابنُ مُناذِر : قال لي جعفرُ بن يحيى : قُلْ فيَّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الأُلفة بيننا فقلت : [من الكامل]

قد تُقطَع الرَّحِمُ القريبُ وتُكفَر النُّعمى ... ولا كَتَقـارُبِ القَلْبَـيْنِ

يُدْني الهَـوى هـذا ويُدْني ذا الهَوى ... فإذا هُمـا نَفْسٌ تُـرى نَفْسَيْنِ

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نَقْلاً ؛ فإن ابن عُيَيْنَة روى عن إبراهيم بن مَيْسرَة ، عن طاوس ، عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «إنّ الرّحم تُقْطَع ، وإنّ النّعم تكفَر ، ولن تُرى مثلَ تقاربِ القلوب» .

أُخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن مَيْمُون ، قـال : حدَّثنا سليمان الشّاذكونيّ قال : كنّا عند سُفْيان بن عُيَيْنة ، فحدَّث عن ابن أبي نُجيح ، عن مُجاهد ، في قوله عزّ وجلّ : ﴿قالوا سَلاماً﴾ [1] قالوا سَداداً ، قال : فقال ابن مُناذِر وهو إلى جَنْبي : التنزيلُ أَبينُ من التفسير .

[شعره وشعر أبي حيّة النميريّ]

أُخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن أَبي حاتم ، عن العُتْبيّ ، عن أَبي مَعْبد قال : مرَّ بنا أَبو حيَّة النُّميريّ ونحن عند ابن مُناذِر ، فقال لنا : عَلامَ اجتمعتم ؟ فقلنا : هذا شاعر المِصْر ، فقال له : أنشدني ، فأنشده ابنُ مُناذر ، فلمّا فرغ ، قال له أَبو حَيَّة : أَلم أَقل لك : أنشدني ؟ فقال له : أَنشدنا أنتَ يا أبا حَيَّة ، فأنشدهم قوله : [من الطويل]

أَلا حَـيٌّ من أَجْلِ الحَبيبِ المَغانِيا ... لَبِسْنَ البِـلى مِمّا لَبِسْنَ اللَّياليا

إذا مـا تَقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تَقاضاه شيء لا يَمـلُّ التَّقاضِيا

فلمّا فرغ ، قال له ابن مُناذِر : ما أُرى في شعرك شيئاً يُستَحْسن ، فقال له : ما في شِعْري

1 سورة الذاريات ، الآية : 25 . سورة هود ، الآية : 69 .

شيءٌ يُعاب إلاّ استماعك إيّاه ، فكادا أن يتواثبا ، ثم افترقا .

[هجاء قاضي البصرة وأميرها]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني الكُرّانيّ ، عن ابن عائشة قال : ولِيَ خالدُ بن طليق القضاء بالبصرة ، وعيسى بنُ سُليمان الإمارة بها ، فقال محمد بنُ مناذِر يهجوهما بقوله : [من السريع]

الحمـــدُ لله عـــلى مـــا أرى خالــدٌ القاضي وعيسى أميرْ
لكـــنّ عيسى نوكُـــه ساعـــة ونـــوكُ هـــذا مَنْجَنونٌ يَدُورْ[1]

[شيروَيه عبد إن غضبنا وإن رضينا]

وقال في شِيرَوَيْه الزِّيادِيّ ، وشيرَوَيْه لقب ، واسمه أحمد ، وسأله حاجةً ، فأبى أن يقضيَها إلاّ على أن يمدحَه : [من الخفيف]

يـــا سَمـــيَّ النَّبـــيِّ بالعَرَبِيَّهْ وسَمِـــيَّ اللّيُــوثِ بالفارِسِيَّهْ
إن غَضِبْنا فأَنْتَ عَبْدُ ثَقِيفٍ أو رَضِينـــا فأَنـــتَ عبـــدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرَوَيْه وجعل يَشتُمه ، وشاع الشِّعْرُ بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشيرَوَيْه : ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أخبرني الحسَنُ بنُ القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثنا ابنُ أَبي الدنيا قال : سمعتُ محمد بن قُدامة الجوهريّ يقول : سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لمحمد بن مُناذِر : كأَنَّك بي قد مِتُّ فرَثَيْتَني ، فلمّا مات ، قال ابنُ مُناذِر يرثيه[2] : [من السريع]

إنَّ الذي غُـــودِرَ بـــالْمُنْحَنى هَـــدَّ مـــن الإسلامِ أَرْكانا
راحـــوا بسُفيـــانَ على نَعْشِهِ والعِلـــمِ مَكسُوَّيْـــنِ أَكفانا
لا يُبعِدَنْـــك اللهُ من هالِـــكٍ وَرَّثتَنـــا عِلْمـــاً وأَحـــزانا

[ابن مُناذِر اللغويّ]

أَخبرنا عمِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاريّ ، قال : حدَّثنا سُفيان قال : سَمِعتُ أَعرابيّةً تقول : مَنْ يشتري منّي الحَزاة ؟ فقلت لها : وما الحَزاة ؟ قالت : تشترِيها النّساء للطَّشَّة والخافِية والإقلات . قال عبد الله بنُ مروان : فسأَلتُ ابنَ مُناذر عن تفسير ذلك ، فقال : الطَّشَّة : وجع يصيب الصِّبيان في

1 النوك : الحمق . والمنجنون : الدولاب .

2 تقدمت هذه الأبيات مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

رؤوسهم كالزُّكام . والخافِية : ما خَفِي من العِلَلِ المنسوبة إلى أذى الجنّ . والإقلاتُ : قِلّة الولد . وأنشدني ابن مُناذِر بعَقِب ذلك[1] : [من الوافر]

بُغـاثُ الطَّيْر أكثرُهــا فِراخاً وأُمُّ الصَّقْر مِقْــلاتٌ نَـزُورُ

أي قليلة الفِراخ .

أخبرني محمد بنُ الحسَن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثني أبو حاتِم ، قال : سمعتُ محمد بن مُناذِر يقول : العذراءُ : البتولُ ، والبتُورُ والبَتيلُ واحد ، وهي المنقَطِعة إلى ربِّها .

قال : وسأله ، يعني ابن مُناذر ، أبو هُرَيرة الصَّيْرفِيّ بحضْرتي فقال : كيف تَقول : أمّا لا أو إمّا لا ؟ فقال له مُستَهْزِئاً به : أمّا لا[2] ، ثم التفت إليَّ فقال أسمعتَ أعجبَ من هذه المسألة ؟

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني العبّاس بنُ الفضل الرَّبعيّ قـال : حدَّثنا التَّـوَّزيُّ قـال : سألتُ أبا عُبيدة عن اليوم الثاني من النّحْر : ما كانت العرب تُسَمِّيه ؟ قال : ليس عِندي من ذلك علم . فلقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فأخبرتُه بذلك ، فعَجب وقـال : أيسقُط هذا عن مِثْل أبي عُبَيْدة ! هي أربعة أيّام مُتواليات كلّها على الرّاء : أوّلُها يوم النَّحْـر ، والثّاني يوم القَرّ ، والثّالث يوم النَّفْر ، والرّابع يوم الصدر . فحدَّثتُه ، يعني أبا عُبَيدة ، فكتَبَه عن ابن مُناذر . وقد روى ابنُ مناذر الحديث المسند ، ونقَله عنه المُحدِّثون .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا الخَليل بن أسد ، عن محمد بن مسعدة الدّارع أبي الجَهْجاء ، قال : حدَّثني محمَّد بن مناذر الشّاعر ، قال : حدَّثني سُفيان الثّوري ، عن الأغرّ ، عن وَهْب بن مُنبِّه ، قال : كان يقال : الحياءُ من الإيمان ، والمِذى ، مكسور الميم مقصور ، من النِّفاق ؛ فقلت : إنّ الناسَ يقولون : المذاء ، فقال : هو كما أخبرتك ، فقلت له : وما المِذا ؟ قال : اللِّينُ في أمرِ النِّساء ، ومنه دِرْعٌ ماذيّ ، وعَسَلٌ ماذيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه . قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد ، قال : حدَّثني حامد بن يحيى البلخيّ ، قال : حدَّثني محمد بن مناذر الشاعر ، قال : حدَّثني يحيى بن عبد الله بن مُجالد ، عن الشَّعبيّ ، عن مَسروق ، عن عبد الله ، قال : لَمَّا نظرَ رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القَتْلى وهم مُصرَّعُون ، قال لأبي بكر : «لو أنَّ أبا طالب حَيٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل» ، يعني قولَ أبي طالب : [من الطويل]

كذبتُم وبَيْتِ الله إن جَدَّ مـا أرى لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنــا بالأماثِــلِ

---

1 هـذا البيت من قطعة تنسب إلى العباس بن مرداس السلميّ وتنسب إلى غيره . انظر ديوان العباس 58–59 .

2 تقول : افعل هذا إما لا ، أي إذا كنت لا تفعل غيره .

أخبرني محمد بن خَلَف قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثنا ابن مناذر ، قال : حدَّثنا سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال عليٌّ عليه السلام : «ما قام بي من النِّساء إلاّ الحارِقة أسماء» . قال ابن مناذر : الحارِقَة : التي تُجامَع على جَنْب .

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، عن العبّاس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن مناذر ، عن سُفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الشيطانُ إلى عيسى ، قال : ألستَ تزعمُ أنّك صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوفِ على هذه الشّاهقة ، فألقِ نفسَك منها ، فقال : ويلك ، ألَم يَقُل الله : يا ابن آدم ، لا تَبلُني بهلاكِك ، فإنّي أفعلُ ما أشاء .

[رقعته إلى غلام في المسجد]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسَنِ الوجه في مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات : [من السريع]

وجدتُ في الآثارِ في بَعْضِ ما ... حَدَّثنا الأشياخُ في المُسْنَدِ
مِمّا رَوى الأعمَشُ عن جابرٍ ... وعامرِ الشَّعْبِيِّ والأسودِ
وما روى شُعْبَةُ عن عاصمٍ ... وقالَه حَمّاد عن فَرْقَدِ
وصيَّةٌ جاءَت إلى كُلِّ ذي ... خدٍّ خَلا من شَعَرٍ أسودِ
أن يَقبَلُوا الرّاغب في وَصْلِهم ... فاقبَلْ فإنّي فيك لم أزْهَدِ
نَوِّلْ فكَمْ من جَمْرَةٍ ضَمّها ... قَلبِيَ من حُبِّكَ لم تَبْرُدِ

فلمّا قرأها الفتى ضَحِك ، وقَلب الرُّقْعة ، وكتب في ظهْرها : لستُ شاعراً فأُجيبَك ، ولا فاتِكاً فأُساعِدَك ، وأنا أعوذُ بالله ربّك من شَرّك .

[بينه وبين أبي العتاهية (رواية أخرى)]

أخبرني محمد بن عُمران الصَّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله العَبْدِيّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن المبارك الأحمر ، قال[1] : لَقيَ أبو العتاهية ابنَ مناذرَ بمكّة ، فجعل يُمازحه ويُضاحكه ، ثم دخلَ على الرَّشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن مُناذر شاعرُ البصرة يقول قصيدة في سنَة ، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة . فقال الرشيد : أدخِلْه إليَّ ، فأدخلَه إليه وقدَّرَ أنّه يضعه عنده . فدخلَ فسلَّم

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 297 .

ودعا ، فقال : ما هذا الذي يَحْكِيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مُناذر : وما ذاكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنّك تقولُ قصيدةً في سنة ، وأنّه يقول كذا وكذا قصيدة في السَّنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنتُ أقول كما يقول : [من الهزج]

ألا يــا عُتْبَــة السَّاعهْ أموتُ السَّاعَهْ السَّاعَهْ

لقلتُ منه كثيراً ، ولكنّي الذي أقول : [من الخفيف]

إنَّ عبــدَ المَجيــدِ يــوم تَولَّى هَــدَّ رُكْناً مــا كان بالمَهْدُودِ
مــا دَرى نَعْشُه ولا حامِلُوه ما عَلى النَّعْشِ من عَفافٍ وجُودِ

فقال له الرشيد : هاتِها فأنشِدْنيها ، فأنشده ؛ فقال الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلاّ في خليفة أو وليّ عهد ، ما لها عَيْبٌ إلاَّ أنّكَ قُلتها في سُوقَة ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، فكاد أبو العتاهية يموت غَمّاً وأسَفاً .

[يحيى بن معين يذمّه]

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن الجُنيد قال : سألتُ يَحيى بن معين ، عن محمد بن مُناذر الشاعر ، فقال : لم يكن بثقةٍ ولا مأمون ، رجل سَوْءٍ نُفِي من البَصْرة ؛ ووصفَه بالمُجون والخَلاعة ؛ فقلت : إنّما تكتُب شِعْرَه وحِكاياتٍ عن الخَليل بن أحمد ، فقال : هذا نَعَم ، وأمّا الحديثُ فلستُ أراهُ مَوضِعاً له .

[وفاته بعد العمى]

أخبرني الحَسَن ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه : قال : حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال : رأيتُ ابنَ مُناذر في الحجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة ، قد كُفّ بصرُه ، تَقودُه جُوَيْرِيّة حُرَّة ، وهو واقف يشتري ماء قِرْبة ، فرأيته وَسِخ الثّوْب والبدَن ، فلمّا صِرنا إلى البصرة أتتنا وفاتُه في تلك الأيّام .

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال : حدَّثنا خلاّد الأرقط قال : تذاكرنا ابنَ مناذِر في حَلْقة يُونُس ، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلقة ، حتى نسبوه إلى الزّنْدَقة ؛ فلمّا صِرْت في السَّقيفة التي في مُقَدَّمِ المسجِد سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائط القِبْلة ، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِر قائمٌ يُصَلّي ، فرجعت إلى الحلقة ، فقلتُ لأهلها : قُلتُم في الرجل ما قُلتم ، وها هُوذا قائمٌ يُصلّي حيث لا يراهُ إلاّ الله عزَّ وجلَّ .

[مع أبي خيرة]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النَّحْويّ قال : حدَّثنا أحمد بنُ القاسم البرقيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن يعقوب ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يَحيى الهُذَليّ التَّمّارُ ، عن عبد الله بن عبد

الصَّمَد الضبّيّ قال : كنَّا يوماً جلوساً في حَلْقة هُبَيرة بن جرير الضَّبِّيّ إذ أَقبل مُحمد بن مُناذر في بُرْد قد كسَته إيّاه بانةُ بنت أبي العاصي ، فسلَّم عليَّ وحدي ، ولم يعرف منهم أحداً ، ثم قام فجلَس إلى أَبي خَيْرَة ، فخاطبه مُخاطبة خفيفة ، وقام مُغضَباً ؛ فقال لي هُبَيرة : مَنْ هذا ؟ فقلتُ ، محمد بن مُناذر : فقال : إنّا للهِ ! قومُوا بنا ؛ فقام إلى أبي خَيْرة ، فقال له : ماذا قال لك ابنُ مُناذِر ؟ قال : سألني عن شيء وكنتُ مَشْغولاً عنه فقال : يا أبا خَيْرة إنّ العشائر تَغْبِطُنا[1] لعِلْمِك ، وما جعل اللهُ عندك ، فنشَدْناك اللهَ أن تكون لنا ، كما كان عَرادَةُ لبني نُمَير ، فإنّه تعرَّض لجرير فهَجاه فعمَّهُمْ فقال[2] : [من الوافر]

عَرادَةُ من بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... أَلا تَبّـاً لِما فَعَلوا تَبابا

أَتدْري مَنْ كان عندَك آنفاً ؟ قال : لا ، قال : ابنُ مُناذِر ، وما تعرَّضَ لأَعراض قوم قطّ إلاّ هتكَها وهتَكهم ، فإذا جاءك يسأَلك عن شيء فأجبه ، ولا تعتلّ عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيئاً ، وكلّ ما أردْتَ من جهته ففي مالي . قال : أفعَلُ . قال : وكان أبو خَيْرة إذا سألَه إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يَعْتلّ عليه بالبول . فما شعرنا من غد إلاّ بابن مُناذر وقد أقبل ، فعَلِمنا أنّه قصدَ أبا خَيْرة ، فأَتيْناه ، فلمّا رأى جمعَنا استحيا منّا ، وسلَّم علينا وتبسَّم ، ثم قال : يا أبا خَيْرة : قد قُلتُ شِعراً ، وقبيحٌ بمثلي أن يُسأل عنه فلا يدري ما فيه ، وإنّي ذكَرتُ فيه إنساناً فشَبَّهتُه بالأَفّار ، فأيّ شيء هو ؟ فاحمرَّ وَجْه أبي خَيْرة واضْطرب ، وقال : هو التَّيْسُ الوثّاب الذي يَنزو وقضيبُه رِخْـو فـلا يَصِل ، فقال : جُزيتَ خيراً . ووثب وهو يضحك ، فقُمْنا إليه وقلنا : قد علِمنا أنَّك عنيتَ هذا الشيخ ، فإن رأيت أن تهَبه لنا فافعَل ، فإنَّه شيخُنا . قال : واللهِ ما عَنيتُ غيرَه ، وقد وهَبْتُه لكم وكرامةً ، واللهِ لا يسمع منّي أحدٌ ما قلتُ فيه ، ولا أذكره إلاّ بخير أبداً ، وإن كان قد أساءَ العِشْرة أمس .

صوت[3]

[من البسيط]

لا زلتَ تَنشُرُ أَعياداً وتَطْويها ... تمضي بها لَكَ أَيّامٌ وتُمْضِيها

ولا تَقضَّت بِكَ الدُّنيا ولا بَرِحَتْ ... تَطوِي لك الدَّهرَ أَيّاماً وتُفْنيها

الشعر لأشجَع السُّلَميّ ، والغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأوّل ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

---

1 ل : تعظمنا .

2 البيت في النقائض : 443 ولم يرد في ديوانه (صادر) .

3 البيت الأول مع أبيات أخرى في الشعر والشعراء : 759 وطبقات ابن المعتز : 252 .

[390] ـ نسب أَشجع وأَخباره[1]

أَخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بن الفَضْل السّلميّ ، قال : كان أَشجَعُ بن عمرو السلميُّ يُكنى أَبا الوليد من ولد الشَّريد بن مطْرود السلميّ ، تزوَّج أبوه امرأة من أهل اليمامة ، فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أَشْجَع ، ونشأ باليمامة ؛ ثم مات أبوه ، فقَدِمتْ به أُمّه البصرة تطلب ميراث أَبيه ، وكان له هناك مال فماتَت بها . وربِّي أَشْجَع ونشأ بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفُه يَدْفع نسبَه ، ثم كَبِر وقال الشّعر وأجاد وعُدَّ في الفحول . وكان الشّعر يومئذٍ في ربيعةَ واليمن ، ولم يكنْ لقيس شاعر معدود ، فلمّا نجم أَشجع وقال الشعر ، افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخوان : أحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو ؛ وكان أَحمد شاعراً ولم يكُن يُقارِب أَشْجَع ، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر . ثم خرَج أشجع إلى الرَّقَّة والرَّشيد بها ، فنزل على بني سُلَيم فتقبَّلوه وأكرمُوه ، ومدح البرامكة وانقطَع إلى جَعفر خاصَّة وأصفاه مَدْحه ، فأُعجِبَ به ووصله إلى الرشيد ، ومدَحه فأُعجِب به أيضاً ، فأثْرى وحَسُنَت حالُه في أيَّامِه وتقدَّم عنده .

[خاف أن تدركه الصلاة فابتدأ بالمدح]

أَخبرني محمد بن عِمْران ، قال : حدَّثني العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صَخْر بن أَسد السُّلميّ قال : حدَّثني أَبي أَسدُ بن جَديلة قال : حدَّثني أَشجَعُ السُّلَميّ قال[2] : شَخَصت من البصرة إلى الرَّقَّة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالَتْني خَلَّة ، فخرجتُ حتى لَقِيتُه مُنصرِفاً من الغَزْو ، وكنت قد اتَّصلتُ ببعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : مَنْ كان هاهنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس ، فحضَرنا سبعة وأنا ثامنهم ، وأُمِرنا بالبُكور في يوم الجمعة ، فبكَّرنا وأُدخِلنا ، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منّا يُنشِد على الأسنان ، وكنتُ أحدثَ القومِ سِنّاً ، وأرثَّهم حالاً ؛ فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تَجب ، فقُدِّمت والرَّشيد على كرسيّ ،

1 ترجمة أشجع السلمي في الشعر والشعراء : 757–762 وطبقات ابن المعتز : 250–253 وتهذيب ابن عساكر 3 : 59–63 وخزانة البغدادي 1 : 296–299 وتاريخ بغداد 7 : 45 ومعاهد التنصيص 4 : 62 وشرح الحماسة للتبريزي 2 : 169 وأوراق الصولي (قسم أخبار الشعراء) : 74–137 وهو يتفق مع نص أبي الفرج في كثير من المواضع . وقد جمع د . خليل الحسون شعره مع دراسة له (دار المسيرة ، بيروت ـ 1981) .

2 انظر أوراق الصولي : 75–76 وديوانه : 187 .

وأصحابُ الأعمدة بين يديه سِماطان[1] ، فقال لي : أَنشِدني ، فخِفْتُ أن أبتدىء من أوّل قصيدتي بالتَّشْبِيبِ فتَجب الصلاة ويفوتُني ما أردْت ، فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المديح في قصيدتي التي أوّلها : [من الطويل]

تذكَّـر عهـدَ البيضِ وهو لها تِرْبُ   وأيَّام يُصبي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأتُ قولي في المديح :

إلى مَلِكٍ يَستَغرِقُ المـالَ جُـودُه   مكارِمُــه نَثْـر ومَعْروفُـه سَكْبُ
وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد   له من مياهِ النَّضْر مَشْرَبُها العَذْبُ
متـى تَبلُـغ العِيسُ المَراسيلُ بابَه   بنا فهناك الرُّحبُ والمنزِلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعت فيكَ الظُّنون ولم يكن   بغيرك ظَـنٌّ يستَرِيح لــه القَلْبُ
جَمعتَ ذَوِي الأَهواء حتى كأَنَّـهُم   على مَنهجٍ بَعْــد افتراقِهـم رَكْبُ
بَثَثْتَ عــلى الأعــداء أَبناء دُرْبَةٍ   فلم يَقِهم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ
ومــا زِلـتَ تَرْميهم بهم مُتَفَرِّداً   أَنيساكَ حَزْمُ الرَّأْيِ والصّارِمُ الغَضْبُ
جَهَدْتُ فلم أُبلـغ عُلاكَ بمِدْحَةٍ   وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ

فضحِك الرشيد وقال لي : خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فَينْقَطِع المديح عليك ، فبدأتَ به وتركـت التَّشْبيبَ ، وأمَرني بأن أُنشِدَه التَّشْبيبَ فأَنشدتُه إيّاه ، فأمر لكُلٍّ واحدٍ من الشُّعراء بعشرة آلاف دِرهم وأمر لي بضِعْفِها .

[الرشيد يستحسن شعره]

أَخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني أَحمدُ بن سَيّار الجُرْجانيّ وكان راوية شاعراً مدَّاحاً ليزيدَ بن مَزْيد ، قال[2] : دخلْتُ أنا وأَشْجَع والتَّيْميّ ، وابن رَزين الخراسانيّ على الرشيد في قصرٍ له بالرقَّة ، وكان قد ضرب أعناقَ قوم في تلك الساعة ، فجعلنا نتخلَّل الدِّماء حتى وصلنا إليه ، فأنشده أبو محمّد التَّيْميّ قصيدة به يذكر فيها نِقْفُور ووقعته ببلاد الرُّوم ، فنَثَر عليه مثلَ الدّرّ من جَوْدة شعره ، وأنشدَه أَشْجَع قوله[3] : [من الكامل]

قَصْـرٌ عليــه تَحِيَّـــةٌ وسَلامُ   أَلقَــتْ عليــه جَمالَهـا الأَيَّامُ

---

1 السماط : الصف .

2 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي 76–77 ، 122 .

3 ديوانه : 252–253 .

قَصُرتْ سُقوفُ المزن دُونَ سُقُوفِه فيــه لأَعــلام الهُــدى أَعلامُ
تُثنــي عــلى أيّامِــك الأَيّامُ والشاهِــدانِ الحِــلُّ والإحْــرامُ
أدنتــك مــن ظلّ النبيّ وصيّة وقرابــةٌ وشَجَت بهــا الأَرحامُ
برقت سماؤك في العدو وأَمطرت هاماً لهــا ظــلّ السيوفِ غمامُ
وإذا سيوفك صافحت هام العِدى طارت لهــنَّ عــن الرؤوس الهامُ
وعلى عَدُوّك يــا ابن عَمِّ مُحمَّد رَصَدانِ ضَــوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فــإذا تَنَبَّــه رُعْتَــه وإذا غَفــا سَلَّت عليــه سيُوفَــك الأَحْلامُ

وأنشدتُه أنا قَولي :

زَمَنٌ بأعْــلى الرَّقْمَتَيْن قَصِير

حتى انتهيتُ إلى قَوْلي : [من الكامل]

لا تَبعَدِ الأَيَّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا خَضِلٌ وإذ غَضٌّ الشباب نضِيرُ

فاستحسَن هذا البيت ، ومضيْتُ في القصيدة حتى أتممتها ، فوجَّه إليَّ الفضلُ بن الربيع : أنفِذ إليَّ قصيدتَك ، فإنِّي أُريد أن أُنشِدَها الجواري من استحسانه إيّاها .

قال : وركب الرشيد يوماً قُبّةً وسعيدُ بنُ سالم معه في القُبّة ، فقال : أين محمد البَيْذَق ؟ وكان رجلاً حسن الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرب بحُسْن صوته أشدَّ من إطراب الغناء . فحضر ، فقال : أنشدْني قصيدة الجُرْجانيّ ، فأنشدَه ، فقال : الشِّعرُ في ربيعةَ سائر اليوم ، فقال له سعيدُ بنُ سالم : يا أميرَ المؤمنين ، استَنْشِده قصيدةَ أشْجَع بنِ عمرو ، فأبى ، فلم يزل به حتى أَجابَ إلى استماعها ، فلمّا أُنشدَه هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّد

والذي بعده ، قال له سعيدُ بن سالم : والله يا أَميرَ المؤمنين ، لو خَرِس بعد هذين لكان أَشعرَ الناس .

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أبي ، قال : بلَغني أنَّ أشْجَع لمّا أُنشد الرَّشيد هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّدِ

والذي بعده ، طَرِب الرشيد ، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : أحسنَ والله ، هكذا تُمدَح الملوك .

أخبرني أحمدُ بن إسحاق العسكريّ ، والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهليّ ، عن أبيه ، قال[1] : كنتُ عند الرشيد ، فدخل إليه أشْجع ، ومنصورٌ النَّمريّ ، فأنشده أشْجَع قولَه : [من الكامل]

وعلى عَدُوِّك يـا ابنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فـإذا تَنَبَّـه رُعتَـه وإذا غفـا سلَّت عليـه سيوفَـك الأحلامُ

فاستَحْسَنَ ذلك الرشيد ، وأومأتُ إلى أشجَع أن يَقْطَع الشِّعر ، وعلمت أنَّه لا يأتي بمِثْلِهما ، فلم يفعل . ولما أنشدَه ما بعدَهما فتَر الرشيد وضَرَب بمِخْصرةٍ كانت بيده الأرضَ ، واستنشَدَ منْصوراً النَّمريّ ، فأنشده قوله[2] : [من البسيط]

ما تَنْقَضي حَسْرَةٌ مِنّي ولا جَزَعُ إذا ذَكَـرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ

فمرَّ واللهِ في قصيدة قَلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها ، فجعل الرشيد يضرب بمِخْصَرته الأرض ويقول : الشِّعر في ربيعةَ سائر اليوم ، فلمّا خرجنا قلت لأشجع : غَمزْتُك أن تَقْطَع فلم تفعل ، ويلك ! ولم تأتِ بشيء ، فهلاً مِتَّ بعد البيتين أو خرَسْت ، فكنتَ تكون أشعَر النّاس .

[مدح جعفر بن يحيى]

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا هارون بنُ محمد بن عبد الملك الزَّيّات قال : حدَّثني مُوسى بنُ عيسى ، قال : اشترى جعفر بنُ يحيى المِرْغاب[3] من آل الرشيد بعشرين ألف ألف دِرهم ، وردَّه على أصحابه ، فقال أشجَعُ السّلميُّ يمدحَهُ بذلك ويقول[4] : [من الكامل]

ردَّ السِّباخَ نَـدى يَدَيْـهِ وأهلُها منهـا بمنزلـة السِّماكِ الأعزَلِ
قـد أيقَنُـوا بذهابها وهلاكِهِم والدَّهْـرُ يُوعِدُهـم بيَوْمٍ أعضَلِ[5]
فافتكَّها لهـمُ وهم مـن دَهْرِهِم بين الجِرانِ وبـين حَدِّ الكَلْكَلِ
مـا كان يُرجـى غَيرُه لفكاكِها يُرجى الكَرِيمُ لكلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ

[معارضته قصيدة لحميد بن ثور]

أخبرني الحسَن بن عليّ الخفَّاف قال : حدَّثني أحمد بن محمد حرّان ، عن قدامة بن نوح ،

1 انظر الخبر في أوراق الصولي : 76–77 .
2 ديوان منصور النمري : 95 .
3 المرغاب : ضيعة .
4 ديوانه : 247 (عن الأغاني) .
5 اليوم الأعضل : الذي لا يرتجى شفاء دائه .

قال[1] : جلس جَعْفَرُ بنُ يَحيى بالصالِحيَّةِ يشرب على مُستَشرفٍ له ، فجاءَه أعرابيٌّ من بني هلال ، فاشْتَكى واستماح بكلامٍ فصيح ولَفْظ مثله يَعْطف المسؤول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعرَ يا هِلاليّ ؟ فقال : قد كنتُ أقولُه وأنا حَدَث أتملَّح به ، ثم ترَكتُه لمّا صِرْتُ شيخاً ؛ قال : فأنشِدْنا لشاعركم حُمَيْد بن ثور ، فأنشدَه قوله[2] : [من الكامل]

لِمَـــنِ الدِّيارُ بجانبِ الحُمْسِ كَمَحَطٌ ذي الحاجاتِ بالنِّفْسِ

حتى أتى على آخرِها ، فاندفع أشجَعُ ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها ، فقال : [من الكامل]

ذهبَـتْ مكارِمُ جَعْفَرٍ وفِعالُه في النّاسِ مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِك تسوسُ لـه المَعالي نفسُه والعقــلُ خَيْرُ سياسةِ النَّفْسِ
فإذا تراءَتْه المُلــوكُ تراجَعُوا جَهْــرَ الكَلامِ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ساد البرامِكَ جَعْفَرٌ وهم الأُلى بعــد الخلائف سادَةُ الإنْسِ
ما ضرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيى راغِباً بالسَّعْدِ حـلَّ بـه أم النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعَنا هذا ، فقال : [من الكامل]

قُصورُ الصالِحيَّـةِ كالعَذارى لَبِسْنَ ثيابَهُـنَّ ليَـوْمِ عُرْسِ
مُطِـلاَّتٌ على بَطْـنٍ كَسَتْه أيادي الماءِ وَشْياً نسجَ غَرْسِ
إذا مـــا الطَّلُّ أثَّرَ في ثَراهُ تَنفَّسَ نَـوْرُه مـن غيرِ نَفْسِ
فتَغْبِقُه السَّماءُ بصِبْـغ وَرْسٍ وتَصْحَبُه بأكْوُسِ عين شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابيّ : كيف تَرى صاحِبَنا يا هلاليّ ؟ فقال : أرى خاطرَه طوعَ لسانه ، وبيانَ الناسِ تَحْت بَيانِه ، وقد جعلتُ له ما تَصِلُني به ، قال : بل نُقرُّك يا أعرابيّ ونرضِيه ، وأمر للأعرابيَّ بمائة دينار ولأشْجَع بمائتين .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، قال . حدَّثني أبو دعامة ، قال : حدَّثني أشجَعُ السُّلميّ ، قال : كنتُ ذاتَ يوم في مجلس بعض إخواني أتحدّث وأُنشد ، إذ دخل عليهم أنَسُ بن أبي شيخ النَّصْريّ صاحبُ جعفر بنِ يحيى ، فقام له جميعُ القوم غيري ، ولم أعرفه فأقوم له ؛ فنظر إليَّ وقال : مَن هذا الرَّجل ؟ قالوا : أشجع السُّلميّ الشّاعر ، قال : أنشدْني بعض

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي 77–78 وانظر ديوان أشجع : 219–220 .
2 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 53 .

قولك ، فأنشدْتُه . فقال : إنّك لَشاعر ، فما يمنَعُك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومَنْ لي بجعفر بنِ يحيى ؟ فقال : أنا ، فَقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنّه يمَلُّ الإطالة . فقلت : لستُ بصاحبِ إطالة ، فقلت أبياتاً على نحوِ ما رَسَم لي ، وصِرت إلى أنَس فقال : تقدَّمني إلى الباب ، فتقدَّمت ، فلم يلْبَث أن جاء فدَخَل ، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى ؛ فقال أشْجَع : فقمتُ ، فقال : ادخُل ، فدخَلْتُ ، فاستنشدَني فأنشدتُه أقول : [من الكامل]

وتَــرى المُلــوكَ إذا رأَيْتَهُـمُ ... كُلٌّ بعيــد الصَّــوْتِ والجَرْسِ
فإذا بَـدا لَهُم ابنُ يَحْيـى جعفرٌ ... رَجَعـوا الكـلامَ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ذَهَبَـتْ مكـارِمُ جَعْفـرٍ وفِعالُه ... في النّاسِ مِثْـلَ مذاهِـبِ الشَّمْسِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم : قال : وكان أشْجَعُ يُحِبُّ الثِّياب ، وكان يكْتَري الخِلعَة كلَّ يوم بدرهمين ، فيَلبَسُها أيّاماً ، ثم يَكْتَري غيرها ، فيفعل بها مثلَ ذلك .

قال : فابتعْتُ أثواباً كثيرة بباب الكَرْخ ، فكسوتُ عيالي وعيالَ إخوتي حتى أنفقتها .

[الفضل يضعف له الجائزة]

ثم لقيتُ المُبارَك مُؤَدِّب الفضل بن يحيى بعد أيّام ، فقال لي : أنشدني ما قُلْتَه في جعفر ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومَنْ لي بالفَضْل ؟ فقال : أنا لك به ، فأدخلني عليه ، فأنشدته[1] : [من الطويل]

وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يَحيى مكانُه ... على غيرِه بـل قَـدَّمَته المَكارِمُ
لقد أرهَبَ الأعداءَ حتى كأنّما ... على كُلِّ ثَغْـرٍ بالمَنِيَّـةِ قائِمُ

فقال لي : كَم أعطاك جعفر ؟ فقلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

[قليل دائم خير من كثير منقطع]

أخبرني علي بن صالح ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فنن ، قال حدَّثني داود بن مُهَلْهِل قال[2] : لمّا خرج جعفر بن يحيى ليُصْلِح أمر الشام ، نزل في مَضْرَبه ، وأمر بإطعامِ النّاس ، فقام أشجَعُ فأنشده قوله : [من الكامل]

فِئتـانِ باغِيَـةٌ وطاغِيَـةٌ ... جلَّت أُمورُهما عن الخَطْبِ

---

1 ديوانه : 261–262 .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 78–79 وديوانه : 188 .

قـد جاءكُم بالخَيْلِ شازِبَةً ينقلنَ نحوَكم رَحى الحَرْبِ[1]
لم يَبْقَ إلاّ أَن تَدُورَ بِكم قد قامَ هاديها على القُطْبِ

قال : فأمر له بصلة ليست بالسَّنِيَّة ، وقال له : دائمُ القليلِ خيرٌ من مُنْقَطِع الكثير . فقال له : ونَزْرُه أكثرُ من جزيل غيره . فأمر له بمثلها ، قال : وكان يُجْري عليه في كلّ جُمعة مائةَ دينار مدّة مقامه ببابه .

[إسحاق الموصليّ يفضّل أشجع على أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد ، قال : حدَّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ الموصليُّ ، قال : دخلت إلى الرشيد يوماً ، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلمّا رآني مُقبِلاً قال لجعفر بن يحيى : أتَرضى بإسحاق ؟ قال جعفر : والله ما في عِلْمِه مَطْعَن إن أنصفَ ، فقال لي : أيّ شيء تروي للشُّعراء المحدثين في الخمر ؟ أنشدني من أفضَلِ ما عندك وأشدِّه تقدُّماً . فعلمتُ أنّهما كانا يتماريان في تقديم أبي نُواس ، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره ؛ لئلاّ أُخالِف أحدهما ، فقلت : لقد أحسن أشجَع في قوله[2] : [من الكامل]

ولقد طَعنتُ الليلَ في أعجازِهِ بالكأْسِ بين غَطارِفٍ كالأَنْجُمِ[3]
يَتمايَلُـونَ على النَّعيـمِ كأَنَّهُم قُضُبٌ مـن الهِنـديّ لم تتثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَرِيرِ يزيدُها طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تغْشِمِ[4]
والليلُ مُنْتَقِب بفَضْل رِدائـهِ قـد كاد يحْسَر عن أغرَّ أرثَمِ[5]
فـإذا أدارَتْهـا الأَكُفُّ رأَيتَها تَثْني الفصيحَ إلى لسانِ الأَعجَمِ
وعـلى بَنـانِ مُديرِهـا عِقْيانَةٌ من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَمِ
تَغْلي إذا مـا الشِّعْريَانِ تَلَظَّيا صيفاً وتَسْكُن في طلوع المرزَمِ[6]
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأَيِّمِ

---

1 شازبة : ضامرة .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 84–85 مع اختلاف طفيف في اللفظ ، وانظر ديوانه : 249–250 .
3 الغطارف : السادة الأشراف .
4 لم تغشم : لم تظلم .
5 الأرثم من الخيل : ما كان أبيض الشفة العليا .
6 الشعريان : نجمان ، الشعرى العبور والشعرى الغميصاء . والمرزم : نجم .

ولها سُكونٌ في الإناء وخلفَها　　شَغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِـيّ المُعْلِمِ
تُعطى على الظّلمِ الفَتى بقِيادِها　　قَسْراً وتَظلمــــهُ إذا لم يَظْلِمِ

فقال لي الرشيد : قد عرَفتُ تَعَصُّبك على أَبي نُواس ، وإنّك عَدلت عنه متعمّداً ، ولقد أحسنَ أشجعَ ، ولكنّه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس : [من المديد]

يــا شَقِيقَ النَّفس مــن حَكَم　　نِمْــتَ عــن لَيْـلي ولم أَنَم

فقلت له : ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أَمير المؤمنين ، وإنّما أَنشدْت ما حضرني ، فقال : حسبُك قد سمعت الجواب .

قال الفَضْل : وكان في إسحاق تعصُّب على أَبي نُواس لشيءٍ جرى بينهما .

[الواثق يعجب بشعر أشجع]

أَخبرني محمد بن مَزْيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، قال : اصطبح الواثِقُ في يوم مطير ، واتَّصل شُربُه وشربنا معه حتى سقطنا لجُنوبِنا صَرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُرِّك أحدٌ منّا عن مضجعِه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أَمرهم ، وقال : لا تحرِّكوا أَحداً عن موضعه ، فكان هو أوّل مَن أفاق منّا ، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنْبِهْنا فقمنا فتوضّأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس ، وهو يروم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لي : يا إسحاق ، أنشدني في هذا المعنى شيئاً ، فأنشدتُه قول أشْجع السُّلَميّ : [من الكامل]

ولقد طَعنت الليلَ في أَعْجازه　　بالكأس بين غَطارِفٍ كالأَنجُمِ
يتمايلُــون عــن النَّعيم كأَنَّـهم　　قُضُبٌ مــن الهنـديّ لم تَتَثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَرِيرُ يَزيدُها　　طِيبـاً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِمِ
والليــل مُنْتَقِب بفضــل رِدائِهِ　　قــد كاد يَحْسَر عن أَغرَّ أَرْثَمِ
وإذا أُدارتهـــا الأكُفُّ رأَيتها　　تثْني الفَصِيحَ إلى لِسان الأَعْجَمِ
وعلى بَنــانِ مُدِيرهــا عِقْيانَةٌ　　من لونها وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلي إذا مـــا الشّعريان تَلظَّيا　　صيفاً وتسكن في طُلوعِ المِرْزَمِ
ولقد فَضَضْناها بخاتــم ربِّها　　بِكْراً وليس البِكْرُ مثـلَ الأَيِّمِ
وَلها سُكُونٌ في الإناء وخَلفَها　　شَغَبٌ يُطَـوِّحُ بالكمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطي على الظّلْمِ الفَتى بِقيادِها　　قَسْراً وتظلمــــه إذا لم يَظلِمِ

فطرب وقال : أحسنَ واللهِ أَشْجَع ، وأَحسنتَ يا أَبا محمد ، أَعِد بحياتي ، فأَعدتها وشرب كأسَه ، وأمر لي بألفِ دينارٍ .

[تعزية الفضل بن الربيع في ابنه]

أَخبرني جعفر بن قُدامَة ، قال : حدَّثنا أَبو هِفّان قال : ذكر أَبو دِعامة أَنَّ أَشْجَع دخل على الفَضْل بن الرَّبيع ، وقد توفِّيَ ابنه العبّاس والنّاس يُعزّونه ، فعزّاه فأَحسن ، ثم استأذنه في إنشاد مَرثيَة قالها فيه ، فأذِن له فأنشده[1] : [من البسيط]

لا تبكِـينَّ بعَيْـن غير جائدةٍ ... وكلُّ ذِي حَزَنٍ يبكِي كما يجِدُ
أَيُّ امرىءٍ كان عبّـاسٌ لنائبةٍ ... إذا تَقَنَّـع دونَ الوالـد الوَلَدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ... ولم يَعِـزّ لـه مـن نعمة بلَدُ
قد كنتُ ذا جَلَدٍ في كلِّ نائبةٍ ... فبانَ منِّي عليك الصبرُ والجَلَدُ
لمّا تسامتْ بكَ الآمالُ وابتهجت ... بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ
ولم يكُن لِفَتًى في نفْسِهِ أَمَلٌ ... إلاّ إليكَ بـهِ من أَرضِهِ يَفِدُ
وحين جئتَ أَمامَ السّابِقين ولَمْ ... يبلل عِـذارَك مَيْدانٌ ولا أَمَدُ
وافاكَ يومٌ على نَكْراء مشتمِلٌ ... لم يَنْجُ مـن مِثلهِ عادٌ ولا لُبَدُ
فمـا تَكشّف إلاّ عن مُوَلْوِلَةٍ ... حَـرَّى ومُكْتَئِبٍ أَحشاؤه تَقِدُ

قال : فبكى الفضلُ وبكَى النّاسُ معه ، وما انْصرَفُوا يومئذٍ يتذاكرون غيرَ أَبياتِ أَشجَع .

[أحسن تعزية الرشيد في ابنه]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ الجهم ، قال : دخلَ أَشجَعُ على الرشيد وقد مات ابنٌ له ، والنّاس يُعَزُّونَه فأَنشده قوله[2] : [من السريع]

نَقْصٌ مـن الدِّين ومن أَهلِهِ ... نقصُ المنايا مـن بني هاشمِ
قدَّمتَه ، فاصبِر على فقدِهِ ، ... إلى أَبِيـهِ وأَبـي القاسِمِ

فقال الرشيد : ما عزَّاني اليوم أحدٌ أحسنَ من تَعْزِيَة أشجَع ، وأمرَ له بِصِلة .

1 ديوانه : 206–207 .

2 ديوانه : 261 (عن الأغاني) .

[استئذانه على جعفر في علّته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن النُّعمان السّلميّ قال[1] : كنّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو عليل ، فقال لنا الحاجِبُ : إنّه لا إذْن عليه ، فكتب إليه أشجَع : [من مخلع البسيط]

لَمَّا اشتكى جعفرُ بنُ يَحيى فارقَنــي النَّــومُ والقَــرارُ
ومَــرَّ عَيشي عــليَّ حتَّــى كأنَّمــا طَعمــهُ المُــرارُ
خوفاً على جعفر بن يَحيى لا حُقِّــقَ الخَوفُ والحِذارُ
إن يُعفِــه اللهُ لا نُحــاذِرْ مــا أَحــدثَ الليلُ والنهارُ

قال : فأوصل الحاجبُ رُقْعَتَه ، ثم خرج فأَمره بالوصول وحده ، وانْصَرَف سائِرُ النّاس .

[استعجال الصلة]

أخبرني الحسَن قال : حدَّثنا العَنَزِيّ ، قال : حدَّثني محمد بن الحسَين ، عن عمرو بن عليّ : أنَّ أشجَعَ السُّلميّ كتب إلى الرشيد وقد أَبْطأَ عنه شيءٌ أَمَرَ له[2] به : [من الطويل]

أَبلِــغْ أَميرَ المؤمنــين رسالَــةً لهــا عَنَقٌ بين الرُّواةِ فسيحُ[3]
بأَنَّ لسانَ الشعرِ يُنطِقه النَّدى ويُخرِسه الإبطاءُ وهو فصيحُ

فضَحِك الرشيد وقال له : لن يَخرَس لسانُ شِعرك ، وأَمر بتعجيل صلته .

[محمد بن منصور يحبّ مديحه]

أخبرني الحسَن ، ومحمد بن يحيى الصُّوليّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن محمد بن منصور بن زياد ، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر ، قال : أقبل أشجَعُ إلى بابِ أبي ، فرأى ازدحامَ الناس عليه ، فقال[4] : [من الهزج]

على بــابِ ابــنِ منصور علامــاتٌ مــن البَــذْلِ
جماعــاتٌ وحسْبُ البا ب نُبْـلاً كثرةُ الأَهــلِ

فبلغ أَبي بيتاه هذان ، فقال : هما والله أَحبُّ مدائحه إليّ .

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 79 وانظر ديوانه : 218 .
2 انظر أوراق الصولي : 79–80 وديوان أشجع : 198 .
3 العنق : السير السريع .
4 الخبر في أوراق الصولي : 80 وانظر ديوانه : 241 وقد أدرج البيتان في سياق قصيدة المدح .

[تهنئة جعفر بتولّيه خراسان]

أُخبرني عمِّي ، والحسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا الفضلُ بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ ، قال : لما وَلَّى الرشيد جعفرَ بن يحيى خُراسان جلس للناس فدخلوا عليه يُهنّئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنشدُوه ؛ فقام أشجَعُ آخرهم ، فاستأذَنَ في الإنشاد فأذِن له ، فأنشدَه قوله[1] : [من المتقارب]

أَتصبِـرُ للبَيْـنِ أَمْ تجـزَعُ ... فـإنَّ الدِّيـارَ غـداً بَلْقَـعُ
غـداً يتفرَّقُ أَهـلُ الهـوى ... ويكثُر بـاكٍ ومُسْتَرجِـعُ

حتى انتهى إلى قوله : [من المتقارب]

ودَوِّيّـةٍ بـين أَقطارِهـا ... مقاطيـعُ أرضِينَ لا تُقْطَعُ[2]
تَجاوَزْتُهـا فـوق عَيْرانَـةٍ ... من الريحِ في سَيرهـا أَسرعُ[3]
إلى جعفـرٍ نزعـتْ رَغبـةٌ ... وأيّ فَتًـى نحـوه تَنْـزِعُ
فمـا دُونـه لامرئٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامـرىءٍ غيره مَقنعُ[4]
ولا يرفـعُ الناسُ مَـنْ حَطَّه ... ولا يَضَعُـون الـذي يَرفعُ
يُريـدُ الملـوكُ مَدى جعفرٍ ... ولا يَصنعُـونَ كما يَصنَعُ
وليس بأَوْسَعِهـم في الغِنـى ... ولكـنَّ معروفـه أَوسعُ
تلـوذُ الملـوكُ بآرائـه ... إذا نالهـا الحـدَثُ الأَفظعُ[5]
بَدِيهَتُـه مِثْـلُ تَدْبيـره ... متـى رُمْتَـه فهـو مُسْتَجْمِعُ
وكم قائـلٍ إذْ رأى ثَـرْوتي ... وما في فضول الغِنى أَصنعُ[6]
غَـدا في ظِلال نَـدى جعفرٍ ... يَجُـرُّ ثِيـابَ الغِنى أَشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تحيـا فقـد ... أَتاها ابنُ يحيى الفَتى الأروعُ

1 الأبيات في الخزانة 1 : 296–297 وأوراق الصولي 82–83 والديوان : 225–227 .
2 الدوية : الصحراء الواسعة .
3 العيرانة : الناقة النشيطة . وفي ل : ريحانة .
4 الشعر والشعراء : 760 :
وما خلفه لامرىء مطمع ... ولا دونـه لامرىء مقنع
5 بآرائه في ل : بأبوابه .
6 الشعر والشعراء : بهجتي بدل ثروتي .

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحِكاً ، واستحسن شِعرَه ، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

[عزل جعفر عن خراسان]

قال : ثم بدا للرشيد في ذلك التَّدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد وأمَرَ ونَهى ، فوَجِم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول[1] : [من السريع]

أمست خُراسانُ تُعزَّى بما أخْطأها مـن جعفرِ المُرتَجى
كان الرشيـدُ المُعتَلي أمـرُه ولَّـى عليهـا المُشرِقَ الأبلَجا
ثـم أراه رأيُـه أنّـه أمسى إليـه منهـمُ أحْوَجا
فكَمْ بـه الرَّحمن من كُربةٍ في مُـدَّةٍ تقصُر قـد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوَّنتَ عليَّ العَزْل ، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر ، فسَلْني ما شِئتَ ، فقال : قد كفاني جُودُك ذِلَّةَ السؤالِ ، فأمر له بألفِ دينار آخر .

[مديحه في الأمين وهو طفل]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، عن أبي دِعامة ، عن أشْجَع ، قال : دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلِسَ مَجلس الأدب للتَّعليم ، وهو ابنُ أربعِ سِنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته[2] : [من الكامل]

ملـكٌ أبُوه وأُمُّه مـن نَبْعَةٍ منهـا سِراجُ الأُمَّـةِ الوَهَّاجُ
شرِبَتْ بمكَّةَ في رُبا بَطْحائِها مـاءَ النُّبوّة ليس فيـه مِزاجُ

يعني النَّبعةَ . قال : فأمرتْ له زُبيدةُ بمائة ألف درهم ، قال : ولم يملِكِ الخلافَةَ أحدٌ أبوه وأُمُّه من بني هاشم إلاّ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه ، ومحمد بن زبيدة .

[يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، ومحمد بن يحيى الصوليّ ، قالا : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا المهْزميّ ، قال : لمّا وَلِيَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ ، دخل عليه أشجَعُ ، فأنشدَه قولَه فيه : [من الكامل]

---

1 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي : 87 والخزانة 1:298–299 وطبقات ابن المعتز : 251 وديوانه : 195–196 مع بعض اختلاف .

2 البيتان في أوراق الصولي : 94 وانظر ديوانه : 196 .

لِمَـــن المنازِلُ مثـلُ ظَهْرِ الأَرقَمِ قَدُمــت وعَهْـدُ أَنِيسها لم يَقْدُمِ
فتكَــتْ بهـــا سَنَتان تَعْتَوِرانِها بالمُعْصِفات وكلّ أَسْحَـــم مُرزِمِ[1]
دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها كـــرَّت إليـــك بنَظْرة المُتَوَهِّمِ
ولقد طعَنْتُ الليـــلَ في أَعْجازِه بالكأسِ بـين غَطارفٍ كالأَنْجُمِ
يَتمايَلُـون على النَّعيـمِ كأنَّهـم قُضُبٌ مـن الهِنْـدِيّ لم تَتثلَّمِ
واللَّيـلُ مُشْتَمِلٌ بفضْلِ رِدائِـه قـد كاد يَحْسُرُ عـن أغـرَّ أَرثَمِ
لِبَنـي نُهَيكٍ طاعـةٌ لـو أنَّها زُحِمَت بهَضْبِ مُتالِعٍ لَـمْ تُكْلَمِ
قـومٌ إذا غَمَزوا قَنـاةَ عَدُوِّهِم حَطَمــوا جَوانِبَها ببأْسٍ مُحْطِمِ
في سَيْفِ إبراهيمَ خـوفٌ واقِعٌ لِذَوي النِّفاقِ وفيـه أَمْنُ المُسْلِمِ
ويَبِيتُ يَكْلأُ ، والعُيونُ هواجعٌ ، مالَ المُضيع ومُهْجَـةَ المُسْتَسْلِمِ[2]
لَيـلٌ يُواصِلُـه بضَوْءِ نَهـارِه يَقْظانُ ليس يَـذُوق نَـوْمَ النُّوَّمِ
شَدَّ الخِطامَ بأَنـفِ كلّ مُخالِفٍ حتى استَقامَ لـه الذي لَمْ يُخْطَمِ
لا يُصلِـح السُّلطـانَ إلاّ شِدَّةٌ تَغْشَى البَريءَ بفضل ذَنْب المُجرِمِ
منعَتْ مهابَتُـكَ النفوسَ حديثَها بـالشيءِ تكرهُـه وإنْ لم تَعْلَمِ
ونهجْتَ في سُبُلِ السِّياسَةِ مَسْلَكاً ففهِمتَ مذهَبَهـا الذي لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه .

[يستقلّ جائزته]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا الغَلابيُّ قال : حدَّثنا مهديُّ بن سابق قال : أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حَفْصةَ ــ وقد مدحه ــ ثلاثينَ ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أشْجَع ، وقد أنشدَه معهما ، ثلاثة آلاف درهم ، وكان ذلك في أوّل اتّصاله به ، فكتَب إليه أشجَع يقول[3] : [من مجزوء الكامل]

أَعطيـــتَ مـــروانَ الثَّـــلا ثِـينَ التـي دَلَّــت رِعاثَهْ[4]

1 المرزم : المصوت .
2 المضيع : صاحب الضياع الكثيرة .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 86–87 ، وانظر ديوانه : 195 .
4 الرعاث : عثنون الديك ، ويقصد أنه زها وتكبّر .

وأبـا البَصِيـرِ وإنّمـا أعطيتَنـي منهـم ثـلاثَـهْ[1]
مـا خانَنـي حَـوْكُ القريـ ـض ولا اتّهمتَ سِوى الحداثَـهْ

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى .

[انتحال شعره]

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريُّ ، قال : حدَّثني أبو هفان ، قال : حدَّثني سعيد بن هرَيْم وأبو دِعامة ، قالا : كان انقطاعُ أشجع إلى العبّاس بنِ محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، فقال الرشيدُ للعبّاس يوماً : يا عمِّ ، إنّ الشُّعراء قد أكثروا في مدحِ محمد بسببي وبسبب أمّ جعفر ، ولم يقُل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أُحِبّ أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه ، فذكر العبّاسُ ذلك لأشْجَع ، وأمرَه أني قول فيه ، فقال[2] : [من المديد]

بَيْعَـةُ المأمـونِ آخِـذَةٌ بعِنـان الحَقِّ في أُفُقِهْ
أُحكِمتْ مِرَّاتُهـا عُقداً تمنعُ المُخْتالَ في نَفَقِهْ
لن يفـكَّ المرءُ رِبقَتَها أو يفكَّ الدِّينَ من عُنُقِهْ
ولـه مـن وَجْه والِدِه صُورةٌ تَمَّتْ ومن خُلُقِهْ

قال : فأتى بها العبّاسُ الرشيد ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله : لَمن هي ؟ فقال : هي لي ؛ فقال : قد سررتَني مرَّتين : بإصابَتِك ما في نفسي ، وبأنّها لك ، وما كان لك فهو لي ، وأمر له بثلاثين ألف دينار ، فدفع إلى أشْجَع منها خَمسة آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه .

[استعجاله عطاء يحيى]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ ، قال[3] : وعد يحيى بن خالد أشْجَعَ السُّلَميّ وعداً ، فأخَّره عنه ، فقال له[4] : [من المتقارب]

رأَيْتُكَ لا تَسْتَلِـذُّ المِطالَ وتُوفي إذْ غَـدَرَ الخائنُ
فماذا تُؤخِّر من حاجَتي وأَنتَ لتَعْجيلها ضامِنُ !
ألَمْ تَرَ أنَّ احتباسَ النَّوالِ لمَعْرُوفِ صاحِبِه شائِنُ !

1 منهم ثلاثة في ل والأوراق : معهم ثلاثة .
2 ديوانه : 238 .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 88–89 وديوانه : 266–267 .
4 انظر أوراق الصولي : 89–91 وديوانه : 262–264 .

فلم يتعجَّلْ ما أراد ، فكتب إليه : [من الوافر]

رُويــدكَ إنَّ عِــزَّ الفقْرِ أدنى إليَّ مــن الثّراء مــع الهَـوانِ
ومــاذا تَبلُــغُ الأيَّامُ مِنّــي بريْبِ صُرُوفِهـا ومَعي لِساني

فبلغ قولُه جعفراً فقال له : ويلك يا أشجَعُ ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلَّم أباه فقضى حاجتَه ، فقال : [من الطويل]

كَفاني صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيى بنُ خالد فأصبَحْـتُ لا أُرتــاعُ للحَدَثانِ
كَفاني ، كَفـاه اللهُ كُلَّ مُلِمَّةٍ ، طِـلابَ فُـلانٍ مَـرَّةً وفُـلانِ
فَـأصبَحْتُ في رغْدٍ من العَيْشِ واسعٍ أُقلِّــبُ فيــه ناظِــري ولِساني

[إخفاقه في العمل]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيُّ عن ابن النَّطَّاح قال : ولَّى جعفرُ بنُ يحيى أشجَعَ عملاً ، فرفَع إليه أهلُه رفائِعَ كثيرة ، وتظلَّموا منه وشكَوْه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلمّا رجَع إليه من عمله مَثَل بين يديه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أمُفسِدةٌ سُعــادُ عــليَّ ديـنـي ولائِمَتــي على طُــولِ الحَنِينِ
ومــا تَــدري سُعاد إذا تَخَلَّتْ من الأشْجانِ كَيْفَ أخُو الشُّجُونِ
تَنــامُ ولا أنــامُ لِطُـولِ حُزْني وأيْنَ أخُــو السُّرورِ من الحَزِينِ !
لقد راعَتْــك عند قَطِين سُعْدى رواحــلُ غادِيــاتٌ بــالقَطِينِ
كأنَّ دُمــوعَ عَيْني يــوم بانوا عِيانــاً سَحُّ مُطّــرِدٍ مَعِـينِ[1]
لقد هَــزَّت سِنانَ القَـوْلِ منّي رِجــالُ رَفِيعَــةٍ لم يَعْرِفُوني
همُ جازُوا حِجابَك يا ابْنَ يَحْيى فقالــوا بالذي يَهْــوَوْنَ دُوني
أطافُوا بــي لديك وغِبتُ عنهم ولــو أدنَيْتَنــي لتَجَنَّبُــوني
وقــد شهدتْ عُيونُهــمُ فمالَت عــليَّ وغُيِّبَتْ عنهــم عُيوني
ولَمَّــا أن كَتَبْــتُ بمــا أرادُوا تَــدَرَّع كــُلُّ ذي غَمْــزٍ دَفِينِ
كَففتُ عــن المقاتِــلِ باديـاتٍ وقــد هَيَّأتُ صَخْرَةَ مَنْجَنُونِ[2]

---

1 الأوراق : جداول من ذرى وشل معين .
2 المنجنون : دولاب الساقية .

ولـو أرسلتُهـا دَمَعَتْ رِجالاً وصالَت في الأَخِشَّة والشُّؤونِ[1]
وكنت إذا هـَزَزتُ حُسامَ قَوْلٍ قطعتُ بحُجَّتي عَلَقَ الوَتِينِ[2]
لعلَّ الدّهـرَ يُطلِقُ من لساني لهم يوماً ويَبْسط من يَميني
فأقضيَ دَيْنَهم بوفاءِ قَوْلٍ وأُثقلهم لصدقي بالديونِ
وقد علموا جَميعاً أنَّ قَولي قَريبٌ حِينَ أَدْعُوه يَجيني
وكُنتُ إذا هَجَوْتُ رئِيسَ قَوْمٍ وَسَمْتُ على الذُّؤابَةِ والجَبينِ
بخطٍّ مثلِ حَرْقِ النّارِ باقٍ يلوحُ على الحَواجِبِ والعُيُونِ
أمائِلَةٌ بوُدِّك يا ابْنَ يَحْيى رِجالاتٌ ذَوُو ضِغْنٍ كَمِينِ
يَشِيمون السُّيوفَ إذا رَأَوْني فإنْ ولَّيتُ سُلَّت من جُفونِ[3]
ولو كُشِفَت سرائِرُنا جَميعاً علمتَ مَن البَريءِ من الظَّنينِ
علامَ ، وأنتَ تَعْلَم نُصْحَ جَنْبي وأَخْذي منك بالسَّبَبِ المتينِ[4]
وعَسْفي كُلَّ مَهْمَهَةٍ خلاءٍ إليك بكلِّ يَعْمَلَةٍ أَمُونِ[5]
وإحْيائي الدُّجى لك بالقَوافي أُقيم صُدُورَهُنَّ على المُتونِ ،
تُقرِّب منك أَعْدائي وأُنْأَى ويجلسُ مَجْلِسي مَنْ لا يَلِيني !
ولو عاتبتَ نَفْسَك في مكاني إذاً لنَزلتُ عندك باليَمينِ
ولَكِنَّ الشُّكوكَ نأَيْنَ عَنِّي بودِّك ، والمَصِيرُ إلى اليَقِينِ
فإن أنصَفْتَني أحرقتَ منهم بنُضْجِ الكَيِّ أَثْباجَ البطونِ[6]

[اتصاله بجعفر بن المنصور]

أَخبرني محمد بنُ يحيى الصَّوليُّ والحسنُ بن عليٍّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال[7] : أوَّلُ ما نَجَمَ به أشجَعُ أنّه اتّصلَ بجعفر بن المنصور وهو حَدَثٌ ، وصَلَه

1 الأخشة : جمع خشاش ، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير . والشؤون : جمع شأن ، وهو عرق الدمع .
2 العلق : الحبل .
3 يشيمون السيوف : يغمدونها .
4 الأوراق : نصح حبي .
5 اليعملة : الناقة النجيبة . الأمون : الناقة الموثوقة الخلق المأمونة الكلال .
6 الأثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شيء .
7 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 91 وديوانه : 234-236 .

به أحمد بنُ يزيد السُّلَميّ وابنه عوف ، فقال أشجَعُ في جعفر بن المنصور قوله : [من الخفيف]

اذكُروا حُرمَـةَ العَواتِك مِنّا ... يـا بني هاشمٍ بنِ عبدِ منافِ
قـد وَلَدْنـاكُمْ ثَـلاثَ ولادا ... تٍ خَلَطْنَ الأَشرافَ بالأشرافِ
مَهَّدَت هاشِماً نجـومُ قُصَيٍّ ... وبنـو فالجٍ حُجـور عَفافِ
إنَّ أرمـاحَ بُهْثَةَ بـنَ سُلَيْم ... لعِجافِ الأَطرافِ غيرُ عِجافِ
ولأسيافهم قِـرى غَيْرُ لَـذٍّ ... راجِـعٌ في مَراجِـع الأكتافِ
معشَرٌ يُطعِمُونَ من ذِرْوَة الشَّو ... ل ويَسْقونَ خَمْرَةَ الأَقْحافِ[1]
يَضرِبُون الجَبَّـار في أخدَعَيْه ... ويُسَقُّونـه نَقيـعَ الذُّعافِ[2]

فشاع شِعْره وبلغ البصرة ، ولم يزل أَمرُه يَتراقى إلى أن وصَلَتْه زُبَيْدةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد ، فأسْنى جوائزَه ، وأَلْحقَه بالطَّبَقة العُلْيا من الشُّعراء .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثَني أحمدُ بن المرزبان قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ أحمد بن هشام ، قال : حدَّثني أحمدُ بن العبّاس الرَّبيعيُّ : أنّ الذي أوْصَلَ أشجَعَ السُّلَميّ إلى الرَّشيد جدُّه الفضلِ بن الرَّبيع ، وأنّه أوصلَه له وقال له : هو أشْعَر شُعَراء أهلِ هذا الزَّمان ، وقد اقتطعتْه عنك البرامِكة ، فأمره بإحضارِه وإيصالِه مع الشعراء ففَعَل ، فلمَّا وصَلَ إليه أنشدَه قوله : [من الكامل]

قَصْـرٌ عليـه تَحيَّـةٌ وسَلامُ ... نَثَرَتْ عليـه جَمالَهـا الأَيَّامُ
فيـه اجْتَلى الدُّنْيا الخليفةُ والْتَقَتْ ... للملـك فيـه سلامَـةٌ وسَلامُ
قَصْرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فيـه لأعـلام الهُدَى أعْلامُ
نَشَرَت عليه الأَرضُ كُسوتَها التي ... نَسَجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ[3]
أدنَتْك مـن ظِـلِّ النَّبيِّ وَصيَّةٌ ... وقرابَـةٌ وُشِجَتْ بهـا الأَرحامُ
برقَتْ سَماؤُك في العَدُوِّ وأَمْطَرَتْ ... هَامـاً لهـا ظِلُّ السُّيوف غَمامُ
وإذا سُيوفُك صافحَتْ هامَ العِدا ... طارت لهُـنَّ عـن الرؤوسِ الهامُ
أَثنـى على أيَّامِـك الأَيَّـامُ ... والشَّاهِـدانِ : الحِـلُّ والإحرامُ

1 الشول : الناقة . والأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من خشب .
2 الذعاف والزعاف : السم القاتل .
3 الإرهام : المطر الخفيف .

وعَلى عَـدُوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدان : ضَوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعتَـه ، وإذا غَفـا سَلَّتْ عليـه سُيوفَـك الأَحْلامُ

قال : فاستَحْسَنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفَضْل بنَ الربيع ، وشكر له إيصالَه إيّاه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

غَلَب الرُّقـادُ على جُفونِ المُسْهَدِ وغَرِقْـتُ في سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قـد جَدَّ بـي سَهَرٌ فلَمْ أَرقُد له والنَّومُ يلعبُ في جُفـونِ الرُّقَّدِ
ولَطالَمـا سَهِرَتْ لِحُبِّـيَ أَعْيُنٌ أَهـدى السُّهادَ لهـا ولَمَّا أَسْهدِ
أيّامَ أَرعـى في ريـاضِ بطالةٍ ورِدْ الصِّبا منهـا الذي لم يُورَدِ
لَهْوٌ يُساعِده ، الشَّبابُ ولَمْ أَجِدْ بعد الشَّبيبَة في الهوى من مُسْعِدِ[2]
وخَفِيفَـةِ الأَحشاء غير خَفِيفَـة مَجْدُولَـة جَـدْلَ العِنانِ الأَجْرَدِ
غَضِبَتْ على أَعْطافِهـا أَردافُهـا فالحَرْبُ بين إزارهـا والمِجْسَدِ[3]
خالفتُ فيـه عاذِلاً لِـيَ ناصحاً فرشَدْتُ حين عَصَيْتُ قَولَ المُرشِدِ
أُقيـمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْم حَـوادِثٍ مع هِمَّـةٍ موصولـة بالفَرْقَدِ
وأرى مخايِلَ ليس يُخلِفُ نَوؤُها للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ
للفَضْلِ أَموالٌ أَطافَ بهـا النَّدى حتـى جُهِدْنَ وجُودُه لم يَجْهَدِ
يا ابنَ الرَّبيعَ حَسَرْتُ شُكْري بالتي أَولَيْتَني في عَـوْدِ أَمرِك والبَدِي
أَوصَلْتَنـي ورَفَدْتَنـي وكِلاهُمـا شَرفٌ فقأتُ بـه عُيونَ الحُسَّدِ
ووصَفْتَني عنـد الخَليفَـة غائِباً وأَذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أَفخرَ مَشْهَدِ
وكَفَيْتَني مِنَنَ الرِّجـالِ بنائـلٍ أَغنى يـدي عن أَن تُمَدَّ إلى يَدِ

[يطلب شراء غلام رومي له]

أَخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صخرُ بن أَحمد السلميّ ، عن أبيه ، قال : كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً ، فمرَّ بنا غلامٌ أَمردُ روميّ جميلُ الوجه ، فكلَّمه أشجَع وسأله هل يبيعُه مالِكُه ؟ فقال : نعم ، فقال أشجَع يمدَحُ جعفر بنَ

1 القصيدة في أوراق الصولي : 95–96 وديوانه : 201–203 .
2 مسعد : معين .
3 المجسد : ثوب يلي الجسد .

يحيى ، وسأله ابتياعَه له فقال[1] : [من الوافر]

ومُضْطَرِبِ الوِشاحِ لُمقْلَتيْهِ ... علائِقُ ما لِوَصْلَتِها انْقِطاعُ
تعرَّض لي بنظرةِ ذي دَلالٍ ... يُرِيعُ بمُقْلَتَيْهِ ولا يُراعُ
لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلوبٍ ... وأمرٌ في الذي يهوى مُطاعُ
ووُسْعي ضَيِّقٌ عنه ومالي ... وضِيقُ الأمرِ يَتْبَعُهُ اتِّساعُ
وتَعْويلي على مالِ ابنِ يَحْيى ... إليه حَنَّ شَوْقي والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَرٍ في كلِّ خَطْبٍ ... فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتَرِه بها فإن لم تَكْفِك فازدَدْ .

[رثاؤه جاريته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث قال : كانت لأشجَعَ جاريةٌ يقال لها : رِيمٌ ، وكان يَجِد بها وَجْداً شَديداً ، فكانت تَحلِف له إن بقيتْ بعده لم تعرَّض لغيره ، وكان يذكرُها في شعره . فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيد[2] : [من الطويل]

وليس لأحزانِ النِّساءِ تَطاوُلٌ ... ولكنَّ أحزانَ الرِّجالِ تَطولُ
فلا تَبْخَلي بالدَّمْعِ عَنِّي ، فإنَّ مَن ... يَضِنُّ بدَمْعٍ عن هَوًى لبَخِيلُ
فلا كُنتُ مِمَّن يُتْبِع الرِّيحَ طَرفَه ... دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ
إذا دارَ فَيءٌ أتبعَ الفَيْءَ طَرفَه ... يَميلُ مع الأيَّامِ حَيْثُ تَميلُ

قال : وقال فيها أيضاً[3] : [من الطويل]

إذا غَمَّضَتْ فَوْقي جُفونُ حَفيرَةٍ ... من الأرضِ فابْكِيني بما كُنتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عَنِّي عند ذلك سَلْوَةٌ ... وأنْ ليس فِيمَن وارَت الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَيْ شَخْصي وتُغْنِكِ ثروتي ... ولم تَسْمَعي منِّي ولا منكِ أسمعُ
فحِنَئِذٍ تَسْلين عنِّي وإنْ يَكُنْ ... بُكاءٌ فأقْصى ما تُبكِّين أرْبَعُ

---

1 الأبيات في أوراق الصولي ضمن قصيدة طويلة في مدح جعفر بن يحيى : 103–104 وانظر ديوانه : 230–231 .

2 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 140 وديوانه : 245–246 .

3 أوراق الصولي : 141 وديوانه : 233 .

قليلٌ وربِّ البيْتِ يا رِيمُ ما أرى ... فَتاةً بمَنْ وَلَّى بــه المـوتُ تَقْنَعُ
بمَن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمـى ... عليكِ بها عامٌ من الجَدْبِ يَطلُعُ
فحينئــذٍ تَدْرِيــن مَــنْ قــد رُزِيتِه ... إذا جَعَلــتْ أركانُ بيتــك تُنْزَعُ

[جواب أخيه أحمد على لسان ريم]

قال : فشكته رِيم إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفَضْل أيضاً فاختير شعرُه على شعر أخيه وهو[1] : [من الطويل]

ذكرتُ فِراقــاً والفِــراقُ يُصدِّعُ ... وأيُّ حيــاةٍ بعــد مَوْتِك تَنْفَعُ !
إذا الزَّمــنُ الغَــرَّارُ فَــرَّقَ بيننا ... فما لِيَ في طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ
ولا كان يــومٌ يا ابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ ... يُــدَدُّ فيهــا شَمْلُنــا ويُصَدَّعُ
ولا كان يومٌ فيــه تَثْــوي رهينةً ... فتَرْوى بجسمي الحادِثاتُ وتَشبعُ
وألطمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونه ... وأخشعُ مِمّا لم أكُن منــه أخشعُ
ولــو أنَّني غُيِّبتُ في اللَّحْدِ لم تُبَلْ ... ولم تَــزَلْ الــراؤون لي تتوجَّعُ
وهــل رجــلٌ أبصرتــه متوجِّعاً ... على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ !
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها : اذهبِي ... فمِثلُك أُخرى سوفَ أهوى وأتبَعُ
ولو أبصَرَتْ عيناك ما بي لأبْصرَتْ ... صبابةَ قلــب غيمُها ليس يُقْشَعُ
إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديحِ فإنّه ... مَنِيعُ الحِمى مَعروفُــه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تَــزُرْ حِلْماً وعِلْماً وسؤدَدًا ... وبأساً بــه أنفُ الحوادثِ يُجدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلتَ في الفَضْلِ مِدْحَةً ... كما الفضل في بذل المواهِبِ يُبدِعُ
إذا ما حِياضُ المجدِ قلّتْ مِياهُها ... فحوضُ أبي العَبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ
وإن سَنَةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الوَرى ... ففي جُودِهِ مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدَتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نازلٌ ... ولا خابَ مَنْ في نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ
فنِعم المُنــادى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ ... لدفع خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفعُ
إليكَ أبا العَبَّاسِ سارَتْ نجائبٌ ... لهــا هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ
بذِكْرِك نَحْدُوها إذا مــا تأخَّرَت ... فتمضي على هَوْلِ المُضيّ وتُسْرِعُ

1 القصيدة في أوراق الصولي : 142–143 .

وما لِلسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ولا للمَطايا دُونَ بابِــك مَفْزَعُ[1]
إليــكَ أَبــا العَبَّاسِ أَحملُ مِدْحَةً مَطِيَّتُها ، حتى تُوافيـك ، أَشجَعُ
فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيهــا وإنّما إلى مَفْزَع الأَملاكِ يُلْجا ويُفزَعُ

قال : فأَنشدَها أَشجَعُ الفَضْلَ ، وحدَّثه بالقِصَّة ، فوصل أَخاه وجاريتَه ووصلَه .

وقال أَحمد بنُ الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخي أَشْجَع : مالك لا تمدَح الملوكَ كما يمدَحُهم أخوك ؟ فقال : إنّ أخي بلاءٌ عليَّ وإن كان فخراً ، لأنّي لا أمدحُ أحداً مِمَّن يُرضِيه دون شِعري ويُثِيبُ عليه بالكثير من الثَّوابِ إلاّ قال : أينَ هذا من قول أَشْجَع ؟ فقد امتنعتُ من مدحِ أَحد لذلك .

[أخوه أحمد يهجوه]

قال أَحمدُ بنُ الحارث : وقال أَحمدُ بنُ عمرو يهجو أَخاه أَشجَع ، وقد كان أَحمدُ مدَح محمد بنَ جميل بشعر قاله فيه ، فسأل أخاه أَشْجَع إيصاله ، ودفع القصيدةَ إليه فتوانى عن ذلك ، فقال يهجوه ، أخبرني بذلك أَحمدُ بنُ محمد بنِ جميل[2] : [من المتقارب]

وسائلةٍ لِيَ : ما أَشْجَعُ ؟ فقلتُ : يضـرّ ولا يَنفَعُ
قَريــبٌ من الشَّرِّ واعٍ له أَصَمُّ عن الخيرِ ما يَسمَعُ
بَطيءٌ عن الأَمرِ أَحظى به إلى كلِّ ما ساءَني مُسرِعُ
شَرُودُ الوِدادِ على قُربِــهِ يُفَــرِّقُ منــه الذي أَجمَعُ
أُسَبُّ بأَنِّــي شَقِيقٌ له فأَنْفي بــه أبــداً أَجدَعُ

[إسحاق الموصليّ يثاب على إنشاده شعراً لأشجع]

أَخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أَبيه قال : دخلتُ على الفَضْل بنِ يحيى وقد بلغ الرشيدَ إطلاقُه يَحيى بن عبد الله بنِ حَسن ، وقد كان أَمرَه بقتله فلم يُظهِر له أنّه بلغه إطلاقه . فسأله عن خبَرِه : هل قتلتَه ؟ فقال : لا ، فقال له : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّه سألَني بحقِّ اللهِ وبحقِّ رَسولِه وقرابتِه منه ومنك ، وحلَفَ لي أنَّه لا يُحدِث حدَثاً ، وأنّه يُجيبُني مَتى طلبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال : امضِ بنَفْسِك في طلبِه حتى تجيئَني به واخرُج الساعةَ ، فخرَج . قال : فدخلْتُ عليه مُهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له : ما رأيتُ أَثبتَ من جنانِك ولا أصحَّ من رأيك فيما جرى ،

1 دونك مشرع في ل : دونك شاهد .
2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 140 .

وأنت واللهِ كما قال أَشجَعُ[1] : [من الوافر]

بديهتُـــه وفكرتُـــه سَواءٌ إذا مـــا نابَه الخَطْبُ الكَبيرُ
وأحزمُ مـا يَكونُ الدَّهرَ رأياً إذا عَـــيَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيــه للهـــمِّ اتّساعٌ إذا ضاقَت بما تَحوي الصُّدورُ

فقال الفَضْل : انظروا كم أخذ أشْجَع على هذه القصيدة ، فاحمِلوا إلى أبي محمد مثلَه . قال : فوجدَه قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحُمِلَتْ إليّ .

[يرثي صديقاً له من بغداد]

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسم الكَوْكبيُّ إجازة ، قال : حدَّثني محمد بنُ عَجْلان . قال : حدَّثنا ابنُ خلاَّد ، عن حُسين الجُعفيّ قال : كان أُشجَع إذا قدِم بغداد ينزل على صديقٍ له من أهلِها ، فقَدِمها مرّة فوَجدَه قد مات ، والنوحُ والبكاء في دارِه ، فجَزِع لذلك وبكى ، وأنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ أسَقِيمٌ فُؤادُها أم صَحِيحُ !
قَمَـرٌ أَطبَقُـوا عليـــه ببغدا دَ ضريحاً ، ماذا أَجَنَّ الضَّرِيحُ ![3]
رحِـمَ اللهُ صاحبِـي ونَديمي رحمةً تَغْتدي وأُخرى تَرُوحُ[4]

وهذه القصيدة[5] التي فيها الأبيات المذكورة والغِناء فيها ، من قصيدة يمدَح بها أَشجَعُ الرشيد ويُهنئه بفَتح هِرَقْلَةَ ، وقد مَدَحه بذلك وهنّأه جماعةٌ من الشُّعراء وغُنِّيَ في جميعها ، فذكرتُ خبرَ فتحِ هِرَقْلَة لذكر ذلك .

[فتح هرقلة]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد ، قال : كان من خبر غَزاة الرشيد هِرَقلة أن الرُّومَ كانت قد ملَّكَت امرأةً ، لأنّه لم يكُنْ بَقِيَ في أهلِ زمانها من أهل بيتها ، بيتِ المملكة ، غيرُها ، وكانت تكتُب إلى المهديّ والهادي والرشيد أوَّلَ خِلافَتِه بالتَّعْظيم والتَّبجيل ، وتدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلَغَ ابنٌ لها فحاز المُلكَ دونها ، وعاث وأفسد ، وفاسد الرّشيد ، فخافت على مُلْك الرّوم أن يَذهب ، وعلى بِلادِهم أن تعطَب ؛ لعِلمها

---

1 تنسب هذه الأبيات إلى أشجع وكثير وغيرهما (الديوان : 272) .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 129 من قصيدة في رثاء أحمد بن يزيد السلميّ ، وانظر ديوانه : 198 .
3 الأوراق : جبل أطبقوا . . .
4 الأوراق : رحم الله أحمد بن يزيد .
5 يعني القصيدة التي منها الأبيات الرائية في الفقرة السابقة .

بالرشيد وخوفها من سَطوته ، فاحتالت لابنها فسَمَلَتْ عَيْنيْه[1] ، فبَطَل منه المُلك وعاد إليها ، فاستَنْكَرَ ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نِقفور وكان كاتِبَها ، فأعانوه وعَضَّدوه ، وقام بأمْر المُلْك وضَبْط أمْر الرُّوم ، فلمّا قَوِيَ على أمره وتمَكَّن من مُلْكِه كتَب إلى الرشيد :

«من نَقْفور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِك العرب ، أمّا بعد ؛ فإنّ هذه المرأة كانت وضَعَتْك وأباكَ وأخاكَ مَوْضِع المُلوكِ ، ووضَعَت نَفْسَها موضِعَ السُّوقَة ، وإنِّي واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع ، وعامل على تَطَرُّق بِلادِك والهجوم على أمصارِك ؛ أو تُؤَدِّي إلي ما كانت المرأة تُؤَدِّي إليك ، والسلام» .

فلمّا وَرَدَ كِتابُه على الرشيد كتَب إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عَبْدِ الله هارونَ أميرِ المؤْمنين إلى نَقْفور كَلبِ الرُّوم : أمّا بعد ، فقد فهمت كِتابَك ، وجَوابُك عندي ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه» . ثم شَخَصَ من شهره ذلك يؤُمُّ بِلادَ الرُّوم في جمعٍ لم يُسمَع بمثله ، وقُوَّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً . فلمّا بلَغَ ذلك نقْفور ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وشاوَر في أمرِه .

[قصيدة أبي العتاهية في هزيمة نقفور]

وجَدَّ الرشيد يتوغَّل في بلاد الرُّوم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِي ، ويُخرِّب الحُصونَ ويُعفِّي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايقة دون قُسْطَنطينيّة ؛ فلمّا بَلَغها وجَدَها وقد أمَر نقفور بالشَّجَر فقُطِع ورُمي به في تلك الطُّرُق ، وأُلْقِيَت فيه النّار[2] . فكان أوّل مَن لَبِس ثياب النفَّاطِين محمد بنُ يزيد بنِ مَزْيد ، فخاضها ، ثم اتَّبَعه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشدَّ الخُضُوع ، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

إمـامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا

لك اسمانِ شُقَّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنتَ الذي تُدعـى رَشيداً ومَهْدِيّا

إذا ما سَخِطْتَ الشيءَ كان مُسَخَّطاً ... وإن تَرضَ شَيْئاً كان في النّاسِ مَرْضِيّا

بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَـدَ العُلا ... فأوسعـتَ شَرْقِيّـاً وأوسَعْـتَ غَرْبِيّا

1 سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محمّاة .

2 ل : وأشعلت فيه النيران .

3 ديوان أبي العتاهية : 674–675 .

وشَّيْتَ وَجْهَ الأرضِ بالجُودِ والنّدى فأَصبحَ وَجهُ الأرضِ بالجُودِ مَوْشِيّا
وأنـتَ ، أَميرُ المؤمنينَ ، فَتـى التُّقى نشرتَ مـن الإحسانِ ما كان مَطْوِيّا
قَضى اللهُ أَن يَبْقى لِهـارونَ مُلْكهُ وكان قَضاءُ الله في الخَلْـقِ مَقْضِيّا
تجلَّلَت الدُّنْيـا لِهارُون ذي الرِّضا وأَصبـح نَقْفـورٌ لهـارون ذِمِّيّا

فرجع الرشيد ، لَمّا أعطاه نَقْفور ما أعطاه ، إلى الرَّقّة ، فلمّا سَقَط الثَّلجُ وأَمِن نَقْفُور أن يُغْزى اغترَّ بالمُهْلة ، ونَقَضَ ما بينه وبين الرشيد ، ورجَع إلى حالتِه الأولى ، فلم يَجْتَرِىء يحيى بنُ خالد ، فَضْلاً عن غيره ، على إخبار الرشيد بغَدر نقفور ، فبذَلَ هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرَّشيد بذلك ، فكلُّهم كَعَّ[1] وأشفَق إلاّ شاعراً من أهلِ جُدَّة كان يُكنى أبا محمّد[2] ، وكان مُجيداً قَوِيَّ النَّفْسِ قَوِيَّ الشِّعرِ ، وكان ذو اليَمينَيْن اختَصَّه في أيّام المأمون ورَفَع قدرَه جدّاً ، فإنّه أَخذ من يحيى وبنِيه مائةَ ألفِ درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده : [من الكامل]

نَقَـضَ الذي أَعْطاكـه نَقْفـورُ فعَلَيـه دائِـرَةُ البَـوارِ تَدُورُ
أَبْشِرْ أَميـرَ المُؤْمِنـين فإنّـه فَتْـحٌ أَتـاك بـه الإلهُ كَبِيرُ
فلَقَـد تباشَرَت الرَّعِيَّـة أَن أَتـى بـالنَّقْض عنـه وافـد وبَشِيرُ
ورجَتْ بيُمْنِك أَن تُعجِّل غَزوةً تَشفي النُّفوس نَكالُهـا مَذْكُورُ
أَعْطاكَ جِزيَتـه وطَـأْطَـأ خَدَّه حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدى مَحْذُورُ
فأَجَرْتَـه مـن وَقْعِهـا وكأَنَّها بأَكُفِّنـا شُعَـلُ الضِّـرام تَطِيرُ
وصرفت في طول العساكِرِ قافلاً عنـه وجـارُك آمِـنٌ مَسْرُورُ
نَقْفورُ إنّك حين تَغْدِر أَنْ نَأى عنك الإمـامُ لجاهِـلٌ مَغْرُورُ
أَظَنَنْتَ حين غَدَرْت أَنّك مُفْلِتٌ هَبِلَتْك أُمُّك مـا ظَنَنتَ غُرورُ
أَلقاكَ حَيْنُك في زواخِـرِ بَحْـرِه فَطَمت عليك من الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمـامَ على اقْتِسارك قـادِرٌ قَرُبَت دِيارُك أو نَـأَتْ بِك دُورُ[3]
لَيْس الإمـامُ وإن غَفِلنـا غافِلاً عمّـا يَسُوس بحَزْمِـه ويُدِيرُ

---

1 كَعَّ : جبن .
2 ابن الأثير (حوادث سنة 187) : أبو محمد عبد الله بن يوسف ، وقيل الحجاج بن يوسف التيمي .
3 اقتسارك : قهرك .

مَلِـك تجَـرَّد للجِهـاد بنَفْسِهِ فعـدُوُّه أبـداً بـه مَقْهـورُ
يا مَـن يُريد رِضا الإله بسَعْيِهِ واللهُ لا يَخْفـى عليـه ضَميرُ
لا نُصْحَ ينفَع مَـنْ يغُشُّ إمامَه والنُّصْحُ مـن نُصَحائِهِ مَشْكورُ
نُصْحُ الإمام على الأنامِ فَرِيضَةٌ ولأهلِـه كفَّـارَةٌ وطَهُورُ

قال : فلمّا أنشده ، قال الرشيد : أو قد فَعَل ! وعلم أنَّ الوُزراء احتالُوا في إعلامِه ذلك فغزاه في بقيَّة من الثلج ، فافتتح هِرقلة في ذلك الوقت ، فقال أبو العَتاهية في فَتْحه إيّاها[1] : [من الوافر]

ألا نادَت هِرَقلـةُ بالخرابِ مـن المَلِكِ المُوَفَّق للصَّوابِ
غَـدا هارونُ يُرعِـدُ بالمَنايا ويُـبرِق بالمُذَكَّـرَةِ القِضابِ
وراياتٍ يَحُـلُّ النَّصرُ فيهـا تمرُّ كأنَّهـا قِطَـعُ السَّحابِ
أميرَ المؤمنينَ ظَفِـرتَ فاسْلَمْ وأبشِر بالغَنيمـةِ والإيـابِ

قال محمد : وجعلَ الرشيدُ قبل وصوله إلى هِرَقْلَةَ يفتح المدنَ والحصونَ ويخَرِّبها ، حتى أناخَ على هِرَقْلَةَ وهي أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعه ركناً ؛ فتحصَّن أهلُها ، وكان بابها يطلّ على وادٍ ، ولها خندق يطيف بها . فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازمي الثُّغور يقال له عليّ بن عبد الله ، قال : حدَّثني جماعة أنّ الرشيدَ لمّا حَصَرَ أهلَ هِرَقْلَةَ وغمّهم وألَحَّ بالمجانيقِ والسِّهام والعرَّادات[2] فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرّجال قد خرج في أكمل السلاح ، فنادى : قد طالَت مُواقعتكم إيّانا فليبْرُز إليّ منكم رجلان ، ثم لَم يَزَل يزيد حتى بَلَغ عشرين رجلاً ، فلم يُجِبه أحد . فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلاّ بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدمَه وغِلمانه على تركهم إنباهَه ، وتأسّف لفَوْته ، فقيل له : إنّ امتناعَ الناس منه سيغْويه ويُطْغيه ، وأحْرِ به أن يخرُج في غَدٍ فيطلُب مثلَ ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلَتُه وأصبح كالمُنْتَظِر له ، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتِح وخَرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنّه يَثْبُت لعشرين منهم ، فقال الرشيد : مَن له ؟ فابتدَرَه جلَّة القُوَّاد كهَرْثَمة ، ويزيدَ بن مَزْيد . وعبدِالله بن مالك ، وخُزَيْمة بن حازم ، وأخيه عبد الله ، وداود بن يَزيد ، وأخيه ، فعَزَم على إخراجِ بعضهم ، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجَهم ، فأذِن لعشرين منهم ، فاستأذَنوه في المشورة فأذِن لهم ، فقال قائلهم : يا أميرَ المؤمنين ، قُوّادُك مشهورون بالبأس والنَّجدة وعُلُوّ الصوت

1 ديوان أبي العتاهية : 491–493 .
2 العرادات : المجانيق الصغار .

ومُداوسَة[1] الحروب ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العِلْج كانت وَضيعة على العسكر عجيبة وثُلمَة لا تُسَدّ ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منّا صوت إلاّ كما يَصْلُح للعامَّة ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّينا نختارُ رجلاً فنخرجه إليه ، فإنْ ظَفِرَ عَلِمَ أهلُ الحِصْن أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يدِ رجلٍ من العامَّة ، ومن أفناء الناس ليس مِمَّن يُوهِن قتلُه ولا يُؤَثِّر ، وإن قُتِل الرجل فإنّما استُشْهِد رجلٌ ولم يؤثِّر ذهابه في العسكر ولم يُثْلِمه ، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضي اللهُ ما شاء . قال الرشيد : قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا . فاختاروا رجلاً منهم يُعرَف بابن الجزريّ ، وكان معروفاً في الثّغْر بالبأس والنجدة ؛ فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستَعِين الله ، فقال : أعطُوه فَرَساً ورُمْحاً وسيفاً وتُرْساً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسي أُوثَق ، ورُمْحي بيدي أشدّ ، ولكني قد قَبِلت السيفَ والتُّرس . فلبِس سلاحه وأستَدْناه الرشيد فودَّعه ، واستتْبَعَه الدُّعاء ، وخرج معه عشرون رجلاً من المُطَّوِّعة ، فلمّا انقَضّ في الوادي قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً : إنّما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتُم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرُج إليك منّا إلاّ رجلٌ واحد ، فلمّا فُصل منهم ابنُ الجزريّ تأمَّله الرُّوميّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمَّلُونَ صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنُّوا أنّه لم يَبْقَ في الحِصن أحدٌ إلاّ أشرف ؛ فقال الرّوميّ : أتصدُقُني ، عمّا أستخبِرُك ؟ قال : نعم ، فقال : أنتَ بالله ابن الجزريّ ؟ قال : اللهم نعم . فكفَّر له[2] ، ثم أخَذا في شأنهما فاطَّعَنا حتى طالَ الأمرُ بينهما ، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه ، ثم تحاجزا بشيء ، فَزَجَّ كلٌّ واحدٍ منهما برمحه ، وأَصْلَت سيفه ، فتجالدا مَلِيّاً ، واشتدَّ الحرّ عليهما ، وتبلَّد الفَرَسان ، وجَعل ابن الجزريّ يَضْرِب الرُّوميّ الضربة التي يَرى أنّه قد بلغ فيها فيَتَّقيها الروميُّ ، وكان تُرسُه حديداً ؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر ، ويضربه الرُّوميّ ضرب مُعَذّر[3] ؛ لأنّ تُرْس ابن الجزريّ كان دَرَقَةً ، فكان العِلْج يخاف أن يَعَضّ بالسَّيْف فيعطب ، فلمّا يُئِس من وصول كلّ واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزريّ ؛ فدخلت المسلمين كآبةٌ لم يكتئبوا مثلها قطّ ، وعَطْعَطَ[4] المشرِكون اختِيالاً وتطاوُلاً ، وإنّما كانت هزيمتُه حيلةً منه ؛ فأتبعه العِلْج ، وتمكَّن منه ابن الجزريّ فرماه بوَهَق[5]

---

1 مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها .

2 كفَّر له : وضع يده على صدره وطأطأ رأسه تعظيماً له .

3 المعذر : المبالغ في العذر .

4 العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

5 الوهق : حبل فيه أنشوطة .

فوقع في عُنقه وما أخطأه ، وركض فاستلّه عن فرسه ، ثم عَطَف عليه فما وصل إلى الأرض حيّاً حتى فارقه رأسُه . فكبَّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشرِكون وبادروا الباب يُغلِقونه ، واتَّصل الخبر بالرشيد فصاح بالقُوَّاد : اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع ؛ ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور ، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة ، وقد تصدَّع فتهافتت . فلمّا أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأمِنين ومستقبِلين ، فقال الشاعر المَكّيّ الذي كان ينزل جُدّة : [من البسيط]

صوت

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً حوائماً تَرتَمـي بالنِّفط والنَّارِ
كأنَّ نيرانَنـا في جَنْب قَلْعَتِهِم مُصَبَّغـاتٌ على أَرْسانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر .

[زهد في القيادة]

قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف ليِّن ، ولكنَّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت ، وغنَّى فيه المُغنّون بعد ذلك . وأعظم الرَّشيدُ الجائزةَ للجُدّيّ الشاعر ، وصُبَّت الأموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد ، فلم يقبل التّقويد إلاّ بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعفى ويُنزل بمكانه من الثَّغْر ، فلم يزل به طول عمره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن عليّ بن أبي نَعِيم المَرْوَزيّ قال : خرج الرشيد غازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقْلَة ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه : [من البسيط]

هوَت هرَقْلَة لمَّا أَنْ رأت عَجَباً حوائِمـاً ترتَمي بالنفط والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيءَ بها ، فظنَّ أنّ الطاغية قد أتاه ، فخرج يركُض على فرس له وفي يده الرُّمح ، وتَبِعه الناس ، فلمّا تبيَّن له أنـّها ماشية رَجَعوا ، فغنّاه ابنُ جامع : [من الطويل]

صوت

رأى في السَّما رَهْجا فيَمّم نحوَه يجرُّ رُدَيْنِيًّا وللرَّهْجِ يَسْتَقْري[1]
تناولتَ أَطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ كأنَّك فيها تَقْتفي أَثَر الخِضْرِ

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذْل وابن المكّي .

---

1 الرهج : الغبار أو ما أثير منه والسحاب بلا ماء .

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ ، قال : حدَّثني الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيديُّ ، عن إسحاق المَوْصِليّ ، قال : لمّا انصرفَ الرشيد من غزاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّة في آخر شهر رمضان ، فلمّا عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أشْجع ، فبَدَرهم وأنشأ يقول[1] : [من البسيط]

لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْويهـا ... تَمْضي بِها لكَ أيّـام وتَثْنِيها
مُستَقبِلاً زِينةَ الدُّنيا وبَهْجَتها ... أيّامنا لـك لا تَفْنى وتُفْنِيها[2]
ولا تَقضَّت بك الدُّنيا ولا بَرحَت ... يَطوي لك الدَّهرُ أيّاماً وتَطويها
ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيّام مُقبِلَـةٌ ... إليكَ بالنصر مَعْقوداً نواصيها
أمسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوي من جوانِبها ... وناصرُ اللهِ والإسلامِ يَـرْمِيها[3]
مُلِّكْتَها وقَتلـتَ النّاكِثينَ بها ... بنَصرِ مَنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها
ما رُوعِيَ الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم ... بمِثْلِ هـارُون راعِيـهِ وراعِيها

قال : فأمر له بألف دينار ، وقال : لا يُنشدني أحدٌ بعده ، فقال أشجع : واللهِ لأَمرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدي أحبُّ إليَّ من صِلته .

حدَّثني أحمدُ بنُ وصيف ، ومحمدُ بنُ يَحْيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى ابن حمّاد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو الورّاق ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن منصور بنِ زياد عن أبيه ، قال : دخل أشْجَعُ على الرشيد ثاني يوم الفِطر فأنشده[4] : [من السريع]

صوت

استَقْبِل العيـدَ بعُمْـرٍ جَدِيد ... مَـدَّت لك الأيَّامُ حبْلَ الخُلودِ
مُصَعِّدا في دَرَجـاتِ العُـلا ... نجْمُك مَقرونٌ بِسَعْد السُّعودِ
واطْـوِ رداءَ الشَّمس ما أُطلعَتْ ... نُـوراً جدِيداً كلَّ يـوم جَدِيدِ

---

1 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 80–81 وديوانه : 268–269 .

2 الأوراق :

مستقبلاً بهجـة الدنيا ولذتها ... أيّامها لـك نظـم في لياليهـا
العيـد والعيـد والأيـام بينهمـا ... موصولة لـك لا تفنى وتفنيها

والبيتان في الشعر والشعراء : 761 مع اختلاف في اللفظ .

3 الأوراق :

أمست هرقلة مكلوماً جوانبها ... وناصر الدين بالتدبير يرميهـا

4 ديوانه : 203 .

تَمضي لكَ الأيّــامُ ذا غِبْطة إذا أتى عِيدٌ طَوى عُمــرَ عِيدِ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُغنّى في هذه الأبيات .

[فتح طبرستان]

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى بن حَمَّاد ، قال : حدَّثني أبو عبدِ الله النَّخَعيّ ، قال : دخلَ أشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله[1] : [من المتقارب]

أبَــتْ طَبَرِسْتـانُ غيرَ الذي صَدَعْتَ بــه بــين أعضائِها

ضَمَمْــتَ مَناكِبَهـا ضَمَّــةً رمَتْكَ بمـا بـين أحشائِها

سَمَوْتَ إليهـا بمِثْـلِ السَّماء تَدَلَّــى الصَّواعِــقُ في مائِها

فلمّــا نظــرتَ إلى جُرحِها وضَعْــتَ الدَّواءَ علَى دائِها

فرَشْت الجهادَ ظُهورَ الجِياد بأبنائِــــهِ وبــــأبنائها

بنَفْسِك تَرمِيهــمُ والخُيــولُ كَرْمــي العُقــابِ بأفْلائِها[2]

نظـرتَ برأيــك لَمّا همــ ــتَ دُونَ الرِّجــالِ وآرائهـا

قال : فأمر له بألف دينار .

[يمن جلب الغيث]

أخبرني محمد بنُ جعفر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُوسى ، قال : حدَّثني أبو عَمرو الباهِليُّ البصريُّ قال : دخل أشجَعُ بنُ عمرو السُّلَميّ على هارون الرشيد حين قدِم من الحَجّ ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه ، فأنشَده يقول[3] : [من الخفيف]

إنَّ يُمْــنَ الإمــام لَمّا أتانا جَلَبَ الغَيْثَ من مُتونِ الغمامِ

فابْتِسامُ النَّباتِ في أثر الغَيــ ــثِ بنُوَّاره كسُرجِ الظَّلامِ[4]

مَلِكٌ مــن مَخافة الله مُغْضٍ وهو مُغضًى لــه من الإعظامِ

ألِف الحَجَّ والجِهادَ فما يَنْـ ـفَكُّ من سَفْرَتَيْن في كُلِّ عامِ

سَفَرٍ للجهــادِ نحــو عَــدُوٍّ والمطايـا لسَفْــرَةِ الإحرامِ

1 ديوانه : 187 .

2 أفلاء : جمع فلاة .

3 ديوانه : 261 .

4 سُرُج : جمع سراج .

طَلَبَ اللهَ فهــو يَسْعــى إليه ... بالمَطايـــا وبالجِيـــادِ السَّوامي

فيَـــداهُ يَــدٌ بمَكَّــة تدْعــو ... هُ وأُخرى في دَعْوَةِ الإسلامِ[1]

[يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر ، قال : حدَّثني محمد بنِ موسى بن حمّاد قال : أخبرني أبو عبد الله النَّخَعيّ ، قال : أمرَ الرشيدُ بحفر نهر لبعض أهل السَّوادِ ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه ، فقال أشْجَع السُّلَميّ يمدحه[2] : [من مخلّع البسيط]

أجرى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْراً ... عــاش بعُمرانِــه المَواتُ[3]

جــادَ عليــهِ بريــقِ فيهِ ... وسِرّ مَكْنُونــه الفُــراتُ[4]

أَلْقَمَــــــه دِرَّة لَقُوحــاً ... يَرْضَع أخْلافَهــا النَّباتُ[5]

[رؤيا الرشيد]

أخبرني جَحْظة ، قال : حدَّثني مَيْمُون بن هارون قال : رأى الرشيدُ فيما يَرى النائِم كأنّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كَفَّ تُراب ثم قالت له : هذه تُرْبَتُك عن قليل ، فأصبحَ فَزِعاً ، وقَصَّ رُؤْياه ، فقال له أصحابه ، وما هذا ؟ قد يرى النّاس أكثرَ ممّا رأيتَ وأغْلَظ ثم لا يضرّ . فركب وقال : والله إنّي لأرى الأمرَ قد قَرُب ، فَبَيْنا هو يَسير إذا نَظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبّاك حديد تَنْظر إليه ؛ فقال : هذه واللهِ المرأة التي رأيتُها ، ولو رأيتها بين ألف امرأةٍ ما خَفِيتْ عليّ ؛ ثمّ أمرها أن تأخذَ كَفَّ تُراب فتَدْفَعُه إليه ، فضربَتْ بيدِها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كَفَّ تُراب . فبكى ثم قال : هذه واللهِ التُّربةُ التي أُرِيتُها ، وهذه المرأةُ بعَيْنها . ثم مات بعد مُدَّة ، فدُفِن في ذلك المَوْضِع بعَيْنِه ، اشتُري له ودُفِن فيه ، وأُتي نعيُه بغداد ، فقال أشجَعُ يرثيه[6] : [من مجزوء الرمل]

غَرَبت بالمَشْرِقِ الشَّمْــــ ... ـسُ فقــل للعين تَدْمَعْ

مــا رأينا قَــطُّ شمساً ... غَرَبت من حَيْثُ تَطْلَعْ

1 ل : غزوة الاسلام.

2 الأبيات في أوراق الصولي : 86 وديوانه : 193 .

3 الأوراق : باجرائه .

4 الأوراق : وسر مضمونه . . .

5 الأوراق : ألقحه درة . . .

6 ديوانه : 274 ونسبهما ابن المعتز وابن قتيبة لأبي الشيص .

[يحبّ الجارية ويبغض مولاها]

أُخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أُبي سعْد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : كان حربُ بن عمرو الثَّقفيُّ نخّاساً ، وكانت له جارية مُغَنِّية ، وكان الشعراء والكُتّاب وأهلُ الأدبِ ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، ويُنْفِقُون في منزله النَّفقاتِ الواسعة ، ويبرُّونه ويُهدُون إليه ، فقال أشْجَع[1] : [من السريع]

جارِيَــةٌ تهتَــزُّ أَرادفُهــا مُشْبَعَــةُ الخَلْخَــال والقُلْبِ
أَشكُو الذي لاقَيتُ من حُبِّها وبُغْـضِ مَوْلاهــا إلى الرَّبِّ
من بُغْض مولاها ومِــن حُبِّها سَقِمتُ بَـين البُغْضِ والحُبِّ[2]
فاخْتَلَجا في الصدرِ حتى استَوى أَمرُهمــا فــاقْتَسَما قَلْبــي
تَعَجَّــل اللهُ شِفائــي بهــا وعَجَّــل السُّقْــم إلى حَرْبِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : فأَخذَ هذا المعنى بعضُ المُحْدَثين من أَهل عصرنا ، فقال في مُغَنِّية تُعرَف بالشّاة : [من مجزوء الوافر]

بِحُبِّ الشّاةِ ذُبتُ ضَنًى وطــال لزوجهــا مَقْتي
فلــو أَنّــي مَلَكْتهُمــا لأُسْعِدَ في الهَوى بَخْتِي
فأُدخِل في استها أَيْري ولِحْيَة زَوْجهــا في استِي

[صلاح لأهل الدِّين والدُّنيا]

أُخبرني أَبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : اعتلّ يحيى بنُ خالدٍ ثم عُوفي ، فدخل النّاسُ يهنّئونه بالسَّلامة ، ودخل أشجَع فأَنْشدَه[3] : [من الوافر]

لقَــد قَرعتْ شَكاةُ أَبي عَليٍّ قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صحاحا
فإن يَدْفَــع لنــا الرَّحمنُ عنه صُروفَ الدَّهرِ والأَجلَ المُتاحا
فقَــد أَمسى صَلاحُ أَبي عَليٍّ لأَهلِ الدِّينِ والدُّنيا صَلاحا[4]

---

1 الأبيات عدا الأخير في أوراق الصولي : 136 وديوانه : 191 .
2 الأوراق : بقيتُ بدل سقمتُ .
3 الأبيات في أوراق الصولي : 80 والشعر والشعراء : 759 وديوانه : 201 .
4 الشعر والشعراء : لأهل الأرض كلهم صلاحا .

إذا مـا المَـوْتُ أخطأَهُ فلَسنا　　نُبالي الموتَ حيث غَدا وراحا

[إذا مرض القاضي مرضنا]

قال : فما أذِن يومئذٍ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البَرامكة إيّاه .

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضبّيُّ ، قال : سمعتُ محمد بنَ أبي مالك الغَنَويّ يقول : دخلَ أُشجَعُ السُّلَميّ على علِيّ بن شُبرُمة يعودُه ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

إذا مَرِض القاضي مَرِضْنا بأسرِنا　　وإن صَحَّ لم يُسمَع لنا بِمَريضِ
فأصبحتُ ، لمّا اعتلَّ يوماً ، كَطائِرٍ　　سَما بجَنـاحٍ للنهـوضِ مَهيضِ

قال : فشكره ابنُ شُبْرُمَة وحَمَله على بغلة كانت له .

[هجاء أبان بن الوليد]

أخبرني الحسنُ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عِمران ، قال : سَمِعت محمد بن أبي مالِك يقول : جاء أشجَعُ لِيَدْخُل على أبان بنِ الوليد البَجَليّ ، فمنعه حاجِبُه ، وانتهره غِلمانه ، فقال فيه[2] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُشْلي عـليّ كِلابَـه　　وَلي ، غير أنْ لم أُشْلِهِنّ ، كِلابُ[3]
رُويدَك لا تَعْجَلْ عليَّ فقد جرى　　بخِزيك ظبيٌّ أعْضَبٌ وغُرابُ
علامَ تَسُدّ البابَ والسِّرُّ قد فَشا　　وقد كنتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ
فلو كُنتُ مِمَّن يَشْرَب الخَمرَ سادِراً　　إذاً لم يَكُن دُوني عليك حِجابُ
ولكنَّه يَمْضي ليَ الحول كامِـلاً　　وما لِـيَ إلاّ الأبْيَضَيْنِ شَرابُ[4]
من الماء أو من شَخْبِ دَهْماءِ ثَرَّةٍ　　لهـا حالبٌ لا يَشْتَكِي وحِلابُ[5]

[الاتعاظ بقبري النديمين]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثنا عليُّ بن الجَهْم قال : حدَّثني ابنُ أشجع السُّلميّ ، قال : لمّا مرَّ أبي وعمّايَ أحمدُ ويزيدُ ، وقد شَرِبوا

1 ديوانه : 234 . (عن الأغاني) .
2 ديوانه : 189 (عن الأغاني) .
3 المشلي : المغري .
4 الأبيضان : اللبن والماء .
5 الدهماء : الخالصة الحمرة .

حتى انتشَوْا ، بقبر الوليد بنِ عُقْبة وإلى جانبه قبرُ أبي زَبيد الطَّائي ، وكان نصرانيّاً ، والقَبْران مُختلفان كلٌّ واحدٍ منهما مُتوَجِّه إلى قِبْلَة مِلَّتِه ، وكان أبو زَبيد أوصى لمَّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب الوليد بالبليخ قال : فوقفوا على القَبْرين ، وجعلوا يتحدَّثون بأخبارِهما ويتذاكرون أحاديثَهما ، فأنشأ أبي يقول[1] : [من الوافر]

مَــررتُ على عِظامِ أبي زَبيدٍ ... وقــد لاحَــت ببَلْقَعَةٍ صَلُودِ
وكان لــه الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنــادم قَبــرُه قَبْــرَ الوَليدِ
أنِيسا أُلفَــةٍ ذهَبَــت فأَمْسَتْ ... عظامُهُمــا تَــآنس بالصَّعيدِ
ومــا أَدْري بمَنْ تبــدا المَنايا ... بأَحْمَــدَ أو بأَشْجَــع أو يَزيدِ

قال : فماتُوا والله كما رتَّبَهُم في الشِّعر ، أوَّلُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزيد .

صوت[2]

[من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَه أن يَعودا ... إنَّ بــالبابِ حــارِسِينَ قُعودا
مــن أَساوِيرَ مــا يَنُون قِياماً ... وخلاخيــلَ تُذهِــل المَوْلُودا
لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـ ... ـح مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مخافةَ المَوْت ضَيْماً ... والمنايــا يَرْصُدْنَني أَنْ أَحِيدا[3]

الشِّعر ليزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ ، والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر أحمد بن المكّيّ أنّه لأبي يحيى ، وذكر الهِشاميُّ انّه لفليح . قال : ومن هذا الصوت سُرِق لحن :

تِلْــكَ عِرْسي تَلُومُنــي في التَّصابي

1 ديوانه : 204 .
2 ديوان ابن مفرغ : 100-103 .
3 الشعر والشعراء : يوم أعطي من المخافة ضيماً .

[391] ـ أخبار ابن مفرغ ونسبه[1]

هو يزيد بنُ ربيعة بن مُفَرِّغ[2] ، ولُقِّبَ جدُّه مُفَرِّغاً لأنّه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشْرَبه كلّه فشَرِبه كلّه حتى فرّغه ، فلُقِّب مُفرِّغاً ، ويُكنى أبا عثمان ، وهو من حِمْير فيما يزعم أهلُه ، وذكَرَ ابنُ الكلبيّ وأبو عُبيدة أنّ مُفَرِّغاً كان شعّاباً بتبالة[3] ، فادّعى أنّه من حِمْير . وقال عليّ بن محمد النّوْفليّ : ليس أحدٌ بالبصرة من حِمير إلاّ آل الحجّاج بن ناب الحِمْيريّ وبيتاً آخر ذكره ، ودفعَ بيتَ ابن مُفَرِّغ .

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان ، قال : أخبرني أحمدُ بن الهيثم القُرشيّ قال : أخبرني العُمريّ ، عن لَقيط بنِ بكر[4] المحاربيّ ، قال : هو يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ حليفُ قُرَيْش ، ثم حليف آل خالِد بن أسيد بن أبي العِيص ، بن أُميّة بن عبد شمس . قال العُمَريّ : وكان ابن المكّي يقول : كان مُفَرِّغ عبداً للضّحاك بن عبد عوف الهلاليّ فأنعَمَ عليه .

قال محمد بنُ خَلَف : أخبرني محمد بنُ عبد الرّحمن الأسديّ ، عن محمد بن رزين ، قال : قال الأخفش : كان ربيعة بنُ مُفَرِّغ شَعّاباً بالمدينة وكان يُنْسب إلى حِمير ، وإنّما سُمّي مُفرّغاً لتَفْريغِه العُسّ وكان شاعراً غَزِلاً محسناً ، والسيِّدُ[5] من ولده .

أخبرني محمد بن خَلَف بنِ المرزُبان ، قال : حدّثني أبو العَيْناء قال : سُئِل الأصمعيّ عن شعر

---

1 ترجمة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في طبقات ابن سلام : 686-693 والشعر والشعراء : 276-280 ومعجم الأدباء (عباس) 2837-2838 وأمالي الزجاجي : 229 وأنساب الأشراف 1/4 : 374 وتاريخ الطبري 2 : 161 والاكليل 2 : 266 وجمهرة أنساب العرب : 436 وابن خلكان 6 : 342 وسير الذهبي 3 : 522 والبداية والنهاية 8 : 295 ، 314 وخزانة البغدادي 4 : 325-335 وانظر 6 : 43-45 . وقد جمع شعره ثلاث مرات : مرة على يد شارل بيلا ومرة على يد د . داود سلوم والثالثة على يد د . عبد القدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1975) وفي هذه تخريج وافٍ مع استقصاء لمختلف القراءات في مختلف المصادر . ولذلك نكتفي بالإحالة عليها .

2 في معجم الأدباء : يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ . وقال ابن خلكان إنّ أكثر العلماء يسقطون زياداً .

3 الشّعاب : الذي يصلح الصدوع . وتبالة : موضع باليمن . وذكر ابن خلكان أن مفرغاً كان حداداً .

4 ل : بكير وكذا سيأتي فيما بعد .

5 يقصد السيد الحميري .

تُبَّع وقِصتّه ومَنْ وضعهما : فقال : ابن مُفرِّغ ؛ وذلك أنَّ يزيدَ بن معاوية لمَّا سيّره إلى الشّام وتخلّصه من عبّاد بن زياد أنزلَه الجزيرةَ ، وكان مُقيماً برأس عَيْن ، وزعم أنّه من حِمْير ، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره ، وكان النَّمِر بن قاسِط يدَّعي أنّه منهم .

وقال الهيْثَم بن عَديّ : هو يزيدُ بن زِياد بن ربيعة بن مُفرِّغ اليَحْصُبيّ ، من حِمْير ، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَديّ بن مالِك بنِ زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حِمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان .

أخبرني بِخَبره جماعة من مشايخنا ، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوْهريّ ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المرْزُبان ، عن جماعة من أصحابه ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عليّ بن محمد النّوفليّ ، عن أبيه ، فما اتّفقتْ رواياتُهم من خبره جمعْتُها في ذِكره ، وما اختلفت أفردْتُ كلَّ مُنْفرد منهم بروايتِه .

[عباد بن زياد طرف ملول]

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة ، عن مَسْلمة بن مُحارب ، وأخبرني الجوهريّ قال : حَدَّثنا عُمر بن شبّة ، وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : قرأتُ على محمد بنِ الحسنِ بن دُريد عن ابن الأعرابيّ ، وأخبرني محمد بنُ خَلَف بن المرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن لقيط بنِ بكير ، قالوا جميعاً : لمَّا وليَ سعيدُ بن عُثمان بن عفّان خُراسان ، استَصْحب يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، واجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أما إذْ أبيتَ أن تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ ما أُوصيك به : إنّ عبّاداً رجل لئيم ، فإيّاك والدّالّة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه فإنّها خِدْعة منه لك عن نفسِك ، وأقلِلْ زيارته ، فإنّه طَرِفٌ[1] ملول ، ولا تفاخِره وإن فاخرَك ، فإنّه لا يحْتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثمّ دعا سعيد بمالٍ فدفعه إلى ابن مُفرِّغ ، وقال : استعِنْ به على سفرِك ، فإن صلح لك مكانُك من عبّاد وإلاّ فمكانُك عندي مُمهَّدٌ فائتِني ؛ ثم سار سعيد إلى خراسان ، وتخلّف ابنُ مفرِّغ عنه ، وخرَج مع عبّاد .

قال ابن دُريد في خبره ، عن مَسلمة بن مُحارب : فلمّا بلغَ عُبَيْدَ الله بن زياد صُحْبةُ ابنِ مُفرِّغ أخاه عبّاداً شَقَّ عليه ، فلمّا سار أخوه عبَّادٌ شيَّعه وشيَّع الناسُ معه ، وجعلوا يودِّعونه ويودِّع الخارجون مع عبّاد عُبيْدُ الله بن زياد ، فلمّا أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرِّغ ، فقال لـه : إنّك سألت عبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك ، وقد شقَّ عليّ . فقال له ابن

1 الطرف : من لا يثبت على امرأة أو صاحب .

مُفَرِّغ : ولِمَ أصلَحَك الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنِع بعضَهم من بعض ، لأنّه يظنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر في موضع العُذْر ، وإنَّ عبّاداً يقدَم على أرض حرب فيشتغل بحُرُوبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتُكسِبنا شرّاً وعاراً ، فقال له : لست كما ظنَّ الأمير ، وإنّ لِمَعْروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإنَّ عندي ، إن أغْفَل أمري ، عذراً مُمهَّداً . قال : لا ، ولكن تَضْمَن لي إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه ألاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إليَّ ؛ قال : نعم ؛ قال : امضِ إذاً على الطائرِ الميمُون . قال : فقدِم عبّادٌ خُراسان ، واشتغل بحَرْبه وخَراجه ، فاستبطأه ابنُ مُفرِّغ ولم يكتب إلى عُبيد الله بن زياد يشكوه كما ضَمِنَ له ، ولكنّه بسط لسانه فذَمَّه وهجاه .

[ليت اللحى كانت حشيشاً]

وكان عبّادٌ عظيمَ اللِّحْية كأنها جُوالَق ، فسار يَزيدُ بنُ مُفرِّغ ، يوماً مع عبّاد ، فدخلت الريح فنَفَشَتْها ، فضحِك ابنُ مُفرِّغ ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله[1] : [من الوافر]

ألا لَيْتَ اللِّحى كانت حَشِيشاً فنَعْلِفَهـــا خُيـــولَ المُسْلِمِينا

فسعى به اللَّخْميُّ إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا يَجمُل بي عقوبتُه في هذه الساعة مع الصحبة لي ، وما أُؤخرِّها إلاّ لأشفيَ نفسي منه ، لأنّه كان يقوم فيَشْتُم أبي في عدَّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابن مُفرِّغ فقال : إنِّي لأجِدُ رِيحَ الموتِ من عبّاد .

[يستأذن عباداً في الرجوع]

ثم دخل عليه فقال له : أيُّها الأمير ، إنّي كنتُ مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغَك رأيُه فيّ ، ورأيتَ جميلَ أثرِه عليّ ، وإنّي اخترْتك عليه ، فلم أحْظَ[2] منك بطائلٍ ، وأُريدُ أن تأذَن لي في الرُّجوع ، فلا حاجةَ لي في صُحْبَتك . فقال له : أمّا اختيارك إيّاي فإنّي اخترْتُك كما اخترتني ، واستصحَبْتُك حين سألتني ، وقد أعجلتَني عن بلوغ محبَّتي فيك ، وقد طلبتَ الإذْن لترجعَ إلى قومك ، فتَفْضحني فيهم ، وأنتَ على الإذن قادر بعد أن أقضي حقَّك ، فأقام . وبلغ عبّاداً أنّه يسبُّه ويذكُره وينال من عِرْضه ، وأجرى عبّاد الخيل فجاء سابقاً ، فقال ابن مُفرِّغ :

سَبَق عبّـادٌ وصَلَّـت لِحْيَتُهْ[3]

[بيع غلامه بُرد وجاريته الأراكة]

وطلب عليه العِلَل ، ودَسَّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا ،

---

1 ديوانه : 225 .

2 ل : أحل .

3 المصلي : الذي يجيء تالياً في السباق . وتتمة الرجز : وكان خرازاً تجود قربته

فحبَسه وأَضرَّ به ؛ فبعث إليه أَنْ بِعْني الأَراكةَ وبُرْداً ، وكانت الأَراكة قَيْنَةً لابن مُفرِّغ ، وبُرْدٌ غُلامَه ، ربَّاهُما وكان شديدَ الضَّنِّ بهما . فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسول : أَيبيعُ المرءُ نفسَه أَو وَلَدَه ؟ فأَضرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه . هذه رواية مسلمة .

وأمَّا لَقيط وعمرُ بن شبَّة فإنّهما ذكرا أنّه باعهما عليه ، فاشتراهما رجلٌ من أَهل خُراسان . قال لقِيط : فلمّا دخلا منزِلَه قال له بُرْد ، وكان داهيةً أَريباً : أَتدْرِي ما اشترَيْت ؟ قال : نعم ، اشتريْتُك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشترَيْتَ إلاّ العارَ والدَّمارَ والفضيحةَ أبداً ما حَييت . فجَزِع الرجلُ وقال له : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : نحن ليزيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفرِّغ ؛ والله ما أَصارَه إلى هذه الحال إلاّ لِسانُه وشرُّه ، أَفتراه يهجو ابنَ زِياد ، وهو أميرُ خُراسان ، وأخوه أمير العِراقَيْن ، وعمُّه الخليفة ، في أن استَبْطأه ويُمْسِك عنك ، وقد ابتَعْتَني وابتَعْتَ هذه الجارية وهي نفسُه التي بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أَشأَمَ على نفسه وأَهله ممّا أَدخلتَهُ منزِلك . فقال : فاشْهدْ أنَّك وإيّاها له ، فإن شِئْتُما أَن تمضِيا إليه فامْضِيا ، على أنّي أخافُ على نَفْسي إنْ بَلَغَ ذلك ابن زياد ، وإن شِئْتُما أَن تكونا له عِندي فافعلا . قال : فاكتب إليه بذلك . فكتَب الرجلُ إلى ابن مُفرِّغ في الحَبْس بما فَعَله ، فكتب إليه يَشْكُر فِعلَه ، وسأَله أن يكونا عنده حتى يُفرِّج اللهُ عنه .

قال : وقال عبّاد لحاجبه : ما أَرى هذا ، يعني ابن مُفَرِّغ ، يُبالي بالمُقام في الحَبْس ، فَبِعْ فرسَه وسلاحَه وأَثاثه ، واقسِم ثمنها بين غُرمائه ، ففعل ذلك وقسَم الثَّمَن بينهم ، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حَبَسه بها . فقال ابنُ مُفَرِّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَته الأَراكةَ وبَيْعَهما[1] : [من البسيط]

شَرِيتَ بُـرداً ولو مُلِّكتُ صَفْقَتَه ... لَمــا تطلَّبتُ في بَيْعٍ لــه رَشَدا

لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعَرَّض لي ... مــن الحوادِثِ مــا فارقتُه أَبَدا

يا بُــردُ مــا مَسَّنا بَرْدٌ أَضَرَّ بِنا ... مــن قَبْل هــذا ولا بِعْنا له وَلَدا

أَمّــا الأَراكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا ... عَيْشاً لَذِيذاً وكانت جَنَّــة رَغَدا

كانــت لنا جَنَّة كُنّا نَعِيشُ بها ... نَغْنى بها إن خَشينا الأَزْلَ والنَّكَدا[2]

يا لَيْتَني قبل مــا نابَ الزَّمانُ به ... أَهلي لقيت على عُدْوانِــه الأَسَدا

قد خانَنا زَمَــنٌ لم نَخْشَ عَثْرتَه ... مَنْ يأْمَن اليومَ أَم مَنْ ذا يَعِيش غَدا !

1 ديوانه : 96–99 .

2 الأزل : الضيق والشدة . والنكد : الشدة والعسر .

لامَتْنيَ النَّفْسُ في بُـرْد فقلت لها ... لا تَهْلَكي إثْرَ بُـرْدٍ هكَذا كَمَدا
كَمْ مِـن نَعِيمٍ أصَبْنا من لذاذَتِهِ ... قُلْنا لـه إذ تولّـى ليتَـه خَلَدا

[هربه إلى البصرة]

قالوا : وعَلِم ابن مُفَرِّغ أنّه إن أقام على ذَمِّ عبّاد وهجائه وهو في مَحْبسه زاد نفسَه شرّاً ؛ فكان يقولُ للنّاس إذا سألوه عن حَبْسِه ما سببُه ؟ : رجل أدَّبه أميرُه ليُقَوِّم من أوَده ، أو يكُفَّ من غَرْبه ، وهذا لعَمْري خيرٌ من جرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحبه . فلمّا بلغ عبّاداً قولُه رَقَّ له وأخرجه من السِّجن ، فهربَ حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشّامِ وجعل ينتقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولدَه .

وقال المدائنيّ في خبره : لمّا بلَغَ عبَّاداً بن زيادٍ أنَّ ابن المُفرِّغ قال :

سَبَق عَبَّـاد وصَلَّـت لِحْيَتُهْ

[عباد يجبر ابن يزيد على إنشاد شعر في هجاء أبيه]

دعا ابنَه والمجلِسُ حافِلٌ فقال له : أنشِدني هِجاءَ أبيك الذي هُجِيَ به ، فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطٌّ ما كلَّفْتَني ، فأمر غُلاماً له أعْجَميّاً وقال له : قُمْ على رأسِه ، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلاّ فصُبَّ السَّوْطَ على رأسِه أبداً أو يُنْشِده ، فأنشدَه أبياتاً هُجِيَ بها أبوه أوّلها : [من الكامل]

قَبَحَ الإلـهُ ولا يُقبِّح غيره ... وَجْهَ الحمارِ رَبيعةَ بن مُفرِّغِ

وجعل عَبّاد يَتَضاحك به ، فخرج ابنُ ابن مُفَرِّغ من عنده وهو يقول : واللّه لا يذهب شَتْم شيْخي باطلاً ، وقال يهجوه بقوله[1] : [من مجزوء الكامل]

أَصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ ... مِـن بعـدِ أيّـام بِرامَهْ
فـالرِّيحُ تَبكـي شَجْوَها ... والبرقُ يَضْحَك في الغَمامَهْ
لَهَفي على الأمْـرِ الذي ... كانت عواقِبُـه نَـدامَهْ
تَرْكِـي سَعِيداً ذا النَّدى ... والبَيْت تَرْفَعُـه الدِّعامَهْ
فُتِحَتْ سَمَرْقَنْـدٌ لـه ... وبَنـى بعَرْصتِهـا خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْـدَ بَنـي عِلا ... جٍ ، تِلْكَ أشْراطُ القِيامَهْ[2]

1 ديوانه : 207–215 .

2 بنو علاج : بطن من ثقيف .

جـاءت بـــه حَبَشيَّةٌ سَكَّاءُ تحسَبُها نعـامَهْ[1]
وشَرَيْتَ بُـــرْداً لَيْتَني من بَعْد بُـرد كُنْتُ هامَهْ
أو بُومَـةً تدعُـو صَدًى بـين المُشَقَّـرِ واليَمامَهْ
فالهـول يَركَبُـه الفَتى حَـذرَ المَخازِي والسَّآمَهْ
والعَبْـدُ يُقْـرَعُ بالعَصا والحُـرُّ تكْفِيـهِ المَلامَهْ[2]

قال : ثم لَجَّ في هجاء بني زياد حتى تغنّى أهلُ البصرة في أشعاره ، فطلبه عُبَيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام .

واختلفت الرُّواةُ فيمَن ردَّه إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : مُعاوِية ، وقال بعضهم : يزيدُ ، والصحيحُ أنّه يزيد ؛ لأنّ عبَّادَ بن زياد إنّما وَلِي سجِسْتانَ في أيّام يزيد . وقال بعضُهم : بل الذي ولاّه مُعاوِية ، وهو الذي ولّى سعيد بن عثمان خُراسان .

[عتاب معاوية على تولية يزيد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، وعُبيد الله بن محمد الرازيّ قالا : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل سعيدُ بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال : علام جعلتَ يزيدَ وليَّ عهدك دوني ؟ فوالله لأبي خير من أبيه ، وأُمِّي خير من أُمِّه ، وأنا خير منه ، وقد ولَّيناك فما عزلناك ، وبنا نلتَ ما نِلْتَ . فقال له معاوية : أمّا قولك : إنّ أباكَ خير من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ الله ؛ إنّ عُثمان لخير منّي ، وأمّا قولك : إنَّ أُمَّك خير من أُمِّه ، فحسب المرأةِ أن تكونَ في بيت قَومِها وأن يَرْضاها بعلها وأن يَنْجُب ولدُها . وأمّا قولُك : إنَّك خيرٌ من يَزيد ، فوالله يا بنيّ ما يسرُّني أنّ لي بيزيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك . وأمّا قولُك : إنّكم ولَّيتموني فما عزلتموني ، فما ولّيتموني ، وإنّما ولاّني مَن هو خير منكم عُمَر ، فأقْرَرْتُموني ، وما كنتُ بئس الوالي لكم ، لقد قمتُ بثأركم ، وقتلتُ قتَلَةَ أبيكم ، وجعلتُ الأمرَ فيكم ، وأغنيتُ فقيركم ، ورفعتُ الوضيعَ منكم ، فكلَّمه يزيد في أمرِه فولاّه خُراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرِّغ

[فراره هاجياً بني زياد]

قالوا : فلم يَزَل يَنْتَقِل في قُرى الشام ونواحيها ، ويهجو بني زياد ، وأشعارُه فيهم تَرِد البصرة وتنتشر وتبلُغهم . فكتب عُبيد الله بنُ زياد إلى معاوية ، وقال الآخرون : إنّه كتب إلى يزيد وهو

---

1 سكاء : صغيرة الأذنين .

2 المثل «العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة (الملامة)» في مجمع الميداني 2 : 19 .

الصحيح ، يقول له : إنّ ابن مُفَرِّغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طُولَ الدّهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبي سُفيان ، فقذفه بالزنا وسَبَّ ولده ، فهرب من خُراسان إلى البصرة ، وطلَبْتُه حتى لَفَظَتْه الأرض ، فلجأ إلى الشام يتمَضَّغ لحومَنا بها ، ويهتِك أعراضَنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتَنْتَصِف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مُفَرِّغ فيهم .

فأمر يزيد بطلبه ، فجعل ينتقل من بلدٍ إلى بلد ، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لفظَته الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس ، فالتجأ به واستجار ، فقال له الأحنف : إنّي لا أُجير على ابن سُميّة فأُعزَل ، وإنّما يُجير الرجلُ على عشيرته ، فأمّا على سُلْطانه فلا ، فإن شئت أَجَرْتُك من بني سَعْد وشعرائهم ، فلا يَرِيبُكَ أحدٌ منهم . فقال له ابنُ مُفَرِّغ : بأَسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه .

ثم أتى خالد بن عبدِ الله بن خالد بن أَسِيد فاستجار به ، فأبى أن يُجيره ، فأتى عُمَر بن عُبَيْد الله بن مَعْمر فوعده ، وأتى طَلْحَة الطَّلَحات فوعده ، وأتى المُنْذِرَ بن الجارُود العَبْديَّ فأجاره ؛ وكانت بَحْرِيَّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد الله . وكان المنذر من أكرَم النّاس عليه ؛ فاغترّ بذلك وأدلّ بِمَوْضعه منه ، وطلبَه عُبيدُ الله وقد بلَغه ورودُه البصرة ، فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلمّا دَخل عليه بعث عبيدُ الله بالشُّرَط فكبسوا داره . وأتوه بابن مُفرِّغ . فلم يَشعر المنذر إلاّ بابن مُفرِّغ قد أُقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عُبَيْد الله فكلَّمه فيه فقال : أُذكِّرك اللهَ ، أيُّها الأمير ، أن تخفر[1] جواري فإنّي قد أجرتُه . فقال عبيد الله : يا مُنذِر لِيَمدحنَّ أباك وليمدَحنَّك ، ولقد هجاني وهجا أبي ثم تُجيرُه عليّ ؟ لاها الله لا يكونُ ذلك أبداً ، ولا أغفِرُها له . فغَضِب المُنذر ، فقال له : لعلّكَ تُدِلّ بكريمَتك عندي ، إن شئتَ والله لأُبِيننَّها بتطليق ألبتَّة . فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عُبيد الله على ابن مُفرِّغ فقال له : بِئسما صَحِبت به عبّاداً . قال : بِئسما صَحبني به عَبّاد ، اخترتُه على سعيد وأنفقْت على صُحبته كلّ ما أفَدْته وكلّ ما أملكه ، وظننتُ أنّه لا يخلو من عَقْلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش ، فعَدَل عن ظنِّيَ كلّه . ثمَّ عاملني بكلّ قبيح ، وتناوَلني بكلّ مكرُوه ، من حبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب ، فكنتُ كمَن شام بَرْقاً خُلَّباً في سَحابِ جَهام ، فأراق ماءه طمَعاً فيه فماتَ عطشاً ، وما هَرَبتُ من أخيك إلاّ لَمّا خِفْتُ من أنْ يجريَ فيَّ إلى ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدِك ، فشأنك فاصنع بي ما أحبَبت ، فأمر بحبسِه .

[معاوية أو يزيد لا يستبيح قتله]

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأْذَن له في قتله ، فكتب إليه : إيّاكَ وقتْلَه ، ولكن عاقِبْه

---

1 خفر جواره : حفظه وحماه ، وتعني أيضاً حفظ عهده وغدر به .

بما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانَك ، ولا تبلُغ نفسَه ، فإنّ له عشيرةً هي جُندي وبطانتي ، ولا ترْضى بقتلِه منّي ، ولا تَقنع إلاّ بالقوَدِ منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومني ، وأنّك مُرْتَهَن بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحةٌ تشفي من الغَيظ . فورد الكتاب على عُبيد الله بن زياد ، فأمر بابن مُفرِّغ فسُقِيَ نبيذاً حُلواً قد خُلِط معه الشُّبْرُم[1] . فأسهل بطنَه ، وطِيفَ به وهو في تلك الحال ، وقرِن بِهرَّة وخِنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية[2] :

أين چيست ؟ فيقول :

آبَسْتَ نبيذَ اسْت * عُصاراتُ زبيبسْت * سُميّة رُوسْبيد اسْت

وجعل كلّما جرَّ الخنزيرة ضجّت ، فجعَل يقول[3] : [من البسيط]

ضَجَّتْ سُميّة لَمّــا لَــزَّها قَرني ... لا تَجزَعي إنَّ شَرَّ الشّيمة الجَزَعُ

فجَعَل يُطافُ به في أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به . وألَحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . فعرَف ابنُ زياد ذلك ، فقيل : إنّه لما به لا نأمن أن يموت ، فأمر به أن يُغسَل ، ففعلوا ذلك به ، فلمّا اغتسل قال[4] : [من الخفيف]

يَغسل الماءُ مــا فعلتَ وقَوْلي ... راسخٌ منك في العِظام البَواليَ

فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبسِ ، وأمر بأن يُسلَم مِحجماً وقدَّموا له عُلوجاً ، وأمِر بأن يحجمهم ، فكان يأخذُ المشارط فيَقطع بها رقابهم فيتوارَون منه ، فتركه وردّه إلى محبسه ، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له : احْجُمهم ، فقال : [من الطويل]

وما كنتُ حجّاماً ولكن أَحلّني ... بمنزلةِ الحجّام نأْيِي عن الأَهلِ[5]

وقال عُمر بنُ شبّة في خبره : جمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرِّغ ، وكتب به إلى أخيه عُبيْدِ الله وهو يومئذٍ وافدٌ على معاوية ، فكان فيما كتب إليه قوله[6] : [من الوافر]

إذا أَوْدى مُعاويــةُ بنُ حــربٍ ... فبشِّرْ شَعْب قعْبك بانصِداعِ[7]

---

1 الشبرم : نبات له حب مسهل .

2 معنى هذا الكلام بالفارسية : (الأولاد يسألون) ما هذا ؟ (فيجيبهم ابن مفرغ) هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة زبيب ، هذه سميته البغي .

3 ديوانه : 149 وفيه «لما مسها القرن» .

4 ديوانه : 188 .

5 ديوانه : 194 .

6 ديوانه : 156–157 .

7 الشعب : الصدع في الإناء ونحوه . والقعب : القدح الضخم الغليظ .

فأَشْهدُ أَنَّ أُمَّـــك لم تباشر أبــا سُفيـــان واضعَةَ القِناعِ
ولكـــن كان أَمـرٌ فيـــهِ لَبْس على وَجَـــل شَديـدٍ وامتناعِ

وقوله[1] : [من الوافر]

ألا أَبلغْ مُعاويةَ بـنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَـةً مِـن الرَّجل اليَماني
أَتغضبُ أَنْ يُقال أَبـوك عَفٌّ وتَـرْضى أَن يُقال أَبُوك زاني
فأَشهدُ أَنَّ رِحْمَك مِـن زياد كرِحْم الفِيل من وَلَـدِ الأَتانِ
وأَشهـدُ أَنّها ولـــدت زياداً وصخرٌ مـن سُمَيَّةَ غيرُ داني[2]

فدخل عُبَيد الله بنُ زياد على معاوية ، فأَنشده هذه الأشعار ، واستأْذنه في قتله فلم يأْذَن له وقال : أَدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلاً ، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتْلِ ، وذكر باقي الحديث كما ذكره مَن تقدَّم .

قالوا جميعاً : وقال ابنُ مُفرِّغ يَذْكُر جِوار المُنْذِرِ بن الجارود إيَّاه وأَمانه[3] : [من الطويل]

تَركتُ قُرَيْشاً أَن أُجـاوِر فيهمُ وجاورتُ عَبْدَ القَيْسِ أَهلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أجارونـــا فكان جِوارُهـم أعاصِيرَ مـــن قَسْو العِراقِ المُبَذَّرِ
فأَصبح جــارِي من خُزَيْمةَ قائِماً ولا يمنـــع الجِيرانَ غَيْرُ المُشَمِّرِ

[يستثير اليمانية لنصرته]

وقال أيضاً في ذلك[4] : [من البسيط]

أُصبحتُ لا من بَني قَيْس فَتنْصُرني قَيسُ العِراق ولم تَغْضَب لنا مُضَرُ
ولم تَكَلَّــم قُـريشٌ في حَلِيفِهمُ إذ غابَ ناصِرُه بالشَّام واحتَضَرُوا[5]
والله يعلم مـا تُخْفي النُّفوس وما سَرَّى أُميَّةُ أَو مــا قـال لي عُمَرُ
وقال لي خالِـــدٌ قولاً قَنِعتُ به لـــو كنت أَعلم أَنَّى يَطْلع القَمَرُ[6]

1 ديوانه : 230–231 .
2 الشعر والشعراء : . . . . حملت زياداً .
3 ديوانه : 135 .
4 ديوانه : 122–124 .
5 الديوان : أنصاره بالشام واحتصروا . واحتضروا : بمعنى حضروا . واحتصروا : منعوا من السفر .
6 أنى يطلع القمر : من أين يأتي الفرج .

لو أنَّني شَهِدَتْني حِمْيَرٌ غضِبَتْ ... دُوني فكان لهم فيما رأَوْا عِبَرُ
أو كُنتُ جارَ بني هِنْدٍ تداركني ... عوفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرانُ أو مَطَرُ[1]

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فعل به ابنَ زياد[2] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالخَبْت ذِي الأطلالِ ... كيف نَومُ الأسير في الأغلالِ
أينَ مِنّي السَّلامُ من بَعْد نَأْيٍ ... فارْجِعِي لي تَحِيَّتي وسُؤالي
أينَ مِنّي نَجائِبي وجِيادِي ... وغَزالي ، سَقى الإلهُ غزالي
أينَ لا أينَ جُنَّتي وسِلاحي ... ومَطايا سَيَّرتُها لارْتِحالي
هدَم الدَّهْر عَرْشَنا فَتداعى ... فبَلينا إذ كُلُّ عَيْش بالِي[3]
إذ دعانا زَوالُه فأَجَبْنا ... كُلُّ دُنْيا ونِعْمةٍ لَزوالِ
أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْ ... تِ مَصيرُ المُلوكِ والأَقْيالِ
لا وصَوْمي لِرَبِّنا وزَكاتي ... وصَلاتي أَدعُو بها وابْتِهالي
ما أتيتُ الغداةَ أمراً دَنِيّاً ... ولَدى الله كابِرُ الأعمالِ
أيُّها المالكُ المُرهِّب بالقَتْ ... لِ بَلَغْتَ النِّكال كُلَّ النّكالِ
فاخشَ ناراً تَشْوِي الوُجوهَ ويَوْماً ... يَقذِفُ الناسَ بالدَّواهي الثِّقالِ
قد تعدَّيْتَ في القِصاصِ وأَدْرَكْ ... تَ ذُحولاً لَمْعَشَر أَقْتالِ[4]
وكَسَرْتَ السِّنَّ الصَّحِيحةَ مِنّي ... لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إذْلالي
وقَرَنْتُم مع الخَنازير هِرّاً ... ويَميني مَغْلُولة وشِمالي
وكلاباً يَنْهَشْنَني من وَرائي ... عجبَ الناسُ ما لهنَّ ومَا لي !
وأطلْتُم معَ العقُوبة سِجناً ... فكَم السّجْن أو مَتى إرْسالي[5]
يَغسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلي ... راسخٌ مِنْك في العِظامِ البَوالي
لو قبلتَ الفِداءَ أو رُمْتَ مالي ... قُلتُ : خُذْه فِداءُ نَفْسيَ مالي

1 ل : بني نهد .
2 ديوانه : 185–193 .
3 الديوان : كل شيء .
4 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر والعداوة والحقد . وأقتال : جمع قِتل ، وهو الشجاع المقاتل .
5 في الديوان : سَجْني .

لو بِغَيْري من مَعْشَري لَعِب الدَّهْـ ـر لما ذَمَّ نُصرَتـي واحْتِيالي
كَم بَكاني مـن صاحِبٍ وخَلِيل حافِظِ الغَيْب حامِـدٍ للخِصالِ
ليتَ أَنّي كُنـتُ الحَلِيفَ للَخْمٍ وجُـذامٍ أَو طَيِّـىء الأَجمالِ[1]
بَـدَلاً مـن عِصابَة من قُرَيْش أَسلَمُوني للخَصْم عنـد النِّضالِ
البَهالِيلُ مـن بنـي عَبْد شَمْس فَضَلُوا النّـاسَ بالعُـلا والفِعالِ
وبنـو التَّيْـمِ تَيْمِ مُـرَّة لَمَّا لَمَـع المَـوتُ في ظِلالِ العَوالي
مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْـ ـر إذِ الطَّيْرُ عُكَّـفٌ في الظِّلالِ
والبَهاليـلُ خالِـدٌ وسعيـد شَمْسُ دَجْـنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ
في الأَروماتِ والذُّرى من بَني العِيـ ـص قُـرومٌ إذا تُعَـدُّ المَعالي
كُنتُ منهم ، مـا حَرَّموا فحَرامٌ لم يُرامُـوا ، وحِلُّهُم من حَلالِ
وذَوُو المَجْدِ مـن خُزاعَـةَ كانوا أَهلَ وُدّي في الخِصْبِ والإِمْحالِ
خَذَلُـوني وهُـم لِذاكَ دَعَوْني لَيْس حامـي الذِّمـار بالخَذّالِ
لا تَدَعْنـي فـِداك أَهلي ومالي إنَّ حَبْلَيْـكَ مـن مَتِينِ الحِبالِ
حَسْرَتا إذ أَطَعْتُ أَمْرَ غُواتـي وعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَـلَّ ضَلالي

وقال يهجو عبَّادَ بن زيادٍ ويذكر سعيد بن عثمان[2] : [من المديد]

أَيُّها الشاتِـمُ جَهْـلاً سَعِيداً وسَعِيـدُ في الحَـوادِثِ نابُ
مـا أَبـوكم مُشبِهـاً لأَبيه فاسأَلوا الناسَ بـذاكم تُجابُوا
سادَ عَبّـادٌ ومُلِّـكَ جَيْشاً سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلابُ
إنَّ عامـاً صِرْتَ فيـه أَميراً تَملِـكُ النّاسَ لعـامٌ عُجابُ

[يمحو هجاءه بأظفاره]

قال : واتصل هِجاؤه زِياداً وولده وهو في الحبس ، فردَّه عُبيدُ الله إلى أَخيه عبّادٍ بسجِسْتان ، ووكَّل به رجالاً ووجههم معه . وكان لمّا هرب من عبّاد يهجوه ويكتب كلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات ؛ وأمر عُبَيْدُ الله المُوكَّلين به أن يأخذوه يمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، وأمرهم أَلاّ يتركوه يُصلّي إلاّ إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق . فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات

1 الأجمال في الديوان : الأجبال .
2 ديوانه : 61–63 .

التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مِمّا كتبه من الهجاء ، أَخذوه بأن يمحوَه بأظافره ، فكان يفعل ذلك ويحكُّه حتى ذهبت أظافِرُه ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتّى سلّموه إلى عبّاد فحبسه وضيَّق عليه . قال عُمَرُ بن شبَّة في خبره : فقال ابن مُفَرِّغ[1] : [من الطويل]

سَرَتْ تحت أَقطاع من اللَّيل زَينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ !

ويروى : أَلا طرَقْتنا آخرَ اللَّيل زَيْنَبُ

أَصابَ عَذابي اللونَ فاللَّونُ شاحِبٌ ... كما الرأسُ من هَوْل المنيّة أَشيبُ

قُرِنتُ بخِنْزِيرٍ وهِرٍّ وكَلْبَةٍ ... زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذِّبُ

وجُرِّعتُها صَهباءَ من غيرِ لَذَّة ... تُصعِّد في الجُثمان ثم تَصوَّبُ

وأُطْعِمْت ما إن لا يَحُلّ لآكلٍ ... وصَلَّيْتُ شَرْقاً بيتُ مكَّة مَغرِبُ

من الطَّفِّ مَجْنوباً إلى أَرضِ كابُلٍ ... فمَلُّوا وما مَلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ[2]

فلو أَنَّ لَحْمي إذ هَوى لَعِبَتْ به ... كِرامُ المُلوكِ أَو أُسودٌ وأَذْؤُبُ

لهَوَّن وَجْدي أَو لزادت بَصيرَتي ... ولكِنّما أَودَتْ بلَحْمي أَكْلُبُ

أَعبَّادُ ما لِلُّؤْمِ عنك مُحوَّلٌ ... ولا لَكَ أُمٌّ في قُرَيْش ولا أَبُ

سيَنصُرُني مَنْ ليس تَنْفَع عِنْده ... رُقاكَ وقَرْمٌ من أُمَيَّة مُصْعَبُ[3]

وقل لعُبَيْد الله : ما لَكَ والِدٌ ... بحَقٍّ ولا يَدري امرؤٌ كيف تُنْسَبُ

في أَوَّل هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

أَلا طرَقْتنا آخرَ اللَّيل زينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لِما فات مَطلَبُ !

وقالت : تَجَنَّبْنا ولا تَقْرَبَنّنا ... فكَيْفَ وأَنْتم حاجَتي أَتجَنَّبُ !

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

وقالوا جميعاً : فلمّا طال مقامُ ابن مُفَرِّغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق ، وقال له : إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما

1 ديوانه 53–59 .

2 المجنوب : الذي يقاد إلى جنب الفرس . وفي الديوان : مجلوباً .

3 القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

يُمكِنُك من صوتك ، وكتَبهما في رُقعة ، وهما[1] : [من البسيط]

أَبلِغْ لديك بنـي قَحْطانَ قاطِبةً عَضَّـت بأَيْر أَبيهـا سادةُ اليَمَنِ
أَضحى دَعـيُّ زِيـادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ـ يا لَلْعجائب ـ يَلْهو بابن ذي يَزنِ[2]

ففعل الرسولُ ما أمره به ، فحَميت اليمانيّة وغضبوا له ، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه فدفَعَهم عنه ، فقاموا غضاباً . وعرف معاوية ذلك في وجوههم ، فردَّهُم ووهبَه لهم ، ووجَّه رجلاً من بني أسد يقال له خَمْخام ، ويقال : جهنام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمَره بأن يبدأ بالحَبْس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطلِقه قبل أن يعلَم عبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله . ففعل ذلك به ، فلمّا خرج من الحبس قُرِّبتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها ، فلمّا استوى على ظهرها قال[3] : [من الطويل]

عَـدَسْ مـا لِعَبَّـادٍ عليكِ إمارةٌ نجوتِ وهـذا تَحْمِلِين طَلِيقُ[4]
فإنَّ الذي نَجَّى من الكَرْب بَعدَما تَلاحَـمَ في دَرْبٍ عليكِ مضيقُ[5]
أَتاك بخَمْخامٍ فأَنْجاك فالْحَقـي بأَهْلِـك لا تُحبَسْ عليك طَريقُ[6]
لعمْري لقد أَنجاك من هُوَّةِ الرَّدى إمـامٌ وحَبـلٌ للأَنـام وَثِيقُ
سأَشكُرُ ما أُوليتَ من حُسْن نِعمة ومِثْـلي بشُكْـر المُنْعِمين حَقِيقُ

قال عُمر بن شَبَّة في خبره ، ووافقه لقيط بن بكير : فلمّا أُدخِل على مُعاوية بكى وقال : رِكِبَ منّي ما لَم يُرْكَب من مسلم قَطّ ، على غير حَدَث في الإسلام ولا خَلْع يَدٍ من طاعَةٍ ولا جُرْم ، فقال : أَلست القائل : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ مُعاويـةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً مـن الرَّجُـلِ اليَماني
أَتغضَب أن يُقال أَبـوكَ عَفٌّ وتَرضى أَن يُقال أَبوكَ زانِ !
فأَشهَدُ أَنَّ رِحْمَك مـن زيادٍ كرِحْمِ الفِيلِ مـن وَلَدِ الأَتانِ
وأَشهَـدُ أَنَّها وَلَدت زِيـاداً وصَخْرٌ مـن سُمَيَّةَ غيرُ دانِ

1 ديوانه : 226–228 .
2 تقدم المثل «فقع قرقرة» .
3 ديوانه : 171–175 .
4 عدس : كلمة لزجر البغلة ، وبها هنا سمي البغلة . وهذا بمعنى الذي .
5 الديوان : طليق الذي . . .
6 الديوان : قضى لك خمخام بأرضك فالحقي . . . . لا يؤخذ . . . .

فقال : لا والذي عظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قلتُه ، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بن الحَكَم قاله ونسبه إليَّ . قال : أفلَم تقُل : [من الوافر]

شَهِدتُ بِـأَنَّ أُمَّكَ لم تُباشِر ... أبـا سُفْيـانَ واضِعَةَ القِناعِ

ولكـن كان أمـرٌ فيـه لَبْسٌ ... على وَجَـلٍ شَدِيدٍ وارتِياعِ

أو لَسْتَ القائل[1] : [من المنسرح]

إنَّ زِيـاداً ونافِعـاً وأبـا ... بَكْرَةَ عِنْدي من أعْجَب العَجَبِ

إنّ رِجـالاً ثَلاثَـةً خُلِقُـوا ... في رَحْمِ أُنثى ما كُلهمْ لأَبِ[2]

ذا قُرشيٌّ كما يَقُـولُ ، وذا ... مَوْلًـى ، وهذا بزَعْمِـه عَرَبي

في أشعار كثيرة قُلتَها في هِجاء زياد وبنيه ، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمِك ، ولو إيَّانا تعامل لم يكُنْ شيء مِمّا كان ، فاسكُن أيّ أرضٍ شِئْت . فاختار الموصلَ فنزلها ، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدِمها ؛ فدخل على عُبيد الله بن زياد ، واعتذر إليه وسأله الصَّفْح والأمان ، فأمَّنه وأقام بها مُدّة ، ثمّ دَخل عليه بعد أنْ أمَّنه فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إنِّي قد ظننْت أنّ نفسك لا تَطيب لي بخير أبداً ، ولي أعداء لا آمن سعيَهم عليّ بالباطل ، وقد رأيتُ أن أتباعد ؛ فقال له : إلى أينَ شئت ؟ فقال : كَرْمان . فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطِيعة وكُسْوة . فشَخص فأقام بها حتى هَرَبَ عُبَيْد الله من البَصْرة ، فعاد إليها . هذه رواية عُمَر بن شَبَّة .

وقال محمد بنُ خَلَف في روايته ، عن أحمد بنِ الهيْثم ، عن المَدائنـيّ ، وعن العمريّ ، عن لقيـط : أنَّ ابنَ مُفـرِّغ لمّا طالَ حَبسُه وبلاؤه ، ركب طلْحةُ الطَّلْحات إلى الحجاز ، ولقي قريشاً ، وكان ابنُ مُفَرِّغ حليفاً لبني أُميَّة ، فقال لهم طَلْحة : يا معشَر قُرَيش ، إنَّ أخاكم وحليفكـم ابن مُفَرِّغ قـد ابتُلي بهذه الأعبُد من بني زياد ، وهو عَديدكم وحليفكم ورجُلٌ منكم ، ووالله ما أحِبُّ أن يُجْرِيَ الله عافيتَه على يدي دونكم ، ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتُخلَوْا منهـا ، فانهضُوا معي بجماعتكم إلى يزيدَ بن معاوية ، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشَّام . فركب خالـدُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأُميّـة بن عبد الله أخـوه ، وعُمـرُ بن عبيد الله بن معمر ، ووجوه خُزاعة وكنانة وخَرجوا إلى يزيد ، فبَيْنا هم يسيرون[3] ذات ليلة إذ

---

1 ديوانه : 79 .

2 الديوان : مخالفي النسب .

3 ل : يسمرون .

سَمِعوا راكباً يتغنَّى في سواد الليل بقول ابنِ مُفرِّغ ويقول[1] : [من الخفيف]

إنَّ تركِي نَدى سَعيدِ بنِ عُثما ... نَ بن عَفَّان ناصِري وعدِيدي[2]

واتِّباعي أَخـا الضَّراعـةِ واللُّؤ ... م لنقصٌ وفَـوتُ شَأْوٍ بَعيدِ

قلتُ واللَّيلُ مُطبِقٌ بعـراه : ... ليتَني مِـتُّ قبل تـركِ سَعيدِ

ليتني مِتُّ قبل تَرْكي أَخا النَّجْـ ... ـدة والحَـزْم والفَعالِ السَّديدِ

عَبْشميٌّ أَبُوه عبـدُ مَنافٍ ... فـازَ منهـا بتاجهـا المَعقُودِ

ثُمَّ جُودٌ لو قِيلَ : هل من مَزيد ... قلتُ للسائلين : ما من مَزيدِ[3]

قُلْ لقَوْمي لَدى الأباطِح مِنْ آ ... ل لُؤَيٍّ بنِ غالبٍ ذي الجُودِ

سامَني بعـدَكم دَعِـيٌّ زيادٍ ... خُطَّةَ الغادِرِ اللئيـمِ الزَّهيدِ[4]

كانَ ما كانَ في الأَراكةِ واجتَـ ... ـبَّ ببُرْدٍ سَنامَ عِيسي وجيدِي

أَوْغَلَ العَبدُ في العُقوبةِ والشَّتْـ ... ـمِ وأَوْدى بطـارفي وتليدِي

فارحلوا في حلِيفكم وأُخيكم ... نحوَ غَوْث المُسْتَصرِخين يزيدِ

فاطلبوا النِّصفَ من دَعيٍّ زيادٍ ... وسلوني بِما ادَّعَيْتُ شُهودي[5]

قال : فدعا القوم بالراكبِ فقالوا له : ما هذا الذي سمعْناه منك تغنِّي به ؟ فقال : هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب ، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن ، وهو رجل الناس ؛ قالوا : ومَن هو ؟ قال : ابنُ مفرِّغ ؛ قالوا : والله ما رحلنا إلاّ فيه وانتسبوا له . فضحك وقال : أَفلا أُسمعكم من قوله أيضاً ؟ قالوا : بلى ، فأَنشدَهم قولَه[6] : [من الطويل]

لعَمْرِيَ لو كان الأَسيرُ ابنَ مَعْمرٍ ... وصاحبَه أو شِكلَه ابنَ أُسيدِ

ولـو أَنَّهم نالوا أُميَّة أُرقَلَتْ ... براكبهـا الوَجناءُ نحـو يزيدِ

فأَبلغتُ عذراً في لؤيٍّ بنِ غالب ... وأَتلفتُ فيهـم طارفي وتَليدي

---

1 ديوانه : 109–112 .

2 الديوان : فتى الجود ناصري وعديدي .

3 الديوان : ثم جود لو قيل : فيه مزيد ؟

4 الديوان : سنام عيشي : أي ذروة ما فيه من رغد وهناء .

5 النصف : الانصاف .

6 ديوانه : 113–116 .

فـإن لم يُغيِّرْهـا الإمامُ بحقِّها عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامخَ صِيدِ
فناديتُ فيهـم دعـوةً يَمنيَّةً كما كان آبائي دَعَوْا وَجُدُودي
ودافعتُ حتّى أُبلغ الجهدَ عنهمُ دِفاعَ امرىءٍ في الخير غير زَهيدِ
فإن لم تَكُونوا عند ظَنّي بِنَصْرِكم فليس لهـا غَيْرُ الأغَرِّ سَعيدِ
بِنَفسي وأَهلي ذاك حيّاً ومَيِّتاً نُضارٌ وُعودُ المَـرءِ أكرمُ عُودِ
فكَم من مُقامٍ في قريش كُفيتَه ويومٍ يُشيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْمٍ تحاماه لُؤيُّ بنُ غالِبٍ شَبَبتُ له ناري فهاب وَقُودي
وخيرٍ كثيرٍ قـد أفأتُ عليكمُ وأنتم رُقـودٌ أو شَبِيهُ رُقودِ

قال : فاستَرْجع القومُ لقوله وقالوا : والله لا نَغْسِلُ رؤوسَنا في العرب إن لم نَغْسِلها بفكِّه . فأغذَّ القومُ السَّيرَ حتى قدموا الشَّام .

[قدوم اليمانية على يزيد]

وبعث ابنُ مُفرِّغ رجلاً من بني الحارث بن كَعْبٍ ، فقام على سُور حِمْص ، فنادى بأعلى صوتِه الحُصيْنَ بن نُمَير ، وكان والي حمص ، بهذه الأبيات وكان عظيمَ الجبهة : [من البسيط]

أبلغْ لدَيك بنـي قَحْطانَ قاطبةً عَضَّتْ بأَيْر أبيهـا سادَةُ اليَمَنِ
أمسى دَعِـيُّ زيـادٍ فَقْعَ قَرقَرَةٍ يا لَلْعجائبِ يَلهو بابن ذي يَزَنِ !
والحِميريُّ طـريحٌ وسط مَزْبلـةٍ هـذا لعَمرُكُمُ غَبنٌ مـن الغَبنِ
والأجبَهُ ابـنُ نُمير فوق مَفرشه يدنو إلى أحْوَر العَيْنَيْنِ ذي غُنَنِ[1]
قُوموا فقولُـوا : أميرَ المؤمنين لنا حَقٌّ عليـك ومَـنٌّ ليس كالمِنَنِ
فاكفُف دَعيَّ زِيـادٍ عن أكارمنا ماذا يُريـدُ على الأحقـادِ والإحَنِ

فاجتمعت اليمانيّة إلى حُصَيْن ، فعيّروه بما قاله ابن مُفرِّغ . فقال الحُصَيْن : ليس لي رأيٌ دونَ يزيد بن أسد ومَخْرمة بن شُرَحبيل ؛ فأرسل إليهما ، فاجتمعوا في مَنزلِ الحُصَين ، فقال لهما الحُصَين : اسمَعا ما أهْدى إليَّ شاعِرُكم وقاله لكم في أخِيكم ، يعني نفسَه ، وأنشدهم ، فقال يزيد بن أسد : قد جِئتُكم بأعظمَ من هذا ، وهو قولُه : [من الطويل]

ومـا كنتُ حجّاماً ولكِنْ أحلَّني بِمنزِلةِ الحَجّامِ نأيـى عن الأصلِ

فقال الحُصَين : والله لقد أساءَ إلينا أميرُ المؤمنين في صاحِبنا مرّتين : إحداهُما أنّه هربَ

1 الأجبه : العظيم الجبهة ، وهو الحصين بن نمير .

إليه فلم يُجِرْه ، وأُخرى أنّه أُمرَ بعذابه غير مراقِبٍ لنا فيه . وقال يزيد بن أُسد : إنّي لأظنّ أنَّ طاعتَنا ستفسُد ويمحوها ما فعل بابن مفرِّغ ، ولقد تطلَّع من نفسي شيء ، لَلموْت أُحبُّ إليَّ منه . وقال مَخْرمةُ بنُ شُرَحْبيل : أيّها الرَّجلان ، اعقِلا فإنّه لا معاوية لكما ، واعْرِفا أنَّ صاحِبَكما لا تقدَحَ فيه الغِلْظة ، فاقْصِدا التَّضرُّع . فركِب القومُ إلى دمشقَ وقدِموا على يزيدَ بن معاوية ، وقد سبقهم الرَّجل ، فنادى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على درج مَسْجِد دمشق ، فثارت اليمانيّة وتكلَّموا ، ومشى بعضُهم إلى بعض ، وقدِم وفدُ القُرشيِّين في أُمره مع طلحة الطَّلحات ، فسبقوا القُرشيِّين ، ودخلوا على يزيدَ بن معاوية ، فتكلّم الحُصَين بن نمَيْر ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الذي أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا لا قرارَ عليه ، وقد سامنا عُبيدُ الله وعبَّادٌ خُطَّةَ خَسْف ، وقَلَّدانا قِلادةَ عار ، فأنصِف كريمَنا من صاحبِه ، فوالله لئن قدرْنا لنَعْفُونَّ ، ولئن ظُلِمنا لننتَصِرنّ . وقال يزيد بنُ أسد : يا أمير المؤمنين ، إنّا لو رضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه ، لم يَرْضَ الله عزَّ ذكره بذلك . ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله لَيُباعدنّنا الله منك ، وإن يمانيّتك قد نَفَرتْ لصاحبها نفرةً طار غُرابُها ، وما أُدري متى يَقع ، وكلّ نائرةٍ[1] تقدحَ في المُلك ، وإن صَغرتْ لم يُؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيّما إذا كانت في أنفٍ لا يُجدَع ، ويد لا تُقْطَع ، فأَنْصِفنا من ابني زياد .

وقال مَخْرَمَة بنُ شُرَحْبيل ، وكان مُتألِّهاً عظيمَ الطاعة في أهلِ اليمن : إنّه لا يدَ تحجُزك عن هواك ، ولو مثَّلتَ بأخينا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يُعاتبك فيه مُعاتِب ، ولكنَّ ابنَيْ زياد استخفَّانا بما يثْقُل عليك من حقّنا ، وتهاوَنا بما تُكرِمُه منّا ، وأنت بيننا وبين الله ، ونحن بينك وبين الناس ، فأنصفنا من صاحبَيْك ، ولْيَنْفَعْنا بلاؤُنا عندك .

فقال يزيد : إنَّ صاحِبَكم أَتى عَظِيماً ؛ نفى زياداً من أَبي سُفْيان ، ونفى عبّاداً وعُبيْدَ الله من زياد ، وقلَّدَهم طوقَ الحمامة[2] ، وما شَجَّعه على ذلك إلاّ نسبُه فيكم ، وحِلفُه في قريش ، فأمّا إذ بَلَغ الأمرُ ما أرى ، وأشْفى[3] بكم على ما أشفى ، فهو لكم ، وعليَّ رِضاكم .

قال : وانتهى القُرشيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيِّين : قد أَتَتْكم بُرى الذهب من أهلِ العراق ، فدخلوا وسلَّموا والغَضبُ يتبيَّن في وجوههم ، فظنَّ يزيدُ الظنون ،

---

1 النائرة : العداوة والشحناء .

2 انظر المثل «تقلدها طوق الحمامة» في مجمع الميداني 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 255 ومستقصى الزمخشري 2 : 30 .

3 أشفى : أشرف .

وقال لهم : ما لكُم ؟ انفتق فَتْقٌ أو حدَثَ حدَثٌ فيكم ؟ قالوا : لا ، فسَكَن .

فقال طلحة الطَّلَحات : يا أَميرَ المؤمنين ، أَما كفى العربَ ما لقِيَتْ من زياد ، حتى استعمَلْتَ عليها ولدَه يستكثِرُون لك أحقادَها ، ويُبَغِّضونَك إليها ؟ إنّ عُبَيْد الله وأخاه أتيا إلى ابن مُفَرِّغ ما قد بلغك ، فأنصِفْنا منهما إنصافاً تعلَم العرب أنَّ لنا منك خلَفاً من أبيك ؛ فوالله ، لقد خبَأَ لك فعلُهما خبئاً عند أهل اليمن لا نَحْمَدُه لك ، ولا تَحْمَدُه لنفسِك .

وتكلَّم خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ زياداً رُبِّيَ في شرِّ حِجْر ، ونشأَ في أخْبَث نَشْء ، فأثْبَتُّم نِصابه في قريش ، وحملْتُموه على رِقابِ الناس ، فوَثَب أبْناه على أَخينا وحلِيفِنا وحليفك ، ففعلا به الأفاعيلِ التي بلغَتْك ، وقد غَضِبَتْ له قريشُ الحجاز ويمنُ الشَّام مِمَّن لا أُحِبُّ والله لك غَضَبه ، فأنصِفْنا من ابنَيْ زِياد .

وتكلّم أخوه أُميّةُ بنحو ممّا تكلّم أخوه وقال : والله يا أَميرَ المؤمنين لا أَحطُّ رَحْلي ، ولا أَخلع ثِيابَ سفري ، أو تنصِفَنا من ابنَيْ زياد ، أو تَعْلَمَ العربُ أنّك قد قطَعْتَ أرحامَنا ، ووصلْتَ ابنَيْ زياد بقطْعِنا ، وحكمتَ بغيرِ الحقّ لهما علينا .

وقال ابنُ مَعْمَر : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ ابنَ مُفرِّغ طالما ناضلَ عن عِرْضِك وعِرْضِ أَبيك وأعراضِ قومك ، ورمى عن جَمْرة أهلِك ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيّاً لم يرضَ به ، وهذا رجل له شرَفٌ في قومه ، وقد نفرُوا له نَفْرة لها ما بعدها ، فأعْتِبْهم وأنصِف الرجلَ ولا تُؤْثِر مَرْضاةَ ابنَي زيادٍ على مَرْضاةِ الله عزَّ وجلَّ .

[يزيد يطلق ابن مفرِّغ]

فقال يزيدُ : مرحباً بكم وأَهلاً ، والله لو أَصابه خالدٌ ابني بما ذكرتم لأَنصفتهُ منه ، ولو رحلتم في جميع ما تُحيط به العراق لوهَبْتُه لكم ، وما عندي إلاّ إنصافُ المظلوم ؛ ولكنَّ صاحبكم أسرَف على القوم . وكتبَ يَزيدُ ببناء داره ، وردَّ مالِه وتَخْلِية سبيله ، وألاّ إمرةَ لأحد من بني زياد عليه ؛ وقال : لولا أنَّ في القَوَد بعدما جرى منه فَساداً في المُلك لأقدْتُه من عبَّاد .

وسرَّح يَزيدُ رجُلاً من حِمْيَر يقال له خَمْخام ، وكتب معه إلى عبّاد بن زياد : نفسَك نفسَك ؛ وأن تَسقُط من ابن مُفرِّغ شعْرَةٌ فأُقِيدَكَ والله به ، ولا سُلطانَ لك ولا لأخيك ولا لأَحدٍ غيري عليه . فجاء خَمْخامُ حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأَخرجه .

قالوا : فلمّا دخل على يزيد قال له : يا أَمير المؤمنين ، اخْتَر منّي خَصْلَةً من ثلاث خصال ، في كلِّها لي فَرَج ، إمّا أن تُقِيدَني من ابن زِياد ، وإمّا أن تُخلّي بيني وبينه ، وإمّا أَن تُقدِّمَني فتضرِبَ عنقي .

فقال له يزيد : قبَّح الله ما اخترته وخيَّرتَنيه ؛ أمّا القوَد من ابن زياد فما كنتَ لأُقيدَك من عامل كان عليك ، ظلمتَه وشتَمتَ عِرضَه وعِرْضي معه ، وأمّا التَّخْلِية بينك وبينه فلا ، ولا كرامة ، ما كنتُ لأُخلِّي بينك وبين أهلي تقطعُ أعراضَهم ، وأمّا ضَرْبُ عُنُقِك ، فما كنتُ لأَضرِبَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستحِق ذلك ، ولكنّي أفعلُ ما هو خير لك مِمّا اخْتَرْتَه لنفسك ؛ أعطيك دِيَتَك ، فإنّهم قد عرَّضُوك للقتل ، وأكففْ عن ولدِ زياد ، فلا يَبْلغني أنّك ذكرتَهم ، وانزِل أيّ البلاد شئتَ . وأمر له بعشرة آلافِ درهم .

[ابن مفرِّغ يعتذر لابن زياد]

فخرج حتى أتى المَوْصِل وأقام بها ما شاءَ اللهُ ، ثم خَرَج ذات يوم يَتَصَيَّد ، فلَقِي دِهْقاناً على حمارٍ له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّها ؟ قال : من البصرة ، ثم من الأهواز . قال : فما فعل المَسْرُقان[1] ؟ قال : على حاله ، قال : أفتعْرِف أناهِيدَ بنت أعنق ؟ قال : نعم ؛ قال : ما فعلت ؟ قال : على أحْسن ما عَهِدْت . قال : فضرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأهْوازَ ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره . ثم أتى عُبَيْد الله بنَ زِياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمانَ فأمَّنه ، ثم سأله أن يكتُب له إلى شريك بن الأعْور فكتب له ووصَلَه . وخرج فأقام بكَرْمان حتى غلب ابنُ الزُّبير على العراق ، وهرب ابنُ زياد وكان أهلُ البصرة قد أجمعوا على قَتله ، فخرج عن البصرة هارباً ، فعاد ابن مُفَرِّغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بني زياد ، فقال يذكر هرب عُبَيْد الله وتَرْكَه أُمَّه بقوله[2] : [من الكامل]

أعُبَيدُ هَلاَّ كنتَ أوَّلَ فارِسٍ ... يوم الهِياجِ دعا بحَتْفِك داعِ[3]
أسلمْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ تَنوشُها ... يا ليتَني لكَ ليلةَ الإفزاعِ[4]
إذ تَسْتغيث وما لنفسِك مانِعٌ ... عبْدٌ تردِّدُه بدارِ ضَياعِ
هَلاَّ عجوزك إذ تُمَدُّ بثَدْيِها ... وتَصيحُ ألاّ تَنزِعُنَّ قِناعي
أنقذتَ من أيدي العُلوج كأنّها ... رَبْداءُ مُجفِلَةٌ ببطنِ القاعِ[5]

1 المسرقان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى .
2 ديوانه : 159−165 .
3 بحتفك في الديوان : لحينك .
4 تنوشها في الديوان : شوارع .
5 الربداء : السوداء أو التي بلون الرماد .

فركبتَ رأسَك ثم قلتَ : أُرى العِدا ... كَثُروا وأُخلفَ مَوْعِدي أَشْياعي[1]
فانْجي بنَفْسِك وابتغي نَفَقاً فما ... لي طاقَـةٌ بك والسَّلامُ وداعِي
ليسَ الكَريمُ بمَـنْ يُخَلِّف أُمّه ... وفتاتَـــه في المَنزِلِ الجَعْجاعِ[2]
حَـذَر المَنِيَّةِ والرِّمـــاحُ تَنوشُه ... لم يَــرْمِ دون نِسائـــه بكُراعِ[3]
مُتأبِّطـــاً سيفـــاً عليـــه يَلْمَقٌ ... مثـــل الحمـــار أثرتَـــه بيَفاعِ[4]
لا خيرَ في هَــذِرٍ يهُـــزُّ لسانَه ... بكلامـــه والقلـــبُ غيرُ شُجاعِ
لابنُ الزُّبير غَـداةَ يَذْمُـر مُنْذِراً ... أَوْلى بغايَـــة كلِّ يـــومٍ وِقاعِ[5]
وأَحقُّ بالصبر الجميل من امرىءٍ ... كَـــزٌّ أَناملُـــه قصير البـــاعِ[6]
جَعْدِ اليدين عن السَّماحة والنَّدى ... وعـــن الضَّريبة فاحِشٍ مَنَّاعِ
كم يـــا عُبَيْد الله عندك مـن دَمٍ ... يسعـى لِيُدْرِكَــه بقَتْلِـكَ ساعِ
ومعاشرٍ أُنُفٍ أَبَحْتَ حريمَهـم ... فَرَّقتهـم مـن بعـدِ طُولِ جِماعِ
اذكُـرْ حُسَيْناً وابنَ عُرْوَةَ هانئاً ... وابنَــي عَقِيـــلٍ فـارس المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه[7] : [من الطويل]

أَقَـــرَّ بعينـــي أَنَّهُ عَـــقَّ أُمَّه ... دعَتْه فولاَّها اسْتَه وهـــو يَهرُبُ
وقـال : عليكِ الصبرَ كُوني سَبِيَّةً ... كما كنتِ أو مُوتي ؛ فذلك أَقرَبُ
وقد هتفتْ هِنْدٌ : بماذا أُمرتَني ؟ ... أَبِنْ لي وحَدِّثني إلى أَينَ أَذهبُ ؟[8]
فقال : اقْصِدِي للأَزْدِ في عَرَصاتِها ... وبَكْرٍ فمـــا إن عَنْهُـــمُ مُتَجَنَّبُ
أَخـــافُ تَميماً والمَسالِحُ دونَها ... ونيرانُ أعدائـــي عـــليَّ تلهَّبُ[9]

---

1 فركبتَ رأسك في الديوان : فلبست سمعك .
2 الجعجاع : الموطن الضيق الخشن .
3 الكراع : الخيل .
4 اليلمق : القباء المحشو .
5 يذمر : يهدد ويحض على القتال .
6 كز الأنامل : كناية عن البخل .
7 ديوانه : 64–71 .
8 هند : امرأة عبد الله بن زياد .
9 المسالح : مواضع السلاح .

وولَّى وماءُ العينِ يَغسِلِ وَجْهَها كأن لم يكُن والدَّهْرُ بالنّاسِ قُلَّبُ
بما قَدَّمَتْ كَفَّـاك لا لَكَ مَهْرَبٌ إلى أيِّ قَـومٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
فكَمْ من كَرِيمٍ قد جَرَرْتَ جَرِيرَةً عليـه فمَقْبورٌ وعـانٍ يُعَذَّبُ
ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسُحْرَةٍ تُبكِّي قتيـلاً أو صَدًى يَتَأَوَّبُ[1]
فصبراً عُبَيْدُ ابـنَ العَبيدِ فإنّما يُقاسي الأُمـورَ المُسْتَعِدُّ المُجَرِّبُ
وذُقْ كالذي قد ذاقَ منكَ معاشِرٌ لَعِبْتَ بهم إذ أنتَ بالنّاسِ تلعَبُ
فلو كنتَ حُـرّاً أو حَفِظْتَ وَصِيَّةً عطَفْتَ على هِنْدٍ وهِنْدٌ تُسَحَّبُ[2]
وقاتلتَ حتى لا تُرِي لك مَطْمَعاً بسَيْفِك في القومِ الذيـن تَحزَّبُوا
وقلتَ لأُمِّ العَبْد أُمِّك : إنّنـي وإن كَثُر الأعداءُ حـامٍ مُذَبِّبُ[3]
ولكن أَبـى قلبٌ أُطِيرَتْ بَناتُه وعِرْقٌ لكم في آل مَيْسان يَضرِبُ[4]

وقال في ذلك أيضاً[5] : [من الوافر]

أَلا أَبلِـغْ عُبَيْـدَ اللهِ عنّـي عُبيدَ اللُّؤمِ عبـدَ بني عِلاجِ[6]
عَـلِيٌّ لكـم قلائـدُ باقِياتٌ يُثِرْنَ عليكـمُ نَقْـعَ العَجّاجِ
تَدَّعيْتَ الخضارِمَ من قُريشٍ فما في الدِّين بعدك من حِجاجِ[7]
أَبِنْ لي هل بِيَثْرِبَ زَندُ وَرْدٍ قُرى آبائك النَّبَطِ العَجاجِ ![8]

وقال فيه أيضاً[9] : [من الوافر]

عُبَيدُ اللهِ عَبْدُ بنـي عِـلاجٍ كـذاكَ نسبتُه وكذاكَ كانا
أعبْـدَ الحـارثِ الكِنديِّ ألاّ جعلتَ لإسْتِ أُمِّكَ دَيْدبانا[10]

---

1 يتأوب : يرجع .
2 الديوان : ولو كنت صلب العود أو ذا حفيظة .
3 مذبب : مدافع .
4 بناته في ل : ثيابه . وآل ميسان : النبط سكان السواد .
5 ديوانه : 87–88 .
6 يسمى آل زياد عبيد بني علاج لأن زياداً ولد على فراش مولى لهم .
7 الخضارم : جمع خضرم ، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء .
8 زند ورد : بلد قرب واسط . والعجاج : رعاع الناس .
9 ديوانه : 221–222 .
10 الحارث : هو الحارث بن كلدة . والديدبان : الرقيب .

فَتَستُرَ عَــورةً كانتْ قَدِيماً وتمنع أُمّكَ النَّبَــطَ البِطانا

وقال يهجو عُبيد اللهِ وعبّاداً ، أُنشدناه جماعة ، منهم هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، وهذا من قصيدة له طويلة أوّلها[1] : [من الوافر]

جَــرَتْ أُمُّ الظِّباء بِبَيْنِ لَيلى وكلٌّ وِصال حَبْـلٍ لانقطاعِ

يقول فيها :

ومــا لاقَيتُ مـن أيّام بُؤْسٍ ولا أمــرٍ يَضيقُ بـه ذِراعي
ولم تَكُ شيمتي عَجْزاً وَلُؤْماً ولم أَكُ بالمُضلَّل في المَساعي
سِوى يَومِ الهَجين ومَنْ يُصاحِبْ لئامَ النّاس يُغْضِ على القذاعِ[2]
حَلفتُ بِرَبٍّ مَكَّةَ لو سلاحي بكفّــي إذ تُنازعنــي مَتاعِي
لباشَرَ أُمَّ رأسِك مَشْرَفِـــيٌّ كذاكَ دَواؤنا وجع الصُّداعِ
أَفي أحسابِنا تُــزري علينا هُبِلْتَ وأنتَ زائدةُ الكُراعِ[3]
تبغَّيْتَ الذُّنــوب عَــلَيَّ جَهْلاً جُنوناً مـا جُننتَ ابنَ اللَّكاعِ
فما أسفي على تَرْكي سَعِيداً وإسحاقَ بنَ طَلحــةَ واتّباعِي
ثَنايا الوَبْــر عبدَ بنــي عِلاجٍ عُبَيْدَة فقْــعَ قَرْقَــرَةٍ بِقاعِ[4]
إذا مــا رايــةٌ رُفِعَت لمجد وودّع أَهلُهــــا خَيْــرَ الوَداعِ
فأَيْــرٌ في استِ أُمِّك من أميرٍ كذاك يقال للحَمق اليَراعِ[5]
وَلا بُلَّــتْ سمــاؤُك من أميرٍ فبِئْس مُعَرَّسُ الرَّكْب الجِياعِ[6]
أَلَم تَرَ إذْ تُحالِف حِلْف حَرْبٍ عليك غَدَوْتَ من سَقَط المَتاعِ
وكدتَ تَمُوتُ أَنْ صاحَ ابنُ آوى ومثْلُك مات من صوت السِّباعِ
ويَوْمَ فَتَحتَ سيفَك من بَعيدٍ أُضِعْتَ وكلُّ أمــرِك للضَّياعِ

1 ديوانه : 150–157 وأول القصيدة فيه :

أآن غنّت حمامــة بطن واد حماماً جاء من طرف اليفاع

2 القذاع : الفحش والمشاتمة .

3 زائدة الكراع : ما دون الكعب من الدابة . والكراع من كل شيء طرفه . وأكارع الناس : السفلة .

4 تقدم هذا المثل .

5 اليراع : الجبان .

6 المعرس : مكان النزول . يدعو عليه بالجدب .

إذا أُودى مُعاويةُ بــنُ حَرْبٍ فبشِّرْ شَعْبَ قَعْبك بانْصداعِ
فأشهــدُ أنَّ أُمَّك لم تُباشِرِ أبــا سُفيــانَ واضعةَ القِناعِ
ولكــن كانَ أمــراً فيــه لَبْسٌ على عَجَـل شديــدٍ وارْتياعِ

قال : وكان عبّاد في بعض حروبه ذاتَ ليلة نائماً في عسكره ، فصاحت بناتُ آوى ، فثارت الكلابُ إليها ، ونفر بعضُ الدَّوابّ ففزع عبّاد وظنّها كَبْسَةً من العدوّ ، فركب فرسه ودَهِش ، فقال : افتحوا سيفي ، فعيّره بذلك ابن مفرِّغ . وممّا قاله ابن مُفرِّغ في هجاء بني زياد وغُنّي فيه[1] : [من البسيط]

صوت

كم بالدُّروبِ وأرضِ الهندِ من قَدَمٍ ومِنْ جَماجم قَتلى ما هُمُ قُبِرُوا[2]
ومــن سَرابيــلِ أبطالٍ مُضرَّجَةٍ ساروا إلى الموت ما خامُوا ولا ذُعِروا[3]
بقُنْدُهــارَ ومَــنْ تُختَمْ مَنِيَّتُهُ بقُندهــارَ يُرجَّــم دونَــه الخبَرُ

غنّى في هذه الأبيات ابنُ جامع .

أَجَــدَّ أهلُك ، لا يأتيهِــمُ خَبَرٌ منّــا ولا منهــم عَيْنٌ ولا أثَرُ
ولم تكلَّــم قُريش في حَليفِهِــمُ إذ غابَ أنصارُه بالشّامِ واحتُضِروا
لــو أنّني شَهِدتني حِمْيَرٌ غَضِبتْ إذاً فكان لها فيمـا جَرى غيَرُ
رهطُ الأغرِّ شراحيلٍ بن ذي كَلَعٍ ورهطُ ذي فائشٍ مـا فوقهم بَشَرُ
قُولا لطَلْحة ما أغنتْ صَحيفتكم وهل لجارك إذ أوردْتَــه صَدَرُ
فمَــنْ لنــا بشَقيقٍ أو بأُسرته ومَنْ لنا ببني ذُهْلٍ إذا خَطَرُوا !
هُم الذينَ سَمَــوْا والخيْلُ عابِسَةٌ والنّاسُ عنــد زيــاد كلّهم حَذِرُ
لولاهــمُ كان سلاّمٌ بِمَنْزِلتــي أَوْلى لهم ثمَّ أُولى بعدما ظَفِرُوا

أخبرني محمد بن خلَف ، عن أبي بكر العامريّ ، عن إسحاق بنِ محمد ، عن القَحْذَميّ قال : هجا سلاّمٌ الرّافعيُّ مُقاتلَ بن مِسْمَع فقال فيه : [من الطويل]

أبى لك يــا ذا المَجْدِ أنَّ مُقاتِلا زَنى واستَحَلَّ الفارِسيَّ المُشَعْشَعا[4]

---

1 ديوانه : 120–126 .
2 الديوان : كم بالجروم .
3 خاموا : ذعروا .
4 الفارسي المشعشع : الخمر .

في أبيات هجاه بها فحبَسه مقاتل بالعربة[1] . فركب شقيقُ بنُ ثَوْر في جماعة من بني ذُهْل إلى الحبْس فأخرجه ؛ فضرَب به ابنُ مفرِّغ المَثَل في الشِّعر الماضي .

أخبرني محمد بنُ خلَف بن المرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو عبد الله اليمانيُّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : قال لي عُبيد الله بن زِياد : ما هُجيتُ بشيءٍ أشدَّ عليَّ من قول ابن مُفرِّغ[2] : [من البسيط]

فكِّرْ ، ففي ذاك إن فكَّرْتَ مُعْتَبرٌ   هــل نِلْتَ مَكرُمَةً إلاَّ بتأْميرِ !
عاشَتْ سُميَّةُ ما تَدْري وقد عَمَرَتْ   أَنَّ ابنَها من قُريشٍ في الجَماهيرِ[3]

وروى اليَزيديُّ في روايته عن الأحول : قال أبو عبيدة : كان زياد يزعمُ أنَّ أمَّه سُمَيّة بنتَ الأعور من بني عبد شمس بن زيد مَناة بن تَميم ، فقال ابنُ مفرِّغ يرُدّ ذلك عليه[4] : [من الوافر]

فأُقسِم مـــا زِيادٌ من قُرَيشٍ   ولا كانت سُميَّةُ مـــن تميمِ
ولكن نَسْلُ عَبْــدٍ مـــن بَغيٍّ   عريقِ الأَصْلِ في النَّسَبِ اللَّئيمِ

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ قال : أنشدني أبو عبيدة لابن مُفرِّغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأُبْنَة[5] : [من الكامل]

أَبلِــغْ قُريشاً قَضَّها وقَضيضَها   أَهلَ السَّماحَــة والحُلُومِ الرَّاجِحَهْ
أنِّــي ابتُلِيــت بحَيَّــةٍ ساوَرْتُــه   بيَدٍ لعَمْري لم تكُــنْ ليَ رابِحَهْ[6]
صَفَق المُبَخَّــل صَفْقَــةً ملعُونَةً   جرَّتْ عليــه مــن البلايا فادِحَهْ
شتّانَ مَـــنْ بَطحاء مَكَّــةَ دارُه   وبنُو المُضافِ إلى السِّباخ المالحَهْ
جَعُدَتْ أَنامِلُــه ولامَ نِجــارُه   وبذاك تُخبِرُنـــا الظِّباءُ السانِحَهْ[7]
فــإذا أُمَيَّة صَلْصَلَتْ أَحسابُهـــا   فبَنُو زِيــاد في الكلابِ النَابِحَهْ
قالوا : يُناكُ ، فقلتُ : في جَوْفِ استِه   وبذاك خَبَّرني الصَّدوقُ الفاضِحَهْ

---

1 العربة : موضع .
2 ديوانه : 140 .
3 الديوان : وما علمت .
4 ديوانه : 206 .
5 ديوانه : 90–91 .
6 الحية تذكّر وتؤنّث .
7 لام نجاره : لؤم أصله .

لم يبقَ أيرٌ أسودُ أو أبيضٌ إلاَّ له استُكَ في الخَلاءِ مُصافِحَهْ

[هجا عبيد الله بعد مقتله]

وأخبرني إبراهيم بنُ السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثني أبي ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : لمّا قُتِل عُبيد الله بن زياد يوم الزَّاب ، قَتَلَه أصحابُ المختار بن أبي عبيد ويقال : إنّ إبراهيم بنَ الأشْتَر حمل على كتيبته فانهزموا ؛ ولَقيَ عبيد الله فضرَبه فقتله ، وجاء إلى أصحابه فقال : إنّي ضربتُ رجلاً فقدَدْتُه نصْفَين فشرَّقَتْ يداه وغرَّبَتْ رِجلاه ، وفاح منه المِسْك ، وأظنّه ابن مَرْجانة ، وأومأ لهم إلى موضِعه . فجاؤوا إليه وفتَّشُوا عليه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ، فقال ابنُ مُفرِّغ يهجو[1] : [من البسيط]

إنَّ الذي عـاشَ ختَّاراً بذِمَّتِـهِ وعاشَ عَبْـداً قَتِيلُ الله بالزَّابِ[2]

العَبْدُ للعَبْدِ لا أصْلٌ ولا طَـرَفٌ ألْوَتْ بـه ذاتُ أظْفارٍ وأنيابِ

إنّ المَنايـا إذا مـا زُرْنَ طاغِيَةً هَتَكْنَ عنـه سُتوراً بـين أبْوابِ

هَـلاَّ جُموعَ نِـزارٍ إذ لقِيتَهُمُ كنتَ امرءاً مـن نِزارٍ غير مُرتابِ

لا أنتَ زاحَمْت عن مُلْكٍ فتمنَعه ولا مَـدَدْت إلى قَـوْمٍ بأسْبابِ

مـا شُقَّ جَيبٌ ولا ناحَتْكَ نائحةٌ ولا بَكَتْكَ جِيـادٌ عند أسلابِ

لا يتركُ اللهُ أنْفاً تَعْطِسُونَ بهـا بنـي العَبيد شُهـوداً غيرَ غُيَّابِ

أقولُ بُعْداً وسُحْقاً عنـد مَصْرعه لابن الخَبيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي[3]

والقصيدة المذكورة بها غِناء فيه منها ، وقال[4] : [من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانهَهُ أن يَعُودا إنَّ بـالبابِ حـارِسينَ قُعودا

مـن أساوِيرَ مـا يَنُـون قِياماً وخَلاخيـلَ تُذْهِـل المَوْلُودا[5]

وطماطِيمَ من مشايـخ جُـونٍ ألْبَسوني مـع الصَّباحِ قُيُودا[6]

---

1 ديوانه : 81–84 .

2 ختار : غادر .

3 الكودن : البرذون الهجين . والكابي : المنكب على وجهه .

4 ديوانه : 100–104 .

5 الأساوير : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس أو الجيد الرمي بالسهام . والخلاخيل : يريد بها القيود في رجليه .

6 الطماطيم : الأعاجم الذي لا يفصحون . والجون : السود . وفي الديوان : «وطماطيم من سبابيج غتم» . والسبابيج قوم من السند كانوا بالبصرة حراس سجون . والغتم : الذين في منطقهم عجمة .

أيّ بلـوى معيشة قـد بلَوْنا فَنعمنـا وما رَجونـا خُلودا
ودهـورٍ لَقِينَنـا مُوجِعـاتٍ وزمـانٍ يُـكسِّر الجلمودا
فصبرنـا على مواطـن ضِيقٍ وخطوبٍ تُصَيِّر البِيضَ سُودا
ظَلَّ فيها النصيحُ يُرسِل سِرّاً لا تُهالنَّ إن سمعـتَ الوعيدا
أَفإنْسٌ مـا هكذا صَبْرُ إنسٍ أَم من الجِنّ أَم خُلِقتُ حَدِيدا
لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصّبـ ـح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[1]
يومَ أُعطِي مخافةَ الموت ضَيْماً والمنايـا يرصُدنَنـي أن أَحيدا

قال : وهي قصيدة طويلة .

وتمثَّل الحسين بنُ عليٍّ صَلوات الله عليه ، بهذيْن البيتين لمَّا خرج من المدينة إلى مكّة عند بيعة يزيد : [من الخفيف]

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعِيـتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنايـا يَرْصُدْنَنـي أَن أَحِيدا

حدَّثني أَحمد بن عيسى أَبو موسى العِجْليّ العطَّار بالكوفة قال : حدَّثني الحُسَين بن نصر بن مُزاحم المِنْقَرِيّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا عمر بن سعيد ، عن أبي مِخْنَف ، قال : حدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعيد المَقْبريّ قال : والله لرأيْتُ حُسَيْناً عليه السلام وهو يمشي بين رَجُلَين ، يعتَمِد على هذا مَرَّة ، وعلى هذا مرّة ، حتى دخلَ المسجِد وهو يقول :

لا ذَعَرتُ السَّوام . . . البيتين .

قال : فقلت عند ذلك إنّه لا يلبَثُ إلاَّ قليلاً حتى يخرُج ، فما لَبِث أَن خَرَج ، فلَحِقَ بمكّة ، فلمّا خرج من المدينة قال : ﴿فخَرَجَ مِنْها خائِفاً يترقّبُ قال : رَبِّ نَجِّني مَن القَوْمِ الظَّالِمِين﴾[2] . ولمّا توجّه نحو مكّة قال : ﴿ولمّا تَوَجَّه تِلقاءَ مَدْيَنَ قال عَسى رَبِّي أن يَهْدِيَني سَواءَ السَّبيل﴾[3] .

[أعطاه مروان وكساه فمدحه]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن

1 الديوان : في وضح الصبح . والشعر والشعراء : في غلس الليل .
2 سورة القصص ، الآية : 21 .
3 سورة القصص ، الآية : 22 .

الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ قال : لمّا قَدِمَ ابنُ مفرِّغ إلى معاوية مع خَمْخام الذي وَجَّهه إليه ، فانتزعه من عبّاد بن زياد ، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذٍ عند معاوية ، فأعطاه وكساه ، وقام بأمره واسترفد له كلَّ مَن قدر عليه من بني أبي العاص بن أُميّة ، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته[1] : [من الكامل]

وأَقمْتُمُ سُوقَ الثَّناء ولم تَكُـن ... سُوقُ الثَّناء تُقامُ في الأَسْواقِ
فكأنّما جَعَـلَ الإلَـهُ إليكُمُ ... قَبْضَ النُّفوسِ وقِسْمَةَ الأرزاقِ

[ذكره بنات الدهقان في شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان ابنُ مُفَرِّغ يهوى أُناهِيدَ بنتَ الأعنق ، وكان الأعنق دِهْقاناً من الأهواز ، له ما بين الأهواز وسُرَّقَ ومناذِرِ والسُّوس ، وكان لها أخوات يقال لهنَّ : أسماءُ والجُمانةُ ، وأُخرى قد سقط اسمها عن دماذ ، فكان يذكُرُهن جميعاً في شعره . فمن ذلك قولُه في صاحبتِه أناهيد من أبيات[2] : [من البسيط]

سِيرِي أُناهِيـدُ بالعِبْرَيْـنِ آمنـةً ... قـد سَلَّمَ اللهُ من قومٍ بِهم طَبَعُ[3]
لا باركَ اللهُ فيهـم معشراً جُبُناً ... ولا سقى دارَهم قَطْراً ولا رُبِعوا
السارقـين إذا جاعـوا نَزيلَهُمُ ... والأَخبَثِينَ بطُونـاً كلّمـا شَبِعُوا
لا تأمنَنَّ حِزاميّـاً نزلـتَ بِـهِ ... قوم لديهم تناهى اللّؤمُ والضَّرَعُ
جاوِرْ بني خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارَهُمُ ... الأَعْظَمِينَ دفاعـاً كلّمـا دفعوا
والمطعِمين إذا مـا شَتْوَةٌ أَزِمَـتْ ... فالنّاس شتّـى إلى أبوابهم شَرَعُ[4]
هم خير قَومهمُ إن حَدَّثُوا صدقوا ... أو حاولوا النفعَ في أَشياعهم نفعوا
المانعين مـن المخـزاة جارَهُـمُ ... والرّافعين من الأدنَيْنَ مـا صَنَعُوا
انـزِلْ بطلحـةَ يومـاً إنّ مَنْزِلَه ... سَهلُ المبـاءَة بالعليـاءِ مرتفعُ

وفي أسماء أختها يقول[5] : [من الطويل]

1 ديوانه : 182 .
2 ديوانه : 146–148 .
3 الطَبَع : العيب .
4 شرع : سواء .
5 ديوانه : 176–179 .

تَعَلَّقَ مِنْ أسماءَ ما قد تَعَلَّقا ... ومثل الذي لاقى من الحُبِّ أرَّقا
وحَسبُكَ مِن أسماءِ نَأيٌ وأنّها ... إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فُؤاداً مُعَلَّقا
سَقى هَزِمُ الإرعادِ مُنْبَجِسُ العُرى ... منازلَها بالمَسْرُقانِ فَسُرَّقا[1]
وتُستَر لا زالت خَصِيباً جنابُها ... إلى مَدْفَع السُّلاّن من بطن دَوْرَقا[2]
إلى الكَوثَجِ الأعلى إلى رامَهُرْمُزٍ ... إلى قَريات الشَّيح من فوق سَفْسَقا[3]

رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف .

بِـلادُ بنـات الفارسيّـة إنّهـا ... سقتنـا على لَـوْحٍ شراباً مُعَتَّقا

[يترك زوجته ويلحق بأناهيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ . وأخبرنا هاشم بن محمد قال : حدَّثنا دماذُ أبو غسَّان ، عن أبي عبيدة ، قالا : لمّا فَصَل ابنُ مفرِّغ من عند معاوية ، نزل بالمَوْصل على أخواله من آل ذي العشراء من حمير ، قال الهيثم في روايته : فزوَّجوه امرأة منهم ، ولم يذكُر ذلك أبو عبيدة ، فلمّا كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيْلَتِه . خرج يتَصَيَّد ومعه غلامه بُرد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً . فقال له ابنُ مفرِّغ : من أين أقبلت ؟ قال : من الأهواز ، قال : ويحك ! كيف خلّفت المَسرُقان وبَرْدَ مائِه ؟ قال : على حاله . قال : ما فعلتْ دِهْقانة يقال لها أُناهِيدُ بنت أعنق ؟ قال : أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ ؟ قال : نعم ، قال : ما تَجفُّ جفونُها من البكاء عليه . فقال لغلامه : أيْ بُرد ، أما تسمع ؟ قال : بلى . قال : هو بالرَّحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها . فقال له بُرد : أكرمك القومُ وقاموا دُونك ، وزوَّجوك كريمَتَهم ، ثم تصنع هذا بهم ، وتُقدِم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمرِه ولا عهد منه ولا عَقْد ؟ أَبْقِ أيّها الرجل على نفسك ، وأَقِم بمَوْضِعِك ، وابْنِ بأهلِكَ ، وانظُر في أمرك ، فإن جدَّ عزمُك كنتَ حينئذٍ وما تختاره . قال : دَعْ ذا عنك ، هو بالرحمن كافِر إن عَدَل عن الأهواز ولا عَرَّج على شيء غيرها ، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه ، وقال قصيدته[4] : [من الوافر]

سَما بـرقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعـلَّ البرقَ ذاك يَحـورُ نارا

---

1 تقدم تعريف المسرقان . وسرّق : إحدى كور الأهواز .

2 تستر : أعظم مدينة في خوزستان . مدفع السُّلان : مجرى الأودية . ودورق : بلد بخوزستان .

3 هذه أسماء مواضع في الأهواز . وفي الديوان : إلى الكُرْبُج . . . إلى قريات الشيخ . . . من فوق شستقا .

4 ديوانه : 131–133 .

قعدتُ له العِشاءَ فهاج شَوقي وذَكَّـرني المَنـازِلَ والدِّيارا
دِيـارٌ للجُمانـةِ مقْفِـراتٌ بَلِـينَ وهِجْنَ للقَلْبِ ادِّكارا
فلم أملِكْ دُموعَ العَيْنِ مِنِّي ولا النَّفْسَ التي جاشَت مِرارا
بسُرَّقَ فالقُرى مـن صَهرتاجٍ فديـر الراهِبِ الطَّلَل القِفارا[1]
فقلتُ لصاحبي عـرِّجْ قَليلاً نُذاكِرْ شوقَنـا الدُّرسَ البَوارا
بآية مـا غَـدَوْا وهُمُ جَميعٌ فكاد الصبُّ ينتَحِـر انْتِحارا
فقال بَكَوْا لفقدك منذُ حِينٍ زمانـاً ثـم إنَّ الحَيَّ سارا
بدِجْلَة فاستمرَّ بهـم سَفِينٌ يَشُقُّ صُدُورُها اللُّجج الغِمارا[2]
كأن لم أَغْنَ في العَرَصاتِ منها ولَم أَذْعَرْ بقاعَتِهـا صِوارا[3]
ولم أسمَع غِنـاءً مـن خَلِيل وصوتَ مُقَرْطَقٍ خَلَعَ العِذارا[4]

قال : فقدم البصرة فذُكِر لعُبيد الله بن زياد مقدمُه ، فلم يَعرِض له ، وأرسل إليه أن أَقِم آمناً . فأقام بالبصرة أشهراً ، يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزور أناهيدَ ، ويُقيم عندها .

ثم أتى عُبَيْدَ الله بن زياد فقال له : إنِّي امرؤٌ لي أعداء ، ولستُ آمنُ بعضَهم أن يقولَ شيئاً عن لساني يُحْفِظ الأميرَ عليَّ ، وأحِبّ أن يأذن لي أن أتنحَّى عنه . فقال له : حُلَّ حيث شئت ، فخرج حتى قَدِم على شريك بن الأعور الحارثيّ وهو يومئذٍ عامِلُ عُبَيْد الله بن زياد على فارِسَ وكَرْمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيد .

[عبيد الله بن أبي بكرة يكرمه]

أخبرني أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني محمد بن الحكم ، عن عَوانة : أنَّ عُبَيْدَ الله بن أبي بَكرة كتب إلى يزيد بن مُفرِّغ : إنِّي قد توجّهت إلى سجِستانَ فالحَقْ بي ، فلعلّك إن قدِمتَ عليَّ ألاّ تندم ولا يُذَمّ رأيُك . فتجهَّزَ ابنُ مفرِّغ وخرج حتى قدِم سجِستانَ مُمْسِياً ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأمَرَ له بمنزلٍ وفَرْشٍ وخَدَم ، وجعل يُطاوِلُه حتى علِم أنّه قد استَتَمَّ له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيِّىء له ؛ ثم دَعا به في اليوم الثاني فقال له : يا ابن مُفرِّغ ، إنَّكَ قد تجشَّمتَ إليّ

1 صهرتاج : موضع بالأهواز .
2 الغمار : الماء الكثير .
3 الصوار : القطيع من البقر .
4 ل : وصوت مقصَّب .

شُقّة بعيدة ، واتّسع لك الأملُ فرحلتَ إليّ لأقضيَ عنك دَينَك ولأُغنيكَ عن الناس ، وقلتَ : أبو حاتم بسِجِسْتان فمَنْ لي بالغِنى بعده ! فقال : واللهِ ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان في نفسي . فقال عُبيد الله : أما واللهِ لأفعلنّ ولأُقِلَّنّ لبثك عندي ، ولأُحسِنَنّ صِلَتك ؛ وأمر له بمائة ألف درهم ، ومائة وصيفة ومائة وصيف ومائة نَجيبة ، وأمَرَ له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بَلده سوى المائة الألف ، وبمَنْ يكفيه الخِدمة من غِلمانه وأعوانه ، وقال له : إنّ من خِفّة السَّفر ألاّ تهتمّ بخُفٍّ ولا حافرٍ ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيّام .

ثم ارتحل وشيَّعه عُبَيدُ الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها : زالِقُ ؛ ثم قال له : يا ابن المفرِّغ ، إنّه ينبغي للمودّع أن ينصرف ، وللمتكلّم أن يسكُت ، وأنا مَن قد عرَفت ، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بي ورجائِكَ فيَّ ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فعُد ، والسلام .

قال : وسار ابن مُفرِّغ حتى أتى رامهُرْمُزَ ، فنزل بقرية أَبجَر . فنزلتَ إليه بنتُ الأبجر فقالت : يا ابن مفرِّغ ، لِمَنْ هذا المال ؟ قال : لابنة أعنق دهقانة الأهواز ، وإذا رسولها في القافلة بكتابها : إنّك لو كنتَ على العهد الأوّل لتعجّلت إليّ ولم تساير ثَقَلك ، ولكن قد علمتُ أنّ المال الذي أعطاكه عُبيدُ الله قد شَغَلَك عنّي ؛ قال : فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً ، وقد قال لابنةِ أبجر في جواب قولها له[1] : [من الطويل]

حَباني عُبَيْدُ الله يا ابنةَ أبجرٍ بهذا ، وهذا للجُمانةِ أَجْمعُ
يَقَرّ بعيني أن أراها وأهلَها بأفضل حالٍ ذاك مرْأىً ومَسمَعُ
وخُيِّرتُها قالت : لقد حال بَعدنا فقد جعلت نفسي إليها تَطَلَّعُ
وقلتُ لهما لّما أتاني رسولُها وأيُّ رسولٍ لا يضرُّ وينفعُ
أُحِبُّكِ ما دامَتْ بنَجْد وشيجةٌ وما رُفِعت يوماً إلى الله إصبعُ[2]
وإنّي مَليءٌ يا جُمانةُ بالهَوى وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ

قال : فلمّا انتهت رُسُل عُبَيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له : قد بلغنا حيث أُمِرنا ؛ قال : أجل ؛ ثم أمَر ابنةَ أعنَق أن تَفتح الباب وقال لها : كلُّ ما دَخَل دارَكِ فهو لك .

وأقام بالأهواز ، ودعا نُدَماءَ كانوا له من فِتيان العَرب فلم يبقَ ظَريفٌ ولا مُغَنٍّ إلاّ أتاه ، واستَماحه جماعةٌ قصدُوه من أهل البصرة والكوفة والشّام فأعطاهم ، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شيءٌ من المال . وجعل القومُ يسألونه عن عَبيد الله بنِ أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده

1 ديوانه : 144–145 .
2 الوشيجة : عرق الشجرة .

فقال[1] : [من الطويل]

يُسائِلُني أَهلُ العِــراقِ عن النَّدى فقلتُ : عُبَيْدُ اللهِ حِلْـفُ المكارِمِ
فتــى حاتِميٌّ في سِجِستانَ رَحله وحَسبُك جُوداً أن يكون كحاتِمِ
سَمـا لِينـــالَ المَكْرُمـاتِ فنالَها بشِدّة ضِرْغـام وبَــذْلِ الدّراهِمِ
وحِلْمٍ إذا ما سَوْرَةُ الحقْد أُطلَقت حُبـا القوْم عند الفـادِح المُتفاقِمِ
وإنّ لــه في كُلِّ حــيٍّ صَنيعــةً يُحدِّثهـا الرُّكبانُ أهــلَ المَواسِمِ
دَعاني إليــه جـــودُه ووَفاؤه ومنْ دونِ مَسراه عُداةُ الأعاجِمِ
فلـم أَبْقَ إلاّ جُمْعَـةً في جِوارِهِ ويَوْمَيْنِ حَــلاًّ مـن أَلِيَّةِ آثِمِ[2]
إلى أن دَعــاني زانَـه الله بالعُلا فأنبَتَ رِيشي من صَميمِ القَوادِمِ
وقال : إذا مـا شئتَ يا ابنَ مُفرِّغٍ فَعُدْ عـودةً ليست كأَضْغاثِ حالِمِ
فقلتُ لـه ، لا يُبعِـد اللهُ دارَه : أعودُ إذا مـا جئتُكم غيرَ حاشِمِ
وأحمدْتُ وِرْدِي إذْ وردتُ حِياضَه وكلُّ كريــمْ نُهــزَةٌ للأكارِمِ[3]
فأَصبَحَ لا يرجُــو العِراقُ وأَهلُه سِواه لنَفــعِ أو لِدَفــعِ العَظائمِ
وإنَّ عُبَيْــدَ الله هَنّـــأَ رفــدَه سَراحاً وأَعْطى رِفـدَه غيرَ غانِمِ[4]

[يخدع عمّه ليريه أناهيد]

وقال الهيثم في خبره : كان عمرو بن مُفرِّغ ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، رجلاً له جاه وقَدْر عند السُّلطان ، وكان ذا مال وثروة ، وذا دِين وفضْل وصَلاح ، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه في أمرِ أناهيدَ عشيقَته ، ويعذِله ويُعيِّره بها . فلمّا أكثر عليه أتاه يوماً فقال له : يا عمّ ، جُعِلتُ فداك ، إنّ لي بالأهواز حاجةً ، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألفَ درهم قد خفْتُ أن تَتْوى[5] عليّ ، فإن رأيتَ أن تَتجشَّم العناء معي إليها حتى تطالبَ لي بحقِّي ، وتُعينني بجاهك على غُرَمائـي . وكان عمـرو بن مُفرِّغ قد استَخْلفه ابنُ عبّاس عليها ؛ إذ كان عامِلَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وعلى آله ، على البصرة ، وكان عاملَ الأهواز ، حين سأل

1 ديوانه : 202-205 .
2 الألية : القسم .
3 نهزة : فرصة .
4 سراحاً : سهلاً .
5 تتوى : تهلك .

ابنُ مُفرِّغ عمّه أن يخرج معه ، ميمونُ بنُ عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونيّة . فلم يزل ابنُ مفرِّغ بعمّه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهيد أن تهيَّئي وتزيَّني بأحسن زينتك ، واخرُجي إليّ مع جواريك فإنّي موافيك ، ومنزلُها يومئذٍ بين سُرَّق ورامهُرْمز .

فلمّا نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم ، وجلست معهم في هيئَتها وزيّها وحُلِيها وآلتها ، فلمّا رآها عمُّه قال له : قبّحك الله ! أفهلاً إذْ فعلتَ ما فعلتَ كنتَ عَلِقت مثل هذه ؟ فقال : يا عمّ ، أوقد أعجبتك ! فقال : ومَن لا تعجبه هذه ؟ قال : ألَجِدُّ هذا منك ؟ قال : نعم والله . قال : فإنّها والله هذه بعينها ، فقال : يا خبيث إنّما أشخصتَني لهذا ، يا غلام ارحَلْ بنا . فانصرف عمُّه إلى البصرة وأقام هو معها ، ولم يزل يتردَّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيّام مصعب بن الزُّبير .

[احتياله لقضاء ديونه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نصر المُهلَّبيُّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا القَحذميُّ قال : لزِمَ يزيدَ بن مُفرِّغ غُرماؤه بدَيْن ، فقال لهم : انطلِقوا نجلس على باب الأمير ، عسى أن يخرجَ الأشرافُ من عنده فيَروني فيَقْضوا عنّي . فانطلَقوا به ، فكان أوّل مَن خرَج إمّا عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وإمّا طلْحة الطَّلَحات . فلمّا رآه قال : أبا عُثمان ، ما أقعدَك هاهنا ؟ قال : غرمائي هؤلاء لزموني بدَيْن لهم عليّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : عليّ منها عشرة آلاف درهم .

ثم خرج الآخرُ على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خرجَ أحدٌ قبلي ؟ قالوا : نعم فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعليّ مثلُها . قال : ثم جعل الناس يخرجون فمنهم مَن يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً .

وكان يأمُل عُبيدَ الله بن أبي بكرة ، فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادراً ، فلم يَرَه حتى كاد يبلغ بيتَه . فَقِيل له : إنّك مررتَ بابن مفرِّغ ملزوماً ، وقد مرَّ به الأشرافُ فضَمِنوا عنه ، فقال : واسَوْأتاه ! إنّي أخاف أن يظُنّ أنّي تغافَلْتُ عنه ، فكرَّ راجعاً ، فوجده قاعداً ، فقال له : أبا عثمان ما يجلسك هاهنا . قال : غرمائي هؤلاء يلزمونني ، فقال : كم عليك ، قال : سبعون ألفاً ، قال : وكم ضُمِن عنك ؟ قال أربعون ألفاً ، قال : فاستمْتِعْ بها وعليّ دَيْنُكَ أجْمع ، فقال فيه يخاطب نفسه[1] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 197–200 .

لـو شئِتِ لم تَعْنَيْ ولم تَنصَبي   عِشْتِ بأَسبابِ أَبـي حاتِمِ
عِشْتِ بأَسبابِ الجَوادِ الذي   لا يَخْتِمِ الأَمـوالَ بالخاتَمِ
مـن كـفّ بُهلولٍ لـه عُدَّةٌ   مـا إن لِمَن عاداه من عاصِمِ[1]
المُطْعِمِ النّـاسَ إذا حـاردتْ   نكباؤهـا في الزّمـن العارِمِ[2]
والفاصِلِ الخطّة يـوم اللِّجا   للأَمـرِ عند الكُرْبَةِ اللاّزِمِ[3]
جاورتُـه حِينـاً فأَحْمَدْتُـهُ   أُثنـي ومـا الحامِدُ كاللاّئمِ
كَم مـن عدُوٍّ شامتٍ كاشِحٍ   أخزيْتَـه يومـاً ومـن ظالِمِ
أذقْتَـه المـوتَ على غِـرّةٍ   بـأَبيض ذِي رَوْنَـقٍ صارِمِ

[يطرب لغناء بُديح بشعره فيثيبه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدينيّ ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه قال : قدم بُدَيح الكوفةَ ، فغنّى بها دهراً ، وأصاب مالاً كثيراً ، ثمّ خرج إلى البصرة ، ثمّ أَتى الأهواز ، ثمّ عاد إلى البصرة ، فصحب ابن مُفرِّغ في سفينة حتى إذا كان في نهر مَعْقِل تغنّى وهو لا يعرف ابنَ مُفرِّغ بقوله : [من الوافر]

سَما بـرقُ الجُمانة فاستَطارا   لعـلّ البرقَ ذاك يعودُ نـارا

قال : فَطرب ابنُ مُفرِّغ وقال : يا ملاّح ، كُرّ بنا إلى الأهواز ، فكرَّ وهو يُغنّيه ، ثمّ كَرَّ راجِعاً إلى البصرة ، وكرّوا معه ، وهو يُعيد هذا الصوت . قال : ووصل ابن مُفرِّغ بُدَيْحاً وكساه .

صوت[4]

[من الطويل]

رَضِيتُ الهَوى إذ حَلَّ بـي مُتَخيِّراً   نديماً ومـا غَيري لـه مَن يُنادِمُهْ
أُعاطِيـه كأسَ الصَّبرِ بَيني وبينَه   يُقاسِمُنِيهـا مـرّةً وأُقاسِمُـهْ

يقال : إنّ الشِّعر لبشّار ، والغناء للزُّبير بن دَحْمان ، هزج بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكّي .

---

1 البهلول : السيد الجامع لكل خير .
2 حاردت السنة : قلّ مطرها . والنكباء : ريح انحرفت عن الجهات الأربع . والعارم : الشديد .
3 الديوان : اللحا ، وهو الملاحاة قصره لضرورة الوزن .
4 ديوان بشار (ابن عاشور) 4 : 684 (عن الأغاني) وقد جعل فيه الثاني أولاً .

[392] ـ أخبار الزُّبير بن دحمان

[قدومه من الحجاز]

قد مضَت أَخبارُ أَبيه ، ونَسبُه وولاؤُه في متقدّم الكتاب[1] ، وكان الزُّبيرُ أَحدَ المُحسِنين المُتْقِنين الرّواة الضُّرّاب ، المتقدِّمين في الصنعة ، وقَدِم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنُّون في أيّامِه حزبين : أحدُهما في حِزْب إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، والآخر في حزْب ابن جامِع وابن المهديّ . وكان إبراهيم بن المهديّ أوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق ، وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق ، وأُخوه عبد الله في حزب إبراهيم بن المهديّ .

فأَخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أَبيه قال : لمّا قَدِم الزُّبير بنُ دحمان على الرشيد من الحجاز ، قَدِم منه رجلٌ ما شئْتَ من رجُل ، عقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً ، وكان أَبُوه قبله كذلك ، وقدِم معه أخوه عبد الله . فلمّا وصلا إلى الرشيد ، وجلسا معنا ، تخيَّلتُ في الزُّبير الفَضل فقلت لأبي : يا أبتِ ، أخلِق بالزُّبير أَن يكون أفضلَ من أخيه ، فقال : هذا لا يَجيء بالظَّنّ والتَّخيُّل ، والجَوادُ إنّما يُمتَحَن في الميدان ، فقلت له : فالجوادُ عينه فِرارُه[2] ، فضَحِك وقال : نَنظُر في فِراسَتِك ، فلمّا غَنّيا بان فَضْلُ الزُّبير وتقدُّمه ، فاصْطَفاه أبي واصْطَفَيْتُه لأنفُسنا ، وقرَّظْناه ووصَفْناه ، وصار في حَيِّزنا وغنَّى الرشيد غناءً كثيراً من غناء المُتقدِّمين فأجادَ وأحسنَ ، وسأله الرشيد أن يُغنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، فالْتَوى بعضَ الالتواء وقال : قد سمع أميرُ المؤمنين غِناءَ الحُذّاق من المتقدّمين وغناءَ مَن بحضرته من خدَمه ، ومَن وفَد عليه من الحجازيِّين ، وما عسى أن يأْتيَ من صَنْعَتي ؟ فأقسَمَ عليه أَن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، وجَدَّ به في ذلك ، فكان أَوَّلَ صوتٍ غنّاه منها : [من الخفيف]

صوت

ارحَلا صاحِبَــيَّ حانَ الرَّحِيلُ وابْكِياني فليس تَبْكِـي الطُّلُولُ
قد تَولَّى النَّهارُ وانقَضَتِ الشَّمْـ ـسُ يَميناً وحــان منها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

---

1 في الجزء السادس : 19 .

2 المثل «الجواد عينه فراره» في مجمع الميداني 1 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 308 والدرة الفاخرة 2 : 416 . والفرار بكسر الفاء وفتحها وضمّها النظر إلى أسنان الدابة لمعرفة سنّها . ويضرب المثل لمن يدلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختباره .

قال : فسمعتُ والله صَنعة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها . فطَرِب الرشيدُ واستعادَ هذا الصوت ثلاث مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف دِرهم ، ولأخيه بعِشرين ألف درهم . ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منّا ، وانحازَ عبد الله إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ ، فكان معه . قال حمّاد : فقلتُ لأبي : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجمِل لك القول : لو كان زبير مملوكاً لاشتريْتُه بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشْتَرِيَه بأكثر من عشرين ديناراً . فقلت : قد أجبْتَني بما يكفيني .

حدَّثني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أنَّ الرشيد كتب في إشخاص الزُّبير بن دحمان إلى مدينة السَّلام ، فوافاها واتَّفق قدومُه في وقت خروج الرشيد إلى الرَّيّ لمحاربة بِنْدارهُرْمُز أصبهبذ طَبَرستان . فأقام الزُّبير بمدينة السَّلام إلى أن دخل الرشيد ، فلمّا قدِم دخل عليه بالخَيْزُرانية ، وهو الموضع الذي يعرف بالشَّمَّاسيّة ، فغنّاه في أوّل غنائه صوتاً في شِعْر قاله هو أيضاً في الرشيد مدَحه به ، وذكر خروجَه إلى طبرستان وهو[1] : [من الطويل]

صوت

ألا إنَّ حِـزْبَ الله ليس بمُعْجزِ	وأنصـارُه في مَنْعَـــة المُتحَـرِّزِ
أبى اللهُ أن يُعصى لِهـارُونَ أمرُه	وذَلَّـــت لـه طَوْعـاً يَـدُ المُتعزِّزِ
إذا الرَّايةُ السَّوداءُ راحَتْ أو اغْتَدَتْ	إلى هارِبٍ منهـــا فليس بمُعْجِزِ
لَطاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لدى الوغى	وكَبَّـر للإسلامِ بنـــدارُ هُرْمُزِ

لم أجِدْ هذا الصوت منسوباً في شيءٍ من الكتب إلاّ في كتاب بَذْل ، وهو فيه غير مُجنس .

وذكر إبراهيم بنُ المهديّ أنَّ الشِّعر للزُّبير بن دحمان ، وهذا خطأ ؛ الشِّعر لأبي العتاهية وهو موجود في شِعرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

قال أبو إسحاق : فاستَحسنَ الرَّشيد الشِّعْرَ والغناء ، وأمر له بألفِ دينار فدُفِعَت إليه ، ومكث ساعةً ثم غنَّى صوتاً ثانياً وهو : [من المتقارب]

صوت

وأحورَ كالغُصْنِ يَشْفي السَّقامَ	ويَحكِي الغَــزالَ إذا مــا رَنا
شَرِبتُ المُــدامَ على وَجْهِــهِ	وعاطَيْتُه الكأسَ حتــى انْثَنى

1 ديوان أبي العتاهية : 563 .

وقُلْـتُ مَدِيحاً أُرَجِّي بـه ... من الأَجْرِ حَظّاً ونَيْلَ الغِنى
وأَعنـي بـذاك الإمامَ الذي ... بـه اللّهُ أَعطـى العِبادَ المُنى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق .

قال : فما فرَغ من الصوت حتى أَمر له بأَلف دينار آخر فقبَضَه ، وخفَّ على قلبِه واستَظْرَفه ، فأغْناه في مدّة يسيرة من الأيّام .

[يهيج في الرشيد ندمه على نكب البرامكة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني أَبو توبة ، عن القطرانيّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأَسفِ عليهم ، والتَّندُّم على ما فعَله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بنُ دحمان ، فكان يُغنِّيه في هذا المعنى ويُحَرِّكه ، فغنّاه يوماً والشعر لامرأة من بني أَسَد : [من البسيط]

مَنْ للخُصومِ إذا جَدَّ الخِصامُ بهم ... يومَ النِّزالِ ومَـنْ للضُّمَّرِ القُودِ[1]
ومَوقفٍ قـد كَفيتَ النّاطِقِين به ... في مَجْمَعٍ من نَواصي النّاسِ مَشْهودِ[2]
فَرَّجتَـه بلسان غيـرِ مُلْتَبِسٍ ... عنـد الحِفاظِ وقولٍ غيرِ مردودِ

فقال له الرشيد : أَعِدْ ، فأَعاده . فقال له : ويْحَك ! كأَنَّ قائلَ هذا الشِّعر يَصِف به يحيى بنَ خالد ، وجعفر بنَ يحيى . وبَكى حتى جَرَت دموعُه ، ووصَل الزبير صِلةً سَنِيّة .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد قال : كان أَبي يقول : ما كان دَحمان يُساوي على الغِناء أربعمائة درهم ، وأشبهُ خَلْقِ اللهِ به غناء ابنه عبد الله . وكان يُفضِّل الزُّبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً . وفي الزُّبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء هو : [من الكامل]

صوت

أَسعِدْ بدَمْعِكَ يـا أَبا العَـوَّامِ ... صَبّاً صريعَ هَوًى ونضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأَحِبَّة فاستُجِنَّ وَهاجَه ... للشوقِ نـوحُ حَمامةٍ وحَمامِ
لم يُبدِ مـا في الصَّدْرِ إلاّ أَنَّه ... حيّـا العِـراقَ وأَهلَـه بسلامِ
ودَعـاه داعٍ للهَوى فأَجابَه ... شَوْقـاً إليـه وقـادَه بزِمامِ

الشعر والغِناء لإسحاق ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرَّقَّة مع الرشيد يتشوَّق إلى العراق .

---

1 ل : يوم الجدال .
2 نواصي الناس : أشرافهم .

[تشوّق إسحاق لبغداد]

أخبرني عمّي قال: حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدَّثني جدِّي عن حَمدون بن إسماعيل قال: قال لي إسحاق: كنّا مع الرشيد بالرَّقّة، وخرج يوماً إلى ظهرِها يَصِيد، وكنتُ في موكبه أُسايرُ الزُّبير بن دحمان، فذكَّرني بغدادَ وطيبها وأهلي وإخواني وحُرَمي فتشوَّقتُ لذلك تشوُّقاً شديداً، وعرض لي همٌّ وفِكْرٌ حتى أبكاني. فقال لي الزُّبير: ما لكَ يا أبا محمد؟ فشكوتُ إليه ما عرض لي، وقلت: [من الكامل]

أسعِدْ بدَمْعِكَ يـا أَبـا العَوَّامِ ... صَبّاً صرِيعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقي الأبيات، وعلِمت أنّ الخبر سيَنْمي إلى الرشيد، فصنَعت في الأبياتِ لحناً، فلمّا جلس الرشيد للشُّرب ابتدأْتُ فغنَّيتُه إيّاه، فقال لي: تشوَّقْتَ والله يا إسحاق وشوَّقتَ وبلغْتَ ما أردْت، وأمَر لي بثلاثين ألف درهم، وللزُّبير بعشرين ألفاً، ورحَلَ إلى بغدادَ بعد أيّام.

[غضب الفضل على إسحاق]

أخبرني يَحيى بنُ عليّ بنِ يحيى المُنَجِّم قال: أَخبرني أَبي قال: قال لي إسحاق، وأَخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أَبي سعد قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال: جاءَني الزُّبير بنُ دَحمان ذات يوم مُسلِّماً، فاحتبسته فقال: قد أمرني الفَضْل بن الرَّبيع بأن أصيرَ إليه فقلت: [من الطويل]

أَقِمْ يـا أَبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ ... ونَلْهُو مع اللاَّهِينَ يومـاً ونَطربُ

إذا مـا رأَيتَ اليومَ قد جاءَ خَيرُه ... فخُذْه بشُكْرٍ واترك الفَضْلَ يَغْضَبُ

قال: فأقام عندي فشرِبنا باقي يومنا، ثم سار الزُّبير إلى الفَضْلِ، فسأله عن سبب تأخّره عنه، فحدَّثه بالحديث، وأنشده الشعر؛ فغضب وحوّل وجهه عنِّي، وأمرَ عَوناً حاجبَه ألاَّ يُدْخِلني اليوم ولا يستأْذن لي عليه، ولا يُوَصِّل لي رُقعة إليه، قال: فقلت: [من الطويل]

حَرامٌ عليَّ الكأْسُ ما دُمْتَ غَضْبانا ... ومـا لم يَعُدْ عنِّـي رِضاكَ كما كانا

فأَحسِنْ فإنِّي قـد أَسأْتُ ولم تَزَلْ ... تُعـوِّدُني عنـدَ الإساءَةِ إحسانا

قال: وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضي عنِّي، وعاد لي إلى ما كان عليه.

وأَخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران، وزاد فيه: وقلت في عَوْن حاجِبِه: [من الخفيف]

عونُ يـا عـونُ مثلَك عَوْنُ ... أنتَ لي عُـدَّةٌ إذا كان كَوْنُ

لكَ عندي واللهِ إن رَضِيَ الفَضْـ ـلُ غُلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ الفضْلَ بالشِّعرَيْن جميعاً ، فلمّا قرأهما ضحِك وقال له : ويلك إنّما عرَّض لك بقوله : «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة ؛ فقال : قد وعدني ما سمعتَ ، فإن شئت أن تحرِمنيه فأنت أعلم . فأمره أن يُرسل إليّ ، وأتاني رسولُه فصرتُ إليه ورضي عنّي .

[إسحاق والزُّبير يحكّمان حبشيّاً في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : حدَّثني إسحاقُ قال : كان عندي الزُّبير بن دَحمان يوماً ، فغنَّيتُ لحنَ أبي : [من الطويل]

أشاقَك من أرض العراقِ طُلُولُ تَحمَّل منها جيرةٌ وحُمولُ !

فقال لي الزُّبير : أنتَ الأستاذ وابن الأستاذ السيِّد ، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنّيه أحسن . فقلت له : واللهِ إنّي لا أُحبُّ أن يكون ذلك كذلك . فغَضِب وقال : فأنا واللهِ أحسنُ غناء منك . وتلاحَيْناً طويلاً ، فقلتُ له : هلُمَّ نخرج إلى صحراء الرَّقّة ، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك ، ونَرْضى في الحكم بأوّل مَن يطلُع علينا ، قال : أفعلُ . فأخرجنا طعامَنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفُراتِ ، فأقبلَ حَبَشيٌّ يحفِر الأرض بالبال[1] ، فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم ، فدعَوناه فأطعَمْناه وسقَيْناه ، وبدرني الزُّبير بالغناء ، فغنّى الصوت ، فطَرُب الحَبَشيُّ وحرَّك رأسَه حتى طمع الزُّبير فيّ ، ثم أخذتُ العودَ فغنّيته فتأمّلني الحبشيُّ ساعة ثم صاح : وأيّ شيطان هوه ! ومدَّ بها صوته ، فما أذكر أنّي ضَحِكت مثلَ ضَحكي يومئذٍ ، وانخزَلَ الزُّبير .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

أشاقَك مـن أرضِ العِراقِ طُلُولُ تحمَّـل منهـا جيرة وحُمولُ !

وكيف ألَـذُّ العيشَ بعـد مَعاشرٍ بهم كنتُ عند النَّائبات أصولُ !

الشعر لأبي العتاهية ، والغِناء لإبراهيم ثَقِيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن أحمد بن المكّي ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى .

1 ل : بالناب .

2 ديوان أبي العتاهية : 599 .

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بها أبو العتاهية الفضْلَ بن الربيع . قال : أنشدَنيها عبد الله بن الربيع الربيعيّ ، قال : أنشدنيها أبو سُوَيد عبدُ القَويّ بنُ محمد بن أبي العتاهية لجدِّه يمدحُ الفضلَ بن الربيع . وإنّما ذكرتُ ذلك هاهنا لأنَّ من الناس مَن ينسُبُهما إلى غيره ، فذكرتُ الأبيات الأُوَل ، وفيها يقولُ في مدح الفضلِ بن الربيع : [من الطويل]

قبائِل مِنْ أقْصى وأدْنى تَجَمَّعَتْ ... فهُنَّ على آلِ الرَّبيعِ كلولُ
تمرُّ رِكابُ السَّفْر تُثني عليهمُ ... عليها من الخَيْرِ الكَثِير حُمولُ
إليكَ أبا العبَّاسِ حَنَّتْ بأهلِها ... مغانٍ وحَنَّت ألسنٌ وعُقولُ
وأنتَ جَبِينُ المُلْكِ بل أنتَ سَمعُه ... وأنتَ لِسانُ المُلْكِ حين تَقولُ
وللمُلْكِ مِيزانٌ يداك تُقيمُه ... يزولُ مع الإحسانِ حيث يَزُولُ

[غناء الزُّبير بشعر ابن الأحنف]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني المُغيرةُ بنُ محمد المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني رجل من ثقيف ، قال : غضب الرشيد على أُمّ جعفر ، ثم ترضَّاها فأبَتْ أن تَرْضى عنه ، فأَرِق ليلَته ثم قال : افرِشُوا لي على دَجْلة ، ففعلوا ، فقعد ينظُر إلى الماءِ وقد رأى زيادةً عجيبة ، فسمِع غناء في هذا الشعر[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السيلُ فاستَبْكانيَ السَّيْلُ إذ جَرى ... وفاضَتْ له من مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ[2]
وما ذاكَ إلاّ حين خُبِّرتُ أنَّهُ ... يمُرُّ بوادٍ أنتِ منه قَرِيبُ
يكونُ أُجاجاً ماؤُه فإذا انْتَهى ... إليكم تَلقَّى طِيبَكم فيَطِيبُ
فيا ساكِني شَرْقيّ دِجْلة كُلُّكم ... إلى القَلْبِ من أجلِ الحَبِيبِ حَبِيبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دحمان ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ : فسألَ عن النّاحية التي فيها الغِناء فقيل : دارُ ابن المُسَيَّب . فبعث إليه أن ابْعَثْ بالمُغنّي ، فإذا هو الزُّبير بن دَحْمان ، فسأله عن الشعر فقال : هو العبّاس بن الأحنَف ، فأُحضِر واستنشدَه ، فأنشده إيّاه ، وجعل الزُّبير يُغنِّيه وعبّاس يُنشده ، وهو يستَعيدُهما ، حتى أصبح ، وقام فدخَل إلى أُمّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله فعرَّفَتْه ، فوجَّهتْ إلى العبّاس بألفِ دينار ،

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 45 .
2 غروب في الديوان : سروب .

وإلى الزّبير بألف دينارٍ أُخرى .

[الرشيد يفضله على المغنّين]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد ، عن جدِّه حَمْدون قال : تشوَّق الرشيد بغدادَ وهو بالرَّقَّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدّة ، وخلّف هناك بعضَ جواريه ، وكانت حَظِيَّةٌ له فيهنّ خلَّفها لمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها ، فتشوَّقها تشوُّقاً شديداً ، وقال فيها : [من المتقارب]

سَلامٌ عـلى النّـازح المُغْتَرِبْ تحيَّـة صَـبٍّ بـه مُكْتَئِبْ
غَـزالٌ مراتِعُـه بـالبَلِيخِ إلى ديرِ زَكّى فجِسْرِ الخَشَبْ[1]
أيـا مَـنْ أعـانَ على نَفْسِه بتخليفِه طائعـاً مَـنْ أحَبّ
سأسْتُرُ والسَّتر مـن شِيمَتي هَوى مـن أُحِبّ لِمَن لا أُحِبّ

وجمع المغنّين ، فحضر إبراهيم الموصليّ ، وابن جامع ، وفُلَيح ، وزبير بن دحمان ، والمُعلّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام ، ويَحْيى المكّي ، وابنه ، وإسحاق ، وأبو زَكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمَلْ كلّ واحدٍ منكم فيه لحناً . قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحناً ، فما أُعجِب منها إلاّ بلحن[2] الزُّبير وحده ، أُعجِب به إعجاباً شديداً ، وأجازه خاصَّة دون الجماعة بجائزة سَنِيّة .

غنَّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى ، ولفُليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالبنصر ، ولابن المكّيّ ثقيل أوَّل بالوسطى ، وللزُّبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وللمُعلَّى خفيف رمل بالوسطى ، ولإسحاق رمل بالوسطى ، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى .

صوت

[من الرجز]

يـا ناعِشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرْ وجابِرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انْكَسَرْ
أنـتَ ربيعِـي والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ وخَيرُ أنـواء الرَّبيعِ مـا بَكَرْ

الشعر للعُمانيّ الراجز ، والغناء لشارِيةَ خفيف رمل ، من كتاب ابن المعتزّ وروايته .

---

1 البليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها .

2 ل : بلحني .

[393] ـ نسب العمانيّ وخبره[1]

[نسبه]

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامة بن بَلْهِيَّة الحَنْظَلِيّ ثمّ الدَّارميّ صَلِيبَة ، وقيل له : العُمانيُّ ، وهو بَصْريٌّ ؛ لأنّه كان شديد صُفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره . مثل أشْجَع وسَلْم ومروان ، ولكنّه كان لطيفاً داهياً مقبولاً ، فأفادَ بشعره أموالاً جليلة .

[الرشيد يجزل له الصلة]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن جَبْر بن رياط الأسديّ : أنَّ عبدَ الملك بنَ صالح أدخل العُمانيَّ على الرشيد فأنشده : [من الرجز]

يا ناعِشَ الجَدّ إذا الجدُّ عَثَرْ وجابرَ العَظْم إذا العَظْمُ انكَسَرْ
أنتَ رَبيعي والربيعُ يُنتَظَرْ وخيرُ أنواء الربيعِ ما بَكَرْ

فقال له الرشيد : إذاً يَبكُر عليك ربيعُنا ، يا فَضْل ، أعطِه خمسة آلاف دينار ، وخمسين ثوباً .

قال إسحاق : قال جَبْر : لمّا دخل الرشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانيّ ، فلمّا بَصُرَ به ناداه : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأكْرمِين مَنْصبا لمّا ترحَّلْتَ فصرتَ كَثَبا
من أرضِ بَغْدادَ تَـؤُمُّ المَغْرِبا طابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبا
ونَزَل الغيْثُ لنا حتى رَبا ما كان من نَشْزٍ وما تَصَوَّبا[2]
فمَرْحَباً ومرحَباً ومَرْحَبا

فقال له الرشيد : وبك مرحباً يا عُمانيّ وأهلاً ، وأَجْزَلَ صِلَتَه .

[في بيعة الأمين]

أخبرني محمد بنُ جعفر النّحويُّ صِهرُ المبرّد المعروف بابن الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا محمد بنُ

1 ترجمة العماني الراجز في الشعر والشعراء : 641–642 والمحمدون : 322 والموشح : 455–456 وطبقات ابن المعتز : 109–114 وتاريخ بغداد 5 : 270 .

2 النشز : ما ارتفع . وتصوب : انحدر .

موسى عن حمّاد قال : قال العُتبيّ : لمّا وجّه الفَضلُ بنُ يحيى الوفدَ من خُراسان إلى الرشيد يَحُضُّونه على البيعة لابنه محمد قَعَدَ لهم الرشيد ، وتكلّم القومُ على مراتبهم ، وأظهروا السرورَ بما دعاهم إليه من البيعة لابنه . وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العُمانيُّ ، فقام بين صفوفِ القُوّادِ ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

لمّا أتانا خبرٌ مُشَهَّرُ ... أغرُّ لا يَخفى على مَنْ يُبصِرُ
جاءَ به الكوفيُّ والمُبَصِّرُ ... والراكِبُ المُنجِدُ والمُغَوِّرُ
يُخَبِّرُ النّاسَ وما يَستَخبِرُ ... قلتُ لأصحابي ووَجْهي مُسْفِرُ
وللرجالِ : حَسْبُكُمْ لا تُكثِرُوا ... فاز بها محمدٌ فأقْصِرُوا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ ... في كُتُب العِلمِ التي تُسَطَّرُ
فقل لِمَن كان قَديماً يَتْجَرُ : ... قد نُشِرَ العَدْلُ فبيعُوا واشْتَرُوا
وشرِّقوا وغرِّبوا وبَشِّروا ... فقد كَفى اللهُ الذي يُسْتَقْدَرُ
بمَنّه أفعال ما قد يُحْذَرُ ... والسيفُ عَنّا مُغمَدٌ ما يُشهَرُ
وقُلِّد الأمرَ الأغرُّ الأزهَرُ ... نَوءُ السِّماكَيْن الذي يُستَمْطَرُ
بوَجْهِهِ إن كان عامٌ أغْبَرُ ... سُرَّتْ به أسِرَّةٌ ومِنبَرُ
وابتَهَج النّاسُ به واستَبْشَرُوا ... وهلَّلوا لربِّهم وكَبَّرُوا
شُكراً ومن حقِّهمُ أن يَشْكُروا ... إذ ثَبَتَتْ أوتادُ مُلكٍ يَعْمُرُ
من هاشمٍ في حَيْث طابَ العُنْصرُ ... وطاحَ مَنْ كان عليها يزفِرُ
إنّ بني العَبّاسِ لم يُقَصِّروا ... إذ نهضوا لملكهم فشَمَّروا
وعَقَلوا ونَزَعوا وأمَّرُوا ... ودَبَّروا فأحْكَمُوا ما دَبَّرُوا
وأوردُوا بالحَزْمِ ثم أصدَرُوا ... والحَزْم رأيٌ مثلُه لا يُنْكَرُ
إذا الرِّجال في الرِّجالِ خُيِّروا ... يا أيّها الخليفةُ المُطَهَّرُ
والمؤمِنُ المُبارَكُ المُوقَّرُ ... والطَّيِّبُ الأغْصانِ والمُظَفَّرُ
ما النّاسُ إلاّ غَنَم تَنَشَّرُ ... إن لم تَدارَكْهُم براعٍ يَخطِرُ
على قَواصي طُرْقِها ويستُرُ ... ويمنَع الذِّئبَ فلا يُنفِّرُ
فامنُنْ علينا بيَدٍ لا تُكفَرُ ... مَشْهورةٍ ما دام زَيْتٌ يُعصَرُ
وانظر لنا وخلِّ مَنْ لا ينظرُ ... واجْسِرْ كما كان أبوك يَجْسِرُ

لا خير في مُجَمْجَمٍ لا يَظْهَرُ ولا كتـابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ[1]
وقـد تربَّصت فليس تُعْـذَر فليت شِعْري مـا الذي تَنْتَظِرُ
أأنت قائِـمٌ بـه أم تَسْخَرُ مالـك في محمـدٍ لا تَعذِرُ
وليتَ شِعْرِي والحديثُ يُؤثَرُ أترقُـدُ الليـلَ ونحـن نسهَرُ
خوفـاً على أُمورنـا ونَضْجَرُ واللهِ واللهِ الـذي يُستَغفَرُ
لأَنْ يمـوتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ خَيرٌ لنـا مـن فِتْنَةٍ تَسَعَّرُ
يَهلِك فيهـا دينُهم ويُوزَروا وقد وَفى القومُ الذين انْتَصَروا[2]
لصاحب الرُّوم وذاك أصغـرُ منـه وهـذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكم العِلْجُ وهـذا الجَوْهَرُ يَنْمـي بـه محمـدٌ وجَعْفَرُ
والخُلَفـاءُ والنَّبـيُّ الأكبَرُ ونَبعـةٌ مـن هاشمٍ وعُنْصُرُ
واعلمْ وأنتَ المـرءُ لا يُبَصَّرُ واللهُ يبقيـك لنـا وتجبرُ
منّا ذوي العُسْرة حتى يُوسِرُوا أَنَّ الرِّجـالَ إن وَلُوها آثَرُوا
ذَوي القَراباتِ بها ، واستأْثَرُوا بها ، وضَلَّ أمرُهم واستَكْبَرُوا
والمُلكُ لا رِحْـم لـه فيأصِرُ ذا رَحِـمٍ والنّاسُ قد تَغَيَّروا
فأَحكِمِ الأمـرَ وأنـتَ تَقْدِرُ فمِثْلُ هـذا الأمْـرِ لا يُؤَخَّرُ

فلمّا فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أَبْشِر يا عُمانيّ بولاية محمد العهد . فقال : إي والله يا أمير المؤمنين ، بُشْرى الأرض المُجدِبة بالغَيث ، والمرأةِ النَّزور بالولد ، والمريضِ المُدنَف بالبُرء . قال : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّه نسيج وحده ، وحامي مجده ، ومُوري زَنده . قال : فما لك في عبد الله [3] ؟ قال : مَرعًى ولا كالسَّعدان[4] . فتَبَسَّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابيّ ما أعرفَه بمواضع الرغبة ، وأسرعَه إلى أهلِ البَذْلِ والعائدة ، وأبعدَه من أهل الحَزْمِ والعَزْمِ ، والذين لا يُستمنح ما لديهم بالثّناء ، أمّا والله إنّي لأعرف في عبدِ الله حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهديّ ، وعِزَّ نَفْس الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبْتُه إليها .

1 المجمجم : المخفي في الصدر .
2 يوزروا : يصابون بالوزر ، وهو الذنب .
3 يعني المأمون .
4 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

[أرجوزة في ترشيح القاسم]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليّ بن الحسن الشَّيبانيّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حمّاد ، عن أبي محمد المطبخيّ ، عن عليّ بن الحسن الشّيبانيّ قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ ، عن جبير بن ضُبينة الطائيّ ، قال : أخبرني الفضل قال : حضرتُ الرشيد يوماً وجلس للشعراء ، فدخل عليه الفضلُ بنُ الربيع وخلفه العُمانيّ ، فأدْناه الرشيد واستنشده ، فأنشَده أرجوزةً له فيه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع : [من الرجز]

قُــلْ للإمام المقْتَدى بأَمِّهِ : مـا قاسمٌ دُونَ مَدى ابنِ أُمِّهِ[1]
وقــد رَضِيناه فقُمْ فسمِّـهِ

قال : فتبَسَّم الرّشيد ثم قال : ويحك ! أما رَضِيتَ أن أولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلي ! فقال له العُماني : ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامَك على رِجْلَيْك ، إنّما أردتُ قيام العَزم . قال : فإنّا قد ولَّيناه العهد ، وأمرَ بالقاسم أن يحضر . ومرَّ العُمانيُّ في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها ، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه فقال له : يا قاسم ، عليك جائزة هذا الشَّيخ ، فقد سألنا أن نولِّيَك العهد وقد فعلنا ؛ فقال : حكمك يا أمير المؤمنين . فقال : وما أنا وهذا ! بل حكمك ، وأمر له الرَّشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أُخرى مُفردَة .

[أكرمه أبو الحر التميميّ فمدحه]

أُخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : دخل محمد بن ذُؤيب العُمانيّ على أبي الحرّ التّميمي بالبصرة ، فأطعَمه وسقاه وجلَّله بكساء فقال فيه : [من الرجز]

إنّ أَبــا الحُـــرِّ لَعَينُ الحُـر يدفــع عنّــا سَبراتِ القُرِّ[2]
باللحم والشَّحمِ وخُبز البُرّ ونُطْفَــة مكنُونَـــة في الجَرِّ[3]
يَشْرَبهــا أَشياخُنـــا في السِّرّ حتـى نَـــرى حديثَنـا كالدُّرِّ

---

1 قاسم بن هـارون الرشيد جعلـه أبوه وليّاً للعهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقب المؤتمن . ومات في خلافة المأمون . وأم القوم : تقدّمهم .

2 سبرات : جمع سبرة ، وهي الغداة الباردة .

3 الجرّ : جمع جرّة .

[يمدح عبد الملك بن صالح]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حمّاد ، عن أبيه قال : قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشميَّ متوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ، ومدَح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها : [من المتقارب]

نمَتْـه العَرانـينُ مـن هاشمٍ إلى النَّسَبِ الأَوضح الأَصْرحِ[1]
إلى نَبْعـةٍ فرعُهـا في السماء ومغرسُهـا سُرَّةُ الأَبطـحِ

فأَدخَله عبدُ الملك إلى الرشيد بالرَّقَّة فأَنشده : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأَكرمين حَسبا لَـمّـا ترحَّلْـتَ فكنـتَ كَثَبا
مـن أَرضٍ بغدادَ تؤمُّ المغرِبا طابَتْ لنا ريحُ الجَنوبِ والصَّبا
ونَـزلَ الغيثُ لنـا حتى رَبا مـا كان من نَشْزٍ وما تصوَّبا
فمَرْحبـاً ومَرْحَبـاً ومَرْحَبا

فأَعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

[طعام محمد بن سليمان]

أَخبرني عمِّي والحُسَين بنُ القاسم الكوكبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا إسحاقَ بن عبد الله الأَزديّ ، عن محمد بنِ عبدِ الله العامريِّ القُرشيِّ ، عن العُمانيّ الشاعر : أنّه تغدّى مع محمد بن سليمان بن عليّ ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيّةٌ[2] في لبن عليها سكر ، ثم تتابع الطّعام ، فقال له : قُل فيما أَكلت شعراً تصفه ، فقال : [من الرجز]

جـاؤوا بفُرْنـيّ لهم مَلبونِ بـات يُسَقَّى خالصَ السُّمُونِ
مُصَوْمَعٍ أَكـومَ ذي غُضون قد حُشِيتْ بالسكّر المَطْحونِ[3]
ولَوَّنوا مـا شِئْت مـن تلوينِ مـن بـاردِ الطّعامِ والسّخينِ
ومن شراسِيف ومـن طُرْدِين ومن هُـلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ[4]

---

1 العرانين : السادة والأشراف .
2 الفرنية : خبز مستدير .
3 مصومع : مجمع مرتفع .
4 شراسيف : جمع شرسوف ، وهو الغضروف العالق بطرف الضلع المشرف على البطن . والطردين : طعام للأكراد . والهلام : طعام من لحم . والمصوص : طعام يطبخ منقوعاً في الخل .

ومــن إوَزٍّ فائــقٍ سَمــينِ ومن دَجاجٍ قِيتَ بالعجينِ[1]
فالشَّحْم في الظُّهور والبُطونِ وأتبَعُــوا ذلــك بــالجَوْزِينِ
وبالخَبِيصِ الرَّطْــبِ واللَّــوْزِينِ وَفكِّهُــوا بِعنَــبٍ وتِــينِ
والرُّطــبِ الأزاذِ والهَيْرونِ محمــد يــا سيِّــد البَنِينِ[2]
وبِكْــرِ بِنتْ المُصطفى الأمينِ الصــادقِ المُبــاركِ المَيْمونِ
وابــنِ وُلاةِ البَيْتِ والحَجُونِ اسمعْ لنعــتٍ غيرِ ذي تَفنينِ
يخْرُجُ مــن فــنٍّ إلى فُنونِ إن الحديثَ فيكَ ذو شُجونِ[3]

[العمانيّ لقب أطلق عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : حدَّثني أبو هاشم القَيْنيّ قال : كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانيُّ الراجز من أهل البصرة ، ويُكنى أبا عبد الله ، وإنّما قِيل له العُمانيّ لأنّه أقبل يوماً وقد خرج من عِلَّة ووجهُهُ أصفَر ، فقال له بعض أصحابنا : يا أبا عبدَ الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنّك جمل عُمانيٌّ . قال : وكانت جِمال عُمان تحمِل الوَرْس من اليمَن إلى عُمان فتَصفرّ ، قال : وهو من بني تميم ثم من بني فُقَيم .

[عيسى بن موسى يصله]

قال : فقَدِم على عيسى بن موسى ، فلمّا وصل إليه أنشدَه مديحاً له وَفَدَ إليه به ، فاستَحسنَه ووَصلَه واقْتطَعَه إليه وخصَّه ، وجعله في جُلَسائه ، فقال العُمانيُّ فيه : [من الرجز]

مــا كنتُ أدري ما رَخاءُ العَيْشِ ولا لبِستُ الوَشْيَ بعــد الخَيْشِ
حتــى تمدَّحْــتُ فتــى قُرَيشِ عِيسى ، وعِيسى عند وقْتِ الهَيْشِ[4]
حــين يخــفّ غَيــرُه للطَّيشِ زَيْــنِ المقيمــين وعِــزّ الجَيْشِ
راش جَناحــيَّ وفــوق الرِّيشِ

1 قيت : من القوت ، أي أضيف إليه العجين .

2 الأزاد : نوع من الرطب . والهيرون : البرّيّ من التمر والرطب .

3 المثل «الحديث ذو شجون» في مجمع الميداني 1 : 197 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 1 : 310 وفصل المقال : 67 .

4 الهيش : الفساد والهياج .

[في حصار هرقلة]

أخبرني حبيبُ بن نَصْر المهلبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال : حدَّثنا موسى بنُ صُبيح المروزيّ قال : خرج الرشيدُ غازياً بلادَ الروم ، فنزَل بهِرَقْلَةَ ، ونَصَبَ الحربَ عليها ، فدخل عليه العُمانيُّ وهو يذكر بغدادَ وطِيبَها وما فيه أهلُها من النِّعمة ، فأنشده العُمانيّ قصيدة له في هذا المعنى ، يذكرُ فيها طِيبَ العيش ببغداد ، وسَعَة النعم ، وكَثرةَ اللذّات ، يقول فيها : [من الرجز]

ثم أتَوْهم بالدَّجاجِ الدُّجَّجِ ... بين قَدِيدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ

وبِعَبِيطٍ ليس بالمُلَهْوَجِ ... فدُقَّ دَقَّ الكودَنيِّ الدَّيْزَجِ[1]

حتى مَلا أعفاجَ بطنٍ نُفَّجٍ ... وقال للقَيْنَة : صُبّي وامزُجي[2]

قال : فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم .

ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يُوضَع الكبريتُ والنّفط الأبيضُ على الحِجارة ، وتُلَفّ بالمُشاقَة[3] ، وتُوقد فيها النار ، ثم تُوضَع في كِفَّة المنجنيق ويُرْمى بها السُّور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذٍ ، فغنّاه ابن جامع وقال : [من البسيط]

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لمَّا أن رَأَتْ عَجَباً ... حَوائِماً تَرْتَمِي بالنِّفطِ والنَّارِ

كأنَّ نِيرانَنا في جَنْبِ قَلْعَتِهِم ... مُصَبَّغاتٌ على أرسان قَصَّارِ

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم أخرى .

[يصف فرساً سابقاً للمهديّ]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني أبو هِفّان قال : حدَّثني أحمدُ بنُ سليمان قال : قال يزيد بنُ عِقال : كنّا وُقوفاً والمهديُّ قد أجرى الخَيْلَ فسبَقها فَرسٌ له يقال له الغَضبان ، فطلب الشُّعراءَ فلم يحضُر أحدٌ منهم إلاّ أبو دُلامة ؛ فقال له : قلِّده يا زَنْدُ ، فلم يفهم ما أراد فقلَّده عِمامَتَه ، فقال له المهديّ : يا ابن اللَّخْناء ، أنا أكثرُ عمائم منك ؛ إنّما أردتُ أن تُقلّده شِعْراً ، ثم قال : يا لَهَفي على العُمانيّ . فلم يتكلَّم بها حتى أقبل العُمانيّ ، فقيل له : ها هوذا قد أقبَلَ الساعة يا أمير المؤمنين ، فقال : قدِّموه ، فقدَّموه

---

1 العبيط : اللحم الطري . والكودني : الفيل .

2 الأعفاج : جمع عفج ، وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .

3 المشاقة : ما خلص من الكتان والقطن .

فقال : قَلِّدْ فَرَسي هذا ، فقال غير مُتوقِّف : [من الرجز]

قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جدَّ الغَضَبْ وجاء يحمي حَسَباً فَوقَ الحَسَبْ
من إرثِ عَبّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبْ وجاءت الخَيْلُ به تَشْكو التَّعَبْ
له عليها ما لَكُم على العَرَبْ

فقال له المهديُّ : أَحسنتَ واللهِ ، وأَمرَ له بعشرة آلاف درهم .

صوت

[من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي أن الذي هو رِزْقي سوفَ يأْتِيني
أَسعى له فيُعَنِّيني تَطلُّبُه ولو قَعدتُ أَتاني لا يُعنِّيني

الشعر لعُرْوة بن أُذَيْنة[1] ، والغناء لُمخارق ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

1 ديوان عروة (صادر) : 124 .

[394] ـ أخبار عروة بن أذينة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عروةُ بنُ أُذينةَ ، وأُذَيْنَةُ لقَبه ، واسمُه يحيى بنُ مالِك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زُحَل[2] بن يَعْمُر ، وهو الشَّدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وسُمِّي يَعْمُر بالشّدّاخ لأنّه تحمَّل دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخزاعة ، وقال : قد شَدختُ هذه الدِّماءَ تحت قدميّ ، فسُمِّي الشّدّاخ .

قال ابنُ الكَلْبيّ : الشُّدّاخ ، بضمّ الشِّين .

[شاعر وفقيه ومحدث]

ويُكنى عُروة بن أُذينة أَبا عامر ، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم ، من شُعراء أَهل المدينة ، وهو مَعدُودٌ في الفقهاء والمُحدِّثين ، روى عنه مالِكُ بن أنس ، وعُبَيد الله بن عمر العَدَويّ . أخبرني بذلك أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمَر بن شَبَّة ؛ وروى جدُّه مالِكُ بن الحارث عن عليّ بن أبي طالِب عليه السلام .

[عليٌّ يكره قتل رجال قريش]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ مُوسى قال : حدَّثنا أَحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن ابن دأْب ، عن عُروَة بن أُذَيْنة ، عن أَبيه قال : حدَّثني أبي مالِكُ بن الحارث قال : خَرَج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ من قومي كان مُصْطَلماً[3] . فخرجتُ في أثره وخَشِيت انقراضَ أهلِ بيتِه ، فأَردْتُ أَن استأْذِن له من عليّ ، فأَدركتُ عليّاً عليه السلام بالبصرة ، وقد هَزَم النّاسَ ودخل البصرة ؛ فجئتُه فقال : مرحباً بك يا ابن الفُقَيمة ، أبدا لَكَ فينا بَداءٌ[4] ؟ قلتُ : والله إنّ نصْرتَكَ لحقٌّ ، وإنّي لَعَلى ما عهِدْتَ أُحِبّ العُزلَة ، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عمّي ذلك ، فلم يبعد عنه ، فكنت آتيه أتحدّث إليه . فركِب يوماً يطوف وركبت معه . فإنّي لأسير إلى جانبه إذْ مرَرنا بقَبْر طَلْحة ، فنظر إليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال : أمسى

---

1 ترجمة عروة بن أُذينة في الشعر والشعراء : 483–484 والمؤتلف : 69–70 والسمط : 136 والموشح : 231–233 وله مقطعات في أمالي المرتضى 1 : 408–416 وفي الزهرة وله قصائد في منتهى الطلب . وقد نشرت دار صادر (بيروت) ديوانه سنة 1996 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ل : ذهل .

3 مصطلم : مقطوع .

4 بداء : ظهور الرأي .

والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ، ثم تَمَثَّل : [من الوافر]

ومـا تَدْرِي وإن أَزمعْتَ أَمْراً بـأَيّ الأَرْض يُدْرِكُـكَ المَقِيلُ

والله إنّي لأكْرَه أن تكون قريش قَتْلى تحت بطون الكواكبِ . قال : فوقع العِراقيُّون يَشْتُمون طَلْحَة وسكَتَ عليٌّ وسكَتُّ ، حتى إذا فرَغوا أقبل عليٌّ عليه السلام عليَّ فقال : إيه يا ابن الفُقَيمة ، والله إنّه وإن قالوا ما سَمِعت لكما قال أخو جُعْفيّ : [من الطويل]

فَتًى كان يُدْنِيه الغِنى من صَدِيقه إذا ما هو اسْتَغْنى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَهُ بشيء فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وما مَنَعَكَ أن تقول : يا أبا الحَسَن ؟ فقلتُ : أَبَيْتُ ، فقال : والله إنّها لأحبُّهما إليّ لولا الحَمْقى ، ولوَدِدْتُ أنّي خُنِقْت بحَبْل حتى أموت قبل أن يفعَل عُثمان ما فَعَل ، وما أعتذر من قِيام بحقٍّ ، ولكِنَّ العافية ممّا ترى كانت خيراً .

[حريق الكعبة]

حدَّثنا محمد خَلَف وَكيع ، والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن عبدِ الله بن يزيد ، عن عُروة بن أُذَينة قال : قَدِمْتُ مع أَبي مكَّة يوم احترَقت الكعبة ، فرأيتُ الخشبَ وقد خَلَصتْ إليه النّارُ ، ورأيتُ الكعبة مُتجرِّدة ، من الحريق ، ورأيتُ الرُّكنَ قد اسودَّ وتصدَّع من ثلاثةِ أمْكِنة . فقلتُ : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجُل من أصحاب ابن الزُّبير فقالوا : هذا احترَقتْ بسببه ؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمْح ، فطَيَّرت الرِّيح منه شيئاً ، فضرَبَتْ أستارَ الكَعْبة فيما بين اليمانيّ إلى الأَسود .

[رزقه يأتيه]

حدَّثني محمد بن جرير الطبريّ وحفِظْتُه ، وأُخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نَصْر المُهلَّبيّ قالوا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني عمر بن محروس الورّاق بن أُقَيْصَر السُّلميُّ قال : حدَّثنا يحيى بن عُروة بن أُذَيْنة قال : أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بن عبد الملك ، فنسَبَهم ، فلمّا عرف أبي قال له : أنت القائل[1] : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يَأتيني
أَسعـى لـه فيُعَنِّيني تَطلُّبُـه ولـو جَلستُ أَتـاني لا يُعَنِّيني

هذا البيتان فقط ذكرهما المُهلَّبيُّ والجَوهريُّ ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات

1 القصيدة في ديوانه : 122–126 . وهناك قطعة أخرى (128–129) تشترك مع القصيدة في بعض الأبيات . والأبيات الواردة هنا بعضها موجود في الاثنتين وبعضها في هذه أو تلك .

كلّها : [من البسيط]

وأنَّ حـظَّ امرىءٍ غيري سَيَبلُغُه ... لا بُـدَّ لا بُـدَّ أن يَحتازَه دُوني

لا خَيْرَ في طَمعٍ يُـدني لِمنْقَصةٍ ... وغُفَّة من قَـوام العيش تكْفيني[1]

لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عَواقِبُه ... ولا يُعابُ بـه عِرْضي ولا دِيني

كم مِـنْ فَقيرٍ غَنـيِّ النَّفْسِ تَعرِفُه ... ومن غنـيٍّ فَقيرِ النَّفس مِسكينِ

ومن عَـدوٍّ رَماني لو قَصدتُ له ... لم يأخُذِ النِّصفَ منّي حين يرميني[2]

ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له : ... إنَّ انْطِواءَك عنّي سيوف يَطْويني

إنّي لأنْطِق فيمـا كان مـن أرَبي ... وأُكثِرُ الصَّمْتَ فيمـا ليس يَعْنِيني

لا أبتَغي وَصْلَ من يَبْغي مفارقتي ... ولا أُلـينُ لَمـنْ لا يَشْتَهي لِيني[3]

فقال له ابنُ أُذَينة : نعم أنا قائلها ؛ قال : أفلا قعدتَ في بيتك حين يأتيك رزقُك ! وغَفَل عنه هشامٌ ، فخرج من وقته وركب راحلتَه ومضى مُنصرِفاً ، ثم افتقده هشامٌ فعرفَ خبرَه ، فأتبعَه بجائزة وقال للرَّسول : قل له : أردتَ أن تُكذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك . فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماءٍ يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالتَه ودفع الجائزة . فقال : قل له : صدَّقني ربِّي وكذَّبَك .

قال يحيى بنُ عروة : وفرض له فريضتين ، فكنتُ أنا في إحداهما .

أخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني أبو غَزِيَّة قال : حدَّثني أَنسُ بنُ حبيب قال : خرج ابن أُذَيْنة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه ، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سنة حجَّ أذنَ لهم في الوفود عليه ، فلمّا دخلوا على هِشام انتسَبوا له وسلَّموا عليه ، فقال : ما جاءَ بك يا ابن أُذينة ؟ فقال[4] : [من المتقارب]

أتينـا نمُـتُّ بأرحامِنـا ... وجِئنـا بـإذْنِ أبي شاكِرِ

فـإنَّ الذي سارَ مَعروفُه ... بنَجْـدٍ وَغـار مـع الغائرِ

1 الغفة : البلغة .

2 النصف : (بفتح النون وكسرها) الإنصاف . وفي الديوان : لم آخذ النصف منه . . . .

3 الديوان : . . . يبغي مقاطعتي .

4 ديوانه : 36 .

إلى خير خِنْدِفَ في ملكها لِبادٍ مــن النّاس أو حاضِرِ

فقال له هشام : ما أراك إلاّ قد أكذبْتَ نفسك حيث تقول : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رِزْقِ سوف يأتيني

أسعــى لــه فيُعَنِّينــي تَطَلُّبُه ولــو جَلَسْتُ أتــاني لا يُعَنِّينـي

فقال له ابن أُذَيْنة ما أكذبْتُ نفسي يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّي صدَّقْتُها ، وهذا من ذاك . ثم خرجَ من عِنده فركب راحلتَه إلى المدينة ، فلمّا أمر لهم هشامٌ بجَوائِزِهم فَقَده ، فقال : أين ابنُ أُذَيْنَة ؟ فقالوا : غَضِب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فبَعَث إليه هِشام بجائزَتِه .

[الراعي النائم]

أخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارونُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال : حدَّثني عمِّي ، عن عُروة بن عبيد الله قال : كان عُروَةُ بن أُذَيْنة نازلاً مع أبي في قصر عُروَة بالعقيق ، وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابنُ أُذَيْنة ، ونظر إلى غنم كانت له في يَدَيْ راعٍ يقال له كَعب ، وهي مُهملة ، وكعب نائِم حَجْرَةً[1] ، فجعل ابن أُذَيْنَةَ يَنزو حوله وهو يَضربه ويقول[2] : [من الرجز]

لــو يَعْلَم الذِّئبُ بنَــوْم كَعْبِ إذاً لأمْسى عندنــا ذا ذَنْبِ

أضرِبُــه ولا يَقُــول حَسْبي لا بدَّ عند ضَيْعَةٍ من ضَرْبِ

[تمنين فكنا المنى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ ، وحَبيبُ بن نصرٍ المُهلَّبيُّ ، وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا : حَدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسان محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، قال : مرَّ ابنُ عائشة المُغني بعُرْوَةَ بنِ أذينة ، فقال له : قُل لي أبياتاً هزَجاً أُغنّي فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس ، فقال[3] : [من الهزج]

صوت

سُلَيمى أجمَعَتْ بَيْنــاً فأيــنَ تقولُهــا أينــا

وقــد قالــت لأترابٍ لهــا زُهــرٍ تلاقَينــا

1 حَجرة : ناحية .

2 ديوانه : 9 .

3 ديوانه : 115 .

تعالَيْـنَ فقـد طابَ ... لنـا العيْشُ تعـالَيْنا
وغـاب البَـرِمُ اليْـ ... ـلة والعَيْنُ فلا عَيْنا[1]
فأقبلنَ إليهـا مُسـ ... ـرعـاتٍ يَتهـادَيْنا
إلى مثـلِ مَهـاة الرّمـ ... ـل تكسو المَجلسَ الزينا
تمنَّـيـن مُناهُـنَّ ... فكنّـا مـا تمنّينا

قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عائشة رواها ثم ضحك لمّا سَمِع قوله : [من الهزج]

تَمنَّـيـن مُناهُـنَّ ... فكنّـا مـا تَمنّينا

ثم قال : يا أبا عامر تَمنَّينَكَ لمّا أقبل بَخرُك وأدْبر ذَكَرُك .

[امتدحه عمر بن عبد العزيز]

قال عمرُ بن شَبَّة : قال أبو غسان : فحدَّثني حمّاد الحُسينيّ قال : ذُكِر ابنُ أُذينة عند عمرَ بن عبد العزيز : فقال : نِعْمَ الرَّجل أبو عامر ، على أنّه الذي يقول : [من الهزج]

وقدْ قالَتْ لأتْرابٍ لهـ ... ـا زُهْـرٍ تَلاقَيْنـا

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال : حدَّثني هارونُ بن محمد بنِ عبد الملك الزيّاتُ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن يحيى ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن قسطاس قال : مرَّ ابن عائشة بابن أُذَيْنة ، ثمَّ ذكر الخبرَ مثلَ الذي قبله .

[سكينة تطعن في ادعائه العفة]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ ، والحِرْميّ بنُ أَبي العَلاء قالا : حدَّثَنا الزُّبير بنُ بكّار قال : حدَّثني أبو معاوية عبدُ الجبّار بنُ سعيد المساحقيّ ، وأخبرنا به وكيع قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، عن الحارث بنِ محمد العَوفيّ قال : وقفت سُكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على عُرْوةَ بن أُذينة في موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذي تزعمُ أن لك مُروءةً ، وأنَّ غَزَلَكَ من وراء عِفّة وأنّك تقيٌّ ؟ قال : نعم ؛ قالت : أفأنتَ الذي تقول[2] : [من البسيط]

صوت

قالت وأَبْثَثْتُها وَجْدي فبُحتُ به : ... قد كنتَ عندي تُحبُّ السَّتْرَ فاستَترِ
ألستَ تُبصِرِ مَنْ حَوْلي ؟ فقلتُ لها : ... غَطَّى هواكِ وما أُلقى على بَصري

1 البرم : الضجِر السؤوم .
2 ديوانه : 33 .

قال لها : بلى ؛ قالت ، هنَّ حرائر إن كان هذا خَرج مِن قلْبٍ سليمٍ ، أو قالت : من قلْبٍ صحيحٍ .

في هذين البيتين لعلُّويَه رمَل بالبنصر ، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى ، وفيهما لمخارقٍ ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة ، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأوّل لمعبد اليقطينيّ .

[بغض المنتصر للمعتزّ]

وذكر عليُّ بن محمد بن نصر البسّاميّ أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال : كنت جالساً بين يدي المُتوكّل ، وبين يديه المنتصر ، فأحضر المعتزَّ وهو صبيٌّ صغير ، فلعبَ فأفْرَطَ في اللّعب ، والمنتصر يرمُقه كالمنكِر لفِعله ، فنظرَ إليه المتوكّل عدّة دفعات ، ثم التفت إلى المنتصر فقال : يا محمد : [من البسيط]

قالتْ وَأَبْثثتُها وَجدِي فبُحتُ به : قد كُنتَ عندي تُحبّ السّتر فاسْتتِرِ

قال : فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطِّب مُعرِض . قال : وكان المنتصرُ أشدَّ خَلْقِ الله بُغضاً للمعتزّ ، وطَعَناً عليه . ولقد دخلْتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المُهلَّبيُّ بعد قتل المتوكّل وإفضاء الخلافة إليه ، ومع المُهلبيّ دِرْع كأنّها فضّة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه دِرْع المُهلَّب ، فأخذها وقام فلبسها ، ورأى المعتزَّ وعليه وَشيٌ مُثقل وما أشبه ذلك ، فتمثّل ببيتِ جرير[1] : [من الطويل]

لبِسْتُ سِلاحِي والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ[2]

[طعن آخرُ في براءته]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني هارون بن محمد قال : حدَّثني عبدُ الله بن شُعيْب الزُّبيريّ قال : حدَّثني عبد العزيز بن أبي سَلمة قال : مرّت امرأةٌ بابن أُذَينة وهو بِفناء دارِه فقالت له : أأنْتَ ابنُ أُذينة ؟ قال : نعم ، قالت : أأنتَ الذي يقول الناس إنّك امرؤٌ صالح ، وأنتَ الذي تقول[3] : [من البسيط]

إذا وَجدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبدِي عَمَدتُ نحوَ سِقاء القَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْني بَردْتُ ببَرْد الماء ظاهرَه فمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاء يَتّقِدُ[4]

1 ديوان جرير (صادر) : 388 .
2 الكُرَّج : حصان خشبي يلعب عليه الأطفال ، وفي الديوان : لبست أداتي .
3 ديوانه : 29 .
4 الديوان : فمن لحر . . . يتّقد .

[أبو السائب يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي ، عن عروة بن عبد الله ، وأخبرنا به وكيع ، عن هارون بن الزيّات ، عن الزُّبيريّ ، عن عمّه ، عن عروة بن عبد الله ، وذكره حمّاد ، عن أبيه ، عن الزُّبيريّ ، عن عروة هذا قال : كان عروة بن أُذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمِعَه ينشد[1] : [من الكامل]

صوت

إنَّ التـــي زعَمَـــتْ فُؤادَك ملَّها جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوى لها

فَبِكَ الذي زَعَمَتْ بها وكلاكُما يُبدي لِصاحِبِـه الصَّبابـةَ كُلَّها

ويَبِيتُ بَـين جَوانِحي حُبٌّ لها لـو كان تحت فِراشِها لأَقلَّها[2]

ولعمرُها لـو كان حبُّك فوقها يومـاً وقـد ضَحِيَتْ إذاً لأَظلَّها

وإذا وجدتُ لهـا وَساوسَ سَلْوَةٍ شَفَع الفُـؤادُ إلى الضَّمير فسَلَّها[3]

بيضاءُ باكَرَهـا النَّعيمُ فَصاغَها بلَباقـــةٍ فَـأدَقَّهـــا وأَجَلَّها

لمـا عَرضْتُ مُسَلِّماً لي حاجَـةٌ أَرجُـو مَعونَتَهـا وأَخشى دَلَّها

مَنَعَـتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لصاحِبي : مـا كان أَكْثَرهـا لنـا وأَقلَّها

فدنـا فقـال : لعَلَّهـا مَعْذُورةٌ من أَجل رِقْبَتِها ، فقلـتُ : لَعَلَّها

قال : فأتاني أبو السَّائِب المخزوميّ وأنا في داري بالعقيق ، فقلت له بعد التَّرحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال نعم ، أبيات لعروة بن أُذينة ، بلغني أنّك سمعتها منه ؛ فقلت له : وأيّة أبيات ؟ فقال : وهل يَخفى القمر ؟ قوله : [من الكامل]

إنّ التي زَعَمَت فؤادك مَـلَّها

فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغْتُ إلى قوله «فقلت : لعَلَّها» . قال : أَحسن والله ، هذا والله الدّائمُ العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذي يقول : [من الكامل]

إن كان أَهلُكِ يَمْنَعونكِ رَغْبـةً عنِّـي فأَهْلي بـي أَضَنُّ وأَرغَبُ

اذهَبْ لا صَحِبكَ الله ولا وَسَّع عليك ، يعني قائلَ هذا البيت ، لقد عدا الأعرابيُّ طَوْرَه ، وإنّي لأرجو أن يغفر الله لصاحبك ، يعني عُروة ، لحُسنْ ظَنّه بها وطلَبِه العُذر لها . قال : فعرَضْتُ

1 ديوانه : 70–71 .

2 أقلها : هزها وأرعدها .

3 الشطر الثاني في الديوان : شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها .

عليه الطَّعام فقال : لا ، والله ما كنتُ لآكُل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل ، وانصرف .

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشعر المذكور فيه لعُرْوة في البيت الأوّل والرابع من الأبيات خفيف رمَل بالوسطى ، نسبه ابنُ المكّي إلى ابن مِسْجَح ، وقيل : إنّه من مَنْحُوله إليه ، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أُذَينة خفيف ثقيل لابن الهِرْبذ ، والبيت : [من الكامل]

ويَبِيتُ بين جَوانِحي حُبٌّ لها ... لو كان تحت فِراشِها لأَقَلَّها

[أبو السائب لا يعجب بشعر له]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمر بن أبي بَكْر المؤمِّليّ قال : أخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة قال : قلتُ لأبي السَّائب المخزوميّ : ما أحسن عُروة بنَ أُذينة حيث يقول[1] : [من الكامل]

صوت

لَبِثُوا ثَلاثَ مِنًى بمَنْزِل غِبْطَةٍ ... وهُمُ على غَرَضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ

مُتجاوِرِيـن بغَيْرِ دارِ إقامَـةٍ ... لو قد أجدَّ رَحِيلُهم لَم يَنْدَمُوا

ولَهُـنَّ بالبَيْت العَتِيـق لُبانةٌ ... والبَيْتُ يعرفهـنَّ لَـوْ يَتَكَلَّمُ

لـو كان حيّـاً قَبْلَهُنَّ ظعائناً ... حَيّا الحَطِيمُ وُجُوهَهنَّ وزَمْزَمُ

وكأنَّهُنَّ وقـد حَسَرنَ لَواغِباً ... بَيْضٌ بأَكْنـاف الحَطِيمِ مُركَّمُ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

قال : فقال : لا ، والله ما أحسن ولا أجمل ، ولكنّه أهْجَر وأخطل في صِفَتِهِنَّ بهذه الصفة ، ثم لا يَنْدَم على رحِيلهن . أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

تَفرَّق أهـواءُ الحجيج على مِنًـى ... وَصدَّعَهم شَعْب النَّوى صُبْحَ أَرْبَعِ

فَريقـان : مِنْهُم سالِكٌ بَطْنَ نَخْلة ... وآخـرُ منهم سالِك بطنَ تَضْرُعِ[3]

في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش :

---

1 ديوانه : 83 .

2 ديوان كثير : 410–411 .

3 تضرع : جبل قرب مكة .

فلم أرَ داراً مِثْلَها دارَ غِبْطَةٍ ... وملقًى إذا التفَّ الحَجيجُ بمَجْمَعِ
أقلَّ مقيماً راضياً بمَكانِهِ ... وأكثرَ جاراً ظاعِناً لم يُوَدَّعِ

انظُر إليه كيف تقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكبا لسانُه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ، ولكن مُكْرَهٌ أخُوكَ لا بَطَلٌ[1] ؛ والعَرْجيّ كان أوفى بالعَهْد منهما وأوْلى بالصَّواب ، حين تَعرَّض لها نافرةً من مِنًى ، فقال لها عاتباً مُسْتَكينا[2] : [من الكامل]

عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نَلْتَقي إلاّ ثَلاثَ مِنًى ... حتى يُفرِّق بَيْنَنا النَّفْرُ

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نسبتُه في أخبار ابن جامع في أوّل الكِتاب .

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني جعفر بن موسى اللّهبيّ قال : كان عبدُ الملِك بن مروان إذا قَدِمَ مكة أذِن للقُرَشِيِّين في السَّلام عليه ، فإذا أراد الخروج لم يأذَن لأحد منهم وقال : أكذبنا إذاً قول المُلَحيّ ، يعني كُثيِّراً ، حيث يقولُ : [من الطويل]

تفرَّق أهواءُ الحَجيج على مِنًى ... وصدَّعهم شعبُ النّوى صُبحَ أرْبَعِ

وذكر الأبيات الأربعة .

[خالد صامة يغنّي بشعره عند الوليد]

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد : قال حدَّثنا الزُّبيريّ ، عن خالد صامة ، وكان أحد المُغنِّين قال : قَدِمتُ على الوليد بن يزيد ، فدخلت إليه وهو في مجلسٍ ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل ، فجعَلوا يُغنُّون ، حتى بلغت النَّوبةُ إليَّ فغنَّيْته[3] : [من الوافر]

صوت

سَرى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغارَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ[4]
أُراقِبُ في المَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ ... تَعرَّض للمَجَرَّة كيف يَجْرِي[5]

---

1 المثل «مكره أخوك (أخاك) لا بطل» في مجمع الميداني 2 : 318 وجمهرة العسكري 2 : 242 ومستقصى الزمخشري 2 : 347 .
2 تقدم بيتا العرجي في ترجمته بالجزء 1 : 263 ، وفي ترجمة ابن جامع في الجزء 6 : 222 .
3 ديوان عروة : 34 .
4 الديوان : قيد فتر .
5 الديوان : تعرّض أو على المجراة يجري .

لِهَـمٍّ مـا أزالُ لـه مُدِيماً كأنَّ القَلْبَ أُضْرِمِ حرَّ جَمْرِ[1]
على بَكْـرٍ أخي وَلَّى حَمِيداً وأيُّ العَيْشِ يَصْفو بعد بَكْرِ ![2]

فقال لي الوليد : أعِد يا صام ، فَفَعلتُ . فقال لي : مَن يقول هذا الشِّعر ؟ قلتُ : عروة بن أُذينة يَرثي أخاه بَكْراً . فقال لي : وأيّ العيش لا يَصْفو بعده ؟ هذا العيش والله الذي نحن فيه على رَغْم أنْفه ، واللهِ لقد تَحَجَّر واسعاً[3] .

لابن سُريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوُسطى عن عَمْرو وابن المَكّيّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عبّاد الكاتب ، وإلى حاجب الحزَوّر[4] ، وإلى مسكين بن صدقة .

حدَّثنا الأخفش ، عن محمد بن يزيد قال : قال الزُّبيريّ : حُدِّثتُ أن سُكينةَ بنتَ الحُسين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت : مَن بَكْرٍ هذا ؟ أليس هو الأسودُ الدَّحْداح[5] الذي كان يمرُّ بنا ؟ قالوا : نعم ، فقالت : لقد طاب كلُّ شيء بعده حتى الخُبز والزَّيت .

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال : حدّثنا أحمدُ بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي قال : لَقِيَ ابنُ أبي عتيق عُروةَ بن أُذينة فأنشده قوله[6] : [من الرجز]

لا بَكْـرَ لي إذ دَعَوْتُ بَكْراً ودُونَ بَكْـرٍ ثَـرًى وطِينُ

حتى فرغ منها ، ثم أنشده : [من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسري

حتى بلغ إلى قوله : [من الوافر]

وأيُّ العَيْش يَصلُح بعد بَكْرِ !

فقال له ابن أبي عتيق : كلُّ العيش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت . فغَضِب عُروةُ من قوله ، وقام عن مجلِسه ، وحلف ألاَّ يُكلِّمه أبداً ، فماتا مُتهاجِرَين .

---

1 الديوان : كأن القلب أبطن . . .

2 الديوان :

على بكر أخي فارقت بكراً وأي العيش يصلح بعد بكر

3 تحجر واسعاً : ضيق على نفسه . وقد ورد هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد الجزء 7 : 49 .

4 بيروت : وإلى صاحب الحرون .

5 الدحداح : القصير .

6 ديوانه : 112 .

[395] ـ ذكر مخارق وأخباره[1]

[نسبه]

هو مُخارق بنُ يحيى بن ناووس الجزّار مَوْلى الرشيد ، وقيل : بل ناووس لَقَب أبيه يحيى ، ويكنى أبا المُهنَّأ ، كناه الرشيد بذلك .

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة ، وهي من المُغنّيات المُحْسِنات المُتقدِّمات في الضَّرب ، ذكر ذلك مُخارِقٌ واعترفَ به . ونَشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان مَنْشَؤُه بالكوفة .

[تعلمه الغناء]

وكان أبوه جزّاراً مملوكاً ، وكان مُخارِق وهو صبيّ ينادي على ما يبيعُه أبوه من اللحم . فلمّا بانَ طِيبُ صوتِه علَّمته مولاتُه طرَفاً من الغناء ، ثم أرادت بيعَه ، فاشتراه إبراهيمُ الموصليُّ منها ، وأَهداه للفَضْل بن يَحْيى ، فأخذه الرشيد منه ، ثم أعتقَه .

[انتقاله من مالك لآخر]

أَخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حَمَّاد : حدَّثني زَكريَّا مولاهم ، وأَخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني عُبَيْد الله بن محمد بن عبدِ الملك قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن زكريّا مَوْلاهم قال : قَدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكوفة ، فنزلت المُخرِّم[2] ، وصار إبراهيمُ إلى جدِّي الأَصْبغ بن سِنان المُقيِّن وسِيرِين بن طَرْخان النَّخَّاس ، فقالا له : إن هاهنا امرأةً من أهل الكوفة قد قَدِمَت ومعها غلام يتغنَّى ، فأُحِبّ أن تنفعها فيه . قال : فوجَّهني مع مولاته لأَحمِلَه ، فوجدته مُتَمَرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب ، فَحَمَلتُه خلفي وأتيتُ به إبراهيمَ ، فتغنَّى بين يديه فقال لها : كم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرة آلاف درهم ، قال : قد أخذتُه بها وهو خَيْرٌ منها . فقالت : أَقِلْني قال : قد فَعلتُ ، فكم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرون ألفاً ، قال : قد أَخذتُه بها وهو خيرٌ منها . فقالت : والله ما تَطيبُ نفسي أن أَمتنع من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة ، فهل لك في خَصْلة : تُعطِيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أَستقيلُك[3] بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خيرٌ منها ، فصفَقَت على يدِه[4] وبايَعَته ؛ وأمر بالمال فأُحْضِر ،

---

1 ترجمة مخارق في النجوم الزاهرة وتاريخ الطبري 8 : 521 ونهاية الأرب 4 : 312–320 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 المخرّم : محلة كانت ببغداد .

3 أستقيلك : أطلب فسخ البيع .

4 صفقت على يده : ضربت يدها على يده إيجاباً للبيع .

وأمر بثلاثة آلاف درهم فزِيدَت عليه ، وقال : تكون هذه لهديَّة تُهْدِيها أو كُسْوة تَكْتَسِينها ، ولا تَثْلَمين المال .

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له : ما خبرُ غلامٍ بلغني أنّك اشتريته ؟ قال : هو ما بلغك ، قال ، فأرنيه ، فأحضَرَه ، فلمّا تغنَّى بين يدي الفَضْل قال له : ما أرى فيه الذي رأيت ، قال : أنتَ تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ، ولم يكُن مثلُه في الدُّنيا ولا يكون أبداً . فقال : بكم تبيعُه ؟ فقال : اشتريتُه بثلاثة وثلاثين ألف دِرهم ، وهو حُرٌ لوجه الله تعالى إن بعْتُه إلاّ بثلاثة وثلاثين ألف دِينار . فغضِب الفَضْل وقال : إنّما أردتَ أن تَمْنَعنِيه أو تجعلَه سبباً لأن تأخذَ منّي ثلاثةً وثلاثين ألف دينار . فقال له : أنا أَصنَعُ بك خَصْلَة ؛ أبيعُك نصفَه بنصف هذا المال ، وأكون شريكك في نصفه وأُعلِّمه ، فإن أَعْجَبَك إذا علّمتُه أتممتَ لي باقي المال . وإلاّ بِعتُه بعد ذلك وكان الرِّبحُ بيني وبينك . فقال له الفضْل : إنّما أردتَ أن تأخذ منّي المال الذي قدَّمتَ ذِكرَه ، فلمّا لم تقدِر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه .

وغضِب ، فقال له إبراهيمُ : فأنا أهَبُه لك ، على أنّه يُساوي ثلاثةً وثلاثين ألفَ دينار ، قال : قد قَبِلتُه ، قال : قد وهبته لك . وغَدا إبراهيمُ على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ما غُلامٌ بلَغني أنّك وهبتَه للفَضْل ؟ قال : فقلتُ : غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العربُ ولا العَجَمُ مِثلَه ، ولا يكون مِثلُه أبداً ، قال : فوجَّه إلى الفضْل فأمره بإحضارِه ، فوجَّه به إليه فتغنّى بين يديه ، فقال لي : كَمْ يُساوي ؟ قال : قلت : يُساوي خراجَ مِصْر وضياعَها . فقال لي : ويلك ، أتدْري ما تقول ! مبلغُ هذا المال كذا وكذا . فقلت : وما مقدارُ هذا المال في شيء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ ! قال : فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال : قد عَرفْتَ يميني ألاّ أسألَ أحداً من البرامكة شيئاً بعد فنفَنَةَ[1] . فقال مسرور : فأنا أمضي إلى الفضْل فأَسْتَوْهِبُهُ منه ، فإذا وهبه لي وكان عَبدي فهو عَبْدك . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل فقال له : قد عَرفتم ما وقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَة ، وإن منعْتُموه هذا الغلام قامت القيامة ، واستَوْهَبه منه فوهَبه له ، فبلَغ ما رأيت . فكان عَلّويَه إذا غَضِب على مُخارق يقول له ، حيث يقول : أنا مولى أميرِ المؤمنين ، متى كنت كذلك ؟ إنّما أنت عبدُ الفضْل بن يحيى أو مَولى مسرور .

أَخبرني ابنُ أبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : كان مُخارق بنُ ناووس الجزَّار ؛ وإنّما لُقِّب بناووس لأنّه بايَعَ رجلاً أنّه يمضي إلى ناووس[2] الكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج . فطَرَح رَهْنه بذلك ، فدسَّ الرجلُ الذي راهنَهُ رجُلاً . فألقى

---

1 فنفنة أو فنقنه : لعلّ اسم غلام أو جارية .

2 الناووس : المقبرة .

نفسَه في النّاوُوس بين الموتى ، فلمّا فَرَغَ من الطَّبيخ مدَّ الرجل يدَه من بين الموتى وقال له : أطعِمْني ، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها في يد الرجل فأحرقَها ، وضرَبها بالمِغْرفة وقال لـه : اصبِر حتى نُطعِم الأحياءَ أوّلاً ثم نتفرَّغ للمَوْتى ، فلُقِّب بناووس لذلك . فنشأ ابنه مُخارِق ، وكان يُنادي عليه إذا باع الجَزورَ ، فخرج له صوتٌ عجيب ، فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمرَه بتعليمِه فعلّمه حتى بلغ المبلغ الذي بلَغَه .

[يفوق ابن جامع]

وكان يقِف بين يدي الرشيد مع الغِلمان لا يجلس ، ويُغنّي وهو واقف ، فغنّى ابن جامع ذاتَ يوم بين يدي الرشيد[1] : [من البسيط]

كأنَّ نِيرانَنــا في جَنْب قلْعتهم ... مُصَبَّغــاتٌ عــلى أرسانِ قصّارِ

هَوَتْ هِرَقْلَة لمّـا أنْ رأتْ عَجَباً ... حَوائمــاً تَرتمـي بالنِّفط والنّارِ

فطَرِب الرشيد واستعاده عدّة مرّات ، وهو شعر مُدِح به الرشيد في فتح هِرَقلة ، وأقبل يومئذٍ على ابن جامِع دون غيره ، فغَمز مُخارقٌ إبراهيمَ بعينه ، وتقدَّمه إلى الخلاء ، فلمّا جاءه قال له : ما لي أراكَ مُنكسراً ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه ، فقال له : ويْحَكَ إنّه الرشيد ، وابنُ جامع منْ تَعلم ، ولا يمكن مُعارَضَتُه إلاّ بما يزيد على غِنائه ، وإلاّ فهو الموت . قال : دَعْني وخلاك ذمٌّ ، وعرِّفه أنّي أغنّي به ، فإنْ أحسنتُ فإليك يُنسَب ، وإنْ أسأتُ فإليّ يعود . فقال للرشيد : يا أميرَ المؤمنين ، أراكَ متعجّباً من هذا الصوت بغير ما يستَحقّه وأكثر ممّا يستوجبُه . فقال : لقد أحسنَ ابنُ جامع ما شاء ، قال : أَوَ لابنِ جامع هو ؟ قال : نعمْ ، كذا ذكَر . قال له : فإنّ عبدَك مُخارِقاً يغنّيه . فنظَر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنّاه وتحفَّظَ فيه ، فأتى بالعجائب ؛ فطَرِب الرشيد حتى كاد يطير فَرَحاً ، وشَرِب ، ثم أقبل على ابنِ جامِع فقال له : وَيْلك ، ما هذا ! فابتدأ يَحلِف له بالطّلاق وكلّ مُحرجَةٍ أنّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه ، ولا صَنَعه غيرُه ، وأنّها حِيلةٌ جَرَتْ عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أصدِقني بحياتي ، فصدَقَه عن قِصَّة مُخارق . فقال له : أكذلك هو يا مُخارق ؟ قال : نعم يا مولاي . فقال : اجلِس إذَن مع أصحابك ، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يقومُ ، وأعتقه ووصَلَه بثلاثة آلاف دينار ، وأقطَعه ضيعةً ومنزلاً .

[صوت يعتقه ويغنّيه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، وحدَّثني محمد بن خَلَف بنِ المَرْزُبان قال وكيع : حدَّثني

1 البيتان لشاعر مكي سبق أن وردا معكوسين في ترجمة أشجع السلميّ .

هارون بنُ مُخارق ، وقال ابنُ المَرزُبان : ذكر هارون بن مُخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت[1] : [من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيّجْتَ لي طَرَباً زدْتَ الفـؤادَ على عِلاّتِـه وَصبا[2]
رَبْعٌ تبــدَّل مِمَّــن كانَ يَسكُنُه عُفْر الظِّبـاء وظِلماناً بِـهِ عُصَبا[3]

يبكي ويقول : أنا مَوْلى هذا الصَّوت ، فقلتُ له : وكيف ذاكَ يا أبَـتِ ؟ فقال : غَنَّيته مولاي الرشيد فبكى وشَرِب عليه رطلاً ، ثمّ قال : أحسنْتَ يا مُخارِق فسَلني حاجتك ، فقلتُ : أن تعتِقني يا أمير المؤمنين أعتقكَ اللهُ من النارِ ؛ فقال : أنتَ حُرٌّ لوجه الله ، فأعِدِ الصوتَ ؛ فأعَدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثـم قـال : أحسنتَ يا مُخارِق فسَلْني حاجتَك ، فقلت : ضيعـة تُقيمُني غلَّـتُها ، قال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوت ، فأعدْتُه فبكى وقـال : سَلْ حاجتك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين تأْمر لي بمنزل وفرش وخادم ، قال : ذلك لـك ، أعِـد الصّوت ؛ فأعدته ، فبكى وقال : سَلْ حاجتَك ، فقبَّلتُ الأرضَ بين يديه وقلـت : حاجتي أن يُطِيل الله بقاءك ويُدِيم عزَّك ويجعلني من كلّ سوءٍ فداءَك ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحسن الكاتِب أنَّ أبان بنَ سعيد حدَّثَه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنَّى إبراهيمُ بنُ المهديّ بعلمه فَضَل مخارقاً ، وإذا تغنَّى مخارِق بطبعِهِ وفضْلِ صوته فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدقت .

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا المُبَرّد بهذا الخبر فقال : حدَّثني بعضُ حاشية السلطان : أنَّ إبراهيم المَوْصليّ غنَّى الرشيدَ يوماً هذا الصوت فأُعجب به وطرب له واستعاده مراراً ، فقال له : فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارِق ، فإنَّه أخذَه عنّي وهو يَفْضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويَفْضُلني ، فدعا بمخارق فأمره أن يُغنّيه ، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تقدَّم .

[تكنيته أبا المهنأ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن أبي الدُّنيا ، عن إسحاق بن محمد النَّخعيّ ، عن الحسين بنِ الضّحّاك ، عن مُخارِق : أنّ الرشيد قال يوماً للمغنّين وهو مُصْطَبِح ، مَن منكم

1 تقدم هذا الخبر في ترجمة هلال بن الأسعر المازني ، الجزء 3 : 49 .
2 وصب : مرض . وفي رواية : نصبا أي تعباً .
3 عصب : جمع عصبة .

يُغنّي : [من البسيط]

يـا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيّجْتَ لي طَرَباً

فقمتُ فقلتُ : أنا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ثم قال : عليّ بهَرثَمةَ بنِ أَعْيَنَ ، فقلتُ في نفسي : ما يُريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة ، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه ؛ فقال له : يا هَرثمة ، مُخارِق الشّاري الذي قتلْناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنيَته ؟ فقال : أبو المَهنّأ ، فقال : انصَرِف ، فانصرَفَ ؛ ثم أقبل عليّ وقال : قد كَنَيْتُك أبا المُهنّأ لإحسانِك ؛ وأمَر لي بمائة ألف دِرهم ، فانصرَفتُ بها وبالكُنْية .

[يجتمع الغلمان لسماعه فلا يسمعون الخليفة]

أُخبرني جعفر بن قُدامةَ قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نصر البسّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله بن حَمدون قال : رُحْنا إلى الواثق وأُمُّه عَليلة ، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أُمِّه ، وأمرَ بألاّ نَبرح ، وكان في الصّحن حُصْرٌ غيرُ مَفْروشة . فقال لي مخارق : امْضِ بنا حتى نَفْرش حصيراً من هذه الحُصْر فنجلِس على بعضه ونتّكيء على المدَرَّج منه ؛ وكانت ليلةً مُقمِرةً . فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصْر ، واستلقينا وتحدَّثنا ، وأبطأَ الواثق عند أُمِّه ، فاندفع مُخارق فغنّى[1] : [من الطويل]

أيـا بَيْتَ لَيْـلى إنَّ لَيْـلى غَريبةٌ ... بِراذانَ لا خالٌ لديها ولا ابنُ عَمْ

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يُجبه أحدٌ ومشى من المجلس إلى أن توسَّط الدّار ، فلمّا رأيتُه بادرتُ إليه ، فقال لي : ويْلك ، هل حدَث في داري شيء ؟ فقلت : لا يا سيِّدي ، فقال : فما لي أصيح فلا أُجاب ! فقلت : مُخارِق يغنّي والغِلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه . فقال : عُذْرٌ والله لهم يا ابن حَمْدُون وأيُّ عُذْر . ثم جلس وجلسْنا بين يديه إلى السَّحَر .

[عاتكة وأمّها شهدة]

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنَّ مُخارقاً كان ينادي على اللّحْم الذي يبيعه أُبوه ، فيُسمَع له صوتٌ عجيب ، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلَّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ، ثم باعَتْه من آل الزُّبير ، فأخذَه منهم الرشيد وسلَّمه إلى إبراهيم الموصليّ ، فأخذ عنه ، وكان إبراهيم يُقدِّمه ويؤثِره ويخُصّه بالتّعليم لما تبيَّنه منه ومن جودة طبعه .

---

1 نسب ياقوت البيت مع بيتين آخرين إلى مرة بن عبد الله النهدي . وراذان عنده يطلق على كورتين في سواد بغداد (راذان الأعلى وراذان الأسفل) (معجم البلدان ـ صادر ـ 3 : 12) .

أخبرني عليُّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال : حدَّثني ابن خُرداذْبه قال : كان مُخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار ، وكان عبداً لعاتِكة بنتِ شُهْدة ، وكانت عاتكة أحذَق الناس بالغناء ، وكان ابنُ جامع يلوذ منها بالتَّرجيعِ الكثير ، فتقول له : أينَ يُذهب بك ؟ هلُمّ إلى معظم الغناء ودَعْني من جنونك . قال : فحدّثني مَنْ حَضَرهما أنَّ عاتكة أفرطت يوماً في الردِّ على ابن جامع بحضرة الرشيد ، فقال لها : أيْ أمّ العبّاس ، أنا ، يشهد الله ، أُحِبّ أن تَحْتَك شِعْرَتي بشِعرتك ؛ فقالت له : اسكت قَطع الله لسانَك ، ولم تُعاود بعد ذلك أذِيّته . قال : وكانت شُهدة أُمُّ عاتكة نائحة . هكذا ذكر ابنُ خُرداذْبه ، وليس الأمر في ذلك كما ذكره .

حدَّثني محمد بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الغلابيُّ قال : حدَّثني عليّ بنِ محمد النوفليّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس الرَّبيعيّ ، أنَّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ الموصليّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرشيد ، ومعهم محمد بن داودَ بنِ عليّ ، فغنّى المغنّون جميعاً ، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه[1] : [من الكامل]

صوت

أُمَّ الوَليــدِ سَلبْتِني حِلمــي ... وقَتَلْتِنــي فتحلَّــلي إثْمي[2]
بــاللهِ يــا أمَّ الوَليــدِ أَمَــا ... تَخْشَيْنَ في عواقِــبَ الظّلْمِ[3]
وتَركْتِني أَبغــي الطَّبيبَ وَما ... لطبيبنا بــالدَّاء مــن عِلْمِ[4]

قال : فاستحسنه الرشيد وكلُّ مَن حضر وطربوا له . فسأله الرشيد : عمَّن أخذتَه ، فقال : أخذتُه عن شُهدة جاريةِ الوليد بن يزيد . قال عبدُ الله بن العبّاس ، وهي أُمُّ عاتِكَةَ بنْتِ شُهدة .

الأبياتُ المذكورة التي فيها الغِناء لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّاتِ ، وتمامُها : [من الكامل]

للهِ دَرُّكِ في ابــن عَمِّك قَــدْ ... زَوَّدتِــهِ سُقْماً عــلى سُقْــمِ
في وجهِها مــاءُ الشَّبابِ ولَم ... تُقبِــل بمَكْــروهٍ ولا جَهْــمِ

والغناء فيه لابن مُحْرِز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقيل الأوّل بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لمالك

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 149–150 .
2 الديوان : أم البنــين . . . . فتحملي إثمي
3 الديوان : . . . يا أم البنين ألم تخشي عليك عواقب الأثم
4 الديوان : . . . أدعــو . . . وما لطبيبكم . . .

ثاني ثَقيل عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنصر عنهما ، وثقيل أوَّل للحسين بن مُحرِز .

[مقارنة بين المغنّين]

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزيّات ، قال أبي : قال الواثقُ أميرُ المؤمنين : خطأُ مخارق كصواب علُّويَه ، وخطأُ إسحاق كصواب مُخارق ، وما غنّاني مُخارق قطّ إلاّ قدَّرت أنَّه من قلبي خُلِق ، ولا غنَّاني إسحاق إلاّ ظننت أنّه قد زِيد في ملكي ملكٌ آخر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على جميع أصحابه : انظروا إلى هؤلاء الغِلمان الذين يقفون في السِّماط . فكانوا يتفقَّدونهم وهم وُقوف ، فكلّهم يسمَعُ الغِناءَ من المُغنِّين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنَّى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرَّكت أرجُلهم ومناكِبُهم ، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم ، وازدحموا على الحبلِ الذي يقفون من ورائه .

[يستوقف الحجّاج بأذانه]

قال هارون : وحُدِّثتُ أنّه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السَّلام ، والنّاسُ يرتحلون للخُروج إلى مكّة ؛ فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه : قد جاء في الخبر أنَّ ابنَ سُرَيْج كان يتغنَّى في أيَّام الحجِّ ، والنّاس بمِنًى فيستوقفُهم بغنائه ، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلْهِيهم جميعاً ، لتعلمُوا أنّه لم يكن ليفضُلني إلاّ بصنعته دون صوته ؛ ثم اندفع يؤذّن ، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم ، حتى جعلت المحامِلُ يغشى بعضُها بعضاً ، وهو كالأعمى عنها لِما خامر قلبَه من الطَّرب لحُسنِ ما يسمع .

[إعجاب أبي العتاهية بغنائه]

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ابنُ أخت الخاركيّ وأبو سعيد الرّامَهُرْمُزيُّ ، وأخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديّ ، عن أحمد بن عيسى الجَلوديّ عن محمد بن سعيد التِّرمذيّ ، وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفَه بحسن الصّوت ، ثم قال : قد أُفْلِتْنا منه ، فلو كان يُغنِّي لتقدَّمنا جميعاً بصوته ، قالوا : جاءَ أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستَفتح ، فإذا مخارق قد خرج إليه ؛ فقال له أبو العتاهية : يا حُسَّان هذا الإقليم ، يا حَكيمَ أرض بابل ، اصبُبْ في أذني شيئاً يَفرحْ به قلبي ، وتنعم به نفسي ؛ فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنّانا ، قال محمد بن سعيد : فكدت أسعى على وجهي طرباً . قال : وجعل أبو العتاهية يبكي ، ثم قال له : يا دواءَ المجانين لقد رقَّقْتَ حتى كِدتُ أحسوك ، فلو كان الغِناء طعاماً لكان غِناؤُكَ أُدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

نَسختُ من كتاب ابن أبي الدُّنيا : حدَّثني بعضُ خَدَم السُّلطان قال[1] : قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرتْه الوفاة : هل في نفسك شيءٌ تَشْتَهيه ؟ قال أن يَحضُر مخارق الساعة فيُغنِّيني[2] : [من الطويل]

سيُعرَض عن ذِكري وتُنسى مودَّتي ويحـدثُ بعـدي للخليل خليـلُ
إذا ما انقضت عنِّي من الدهر مُدَّتي فـإنّ غنـاءَ الباكيـاتِ قليـلُ

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن حمزة العلويُّ قال : حدَّثنا عليّ بن الحسين بن الأعرابيّ قال : لقِي مخارق أبا العتاهية ، فقال له : يا أبا إسحاق ، أأنت القائل : [من مجزوء الكامل]

اصْرِف بطَرفِكَ حيثُ شِئـ ـتَ فلن تَـرى إلاّ بخيلا

قال له : نَعَمْ . قال : بخَّلتَ الناسَ جميعاً . قال : فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنَّأ . فانْظر فإنَّك لن ترى إلاّ بخيلاً ، وإلاّ فأكْذِبني بجواد واحد ، فالتَفتَ مخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال : صدَقْتَ يا أبا إسحاق ، فقال له أبو العتاهية : فَدَيْتُك ، لو كنتَ مِمَّا يُشرَب لذُرِرْتَ على الماء وشُرِبْت .

[يغنّي بين قبرين فيكسب الرهان]

أخبرني إسماعيل بنُ يونسُ الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني بعض آل نُوبَخْت قال : كان أبي وعبدُ الله بنُ أبي سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدَّثون ، فإنّهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود ، وعليه قميص رَقيق ورداءٌ مُسَهَّم ؛ قال : فِيمَ كنتم ؟ فأخبَرُوه ، فقال : دَعُوني من وَسْواسِكم هذا ، أيُّ شيء لي عليكم إن رمَيْت بنفْسي بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهي وغنَّيت صَوْتاً ، فلم يبقَ أحدٌ بهذه الكُناسة ولا في الطَّريق من مُشْترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلاّ ترك عمله وقرُب منّي واتَّبع صوتي ؟ فقال له عبد الله : إنِّي لأحِبّ أن أرى هـذا ، فقُل ما شِئتَ ؛ فقال : فَرسُك الأشقرُ الذي طلبتُه منك فمَنعْتَنِيه ؛ قال : هو لك إن فعلتَ ما قلتَ . ثمّ دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطَّى بردائه ، ثمّ اندفَعَ يُغنِّي فغنَّى في شعر أبي العتاهية[3] : [من الكامل]

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة أبي العتاهية ، الجزء 4 : 86 .
2 ديوان أبي العتاهية : 313 .
3 ديوان أبي العتاهية : 350 .

نادَتْ بوَشْك رَحِيلِكَ الأيّامُ أفلسْتَ تسمَعُ أمْ بِكَ استِصْمامُ !

قال : فرأيتُ الناسَ يتقوّضُون إلى المقبرة أرسالاً[1] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحِبْ جَدْي ومارٍّ بالطريق ، حتى لم يبقَ بالطريق أحدٌ ؛ ثم قال لنا من تَحت ردائه : هل بَقِيَ أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرَّهن . فقام فركِب حمارَه ، وعاد النّاسُ إلى صنائِعهم ، فقال لعبد الله : أَحْضِرِ الفرسَ ، فقال : على أن تُقيم اليومَ عندي ، قال : نعم . فانصرفنا معهما ، وسَلَّم الفرسَ إليه وبَرَّه وأحسنَ إليه وأحسنَ رفده .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

نـادَتْ بوَشْك رحيلِك الأيّـامُ أفلستَ تَسْمَعُ أمْ بِكَ استِصْمامُ !
ومَضى أمامكَ مَنْ رأيت وأنْت لِلْـ ـباقـين حتـى يَلْحقـوك إمامُ
مـا لي أراكَ كأنَّ عينكَ لا ترى عِبـراً تمـرُّ كأنَّهـنَّ سِهامُ
تمضي الخُطوبُ وأنتَ مُنتَبِهٌ لها فـإذا مَضَـتْ فكأنَّها أحلامُ[2]

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لُمخارِق هزَج بالوُسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إنّه لعلُّويَه ، ويقال : إنّه لمخارق عن الهشاميّ .

أخبرني جحْظة قال : ذكر ابنُ المكّي المرتَجَلُ عن أبيه : أنَّ أبا العَتاهية دخَلَ يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنّي ، فقال : أبا إسحاق إنّ هذه الجارية تُغنّي صوتاً حسناً في شعرٍ لك ، أفتنشَط إلى سماعه ؟ قال : هاتِيه ، فغنَّته لحناً لعمرو بن بانة في قوله : [من الكامل]

نـادَتْ بِوَشْك رحيلك الأيَّامُ

فعَبَسَ وبَسَر وقال : لا جزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ في شِعْري . قال : فإنّها تُغنّي فيه لحناً لمخارِق ، قال : فلتُغنّه فغنّته ، فأعجبَه وطَرِب حتى بكى ثم قال : جزى الله هذا عني خيراً ، وقام فانصرف .

وقد روى هذا الخبر هارونُ بنُ الزيّات ، عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن غَزْوان : أنّه

1 يتقوضون أرسالاً : يجيئون ويذهبون جماعات .

2 الديوان : تأتي الخطوب . . .

كان وعبيد الله بنُ أبي غسّان ، وأبو العتاهية ، ومحمد بنُ عمرو الرُّومي ، عند ابن أبي مَرْيم ومعهم مُغنِّية يقال لها بنتُ إبليس ، فغنّى عبيد الله بن أبي غسَّان في لحن مخارق : [من الكامل]

نـادَت بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ

فلم يستحسنه ابو العتاهية ، ثمّ غنّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهديّ فأطربه وقال : جزى الله عنّي هذا خيراً .

أخبرني إسماعيل بنُ يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : بلغني أنَّ المتوكّلَ دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغنّي : [من مجزوء الوافر]

صوت

أمِـنْ قَطْـر النَّـدى نظَّمْـ ـتَ ثغرَك أم مـن البَـرَدِ
وريقُكَ من سُلاف الكَرْ م أم مـن صفْوة الشُّهُدِ
أيا مَنْ قـد جـرى مِنّي كمَجْرى الرُّوحِ في الجَسَدِ
ضَميرُكَ شاهـدي فِيما أُقاسيـهِ مـن الكَمَـدِ

والغناء لمخارق رَمَل ، فقال لها : وَيْحك ، لِمَنْ هذا الغناء ؟ فقالت : أخذتُه من مُخارق ، قال : فألقِيه على الجواري جميعاً ، ففعلت . فلمّا أخذْنَه عنها أمَرَ بإخراجهنّ إليه ، ودعا بالنَّبيذ ، وأمر بألاّ يُغنّينه غيره ثلاثة أيّام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

[مع أبي المضاء الأسدي]

وأخبرنا إسماعيلُ بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال : قال عُمَرُ بن نوح بن جرير : سألْتُ أبا المَضاء الأسديّ أن يُنشدني فقال : أُنْشِدُك من شِعْري شيْئاً قُلُته لرجلٍ لقيتُه على الجسر ببغداد . فأعجبه منّي ما يَرى من دماثتي ، وأقبلتُ أحدِّثُه وهو يُنصِت لي ، وأُنشده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادي ، ويُحدِّثني فيُحسن الحديث ، حتى بَلَغْنا منزله . فأدْخلني فغدّاني ثم لم يَرِمْ حتى كساني وسقاني فروّاني ، ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيءٌ قطّ أحسن منه ، فلمّا خرجتُ سألت عنه ، فقال لي غِلمانُه : هذا أبو المهنَّأ مُخارق ، فقلتُ فيه : [من الوافر]

أعـاد اللهُ يـوم أبي المُهنَّا علينـا إنَّه يـوم نضيرُ
تغيَّبَ نَحسُه عنّـا وأزخى علينا وابـلٌ جَـوْدٌ مطيرُ
فلمّا أن رأيتُ القَطْر فوقي وأقداحاً يَحُثّ بهـا المُديرُ

وأَسعدَنا بصَوْتٍ لو وعاه ... وليُّ العهدِ خفّ به السَّريرُ
تذكرتُ الحبيبَ وأَهلَ نَجْدٍ ... وروضاً نبتُـه غَضٌّ نضيرُ

قال : فقلت له : ولِم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه ؟ وكان ينْبغي لك أن تنساه ؛ قال : كلاَّ ، إنّ المرءَ إذا كان فيما يُحِبّ تذكَّرَ أهلَه ، قلت : فما غنَّاك ؟ قال : غنَّاني : [من الطويل]

ومــا رَوْضَةٌ جـادَ الرَّبيعُ بهَطْلِه ... عليها فروَّاهـا ورقَّـتْ غُصونُها
وهبَّت عليها الرِّيحُ حتى تَبَسَّمت ... وحتى بَدَت فوق الغُصون عُيونُها
بأَحسنَ منها إذ بَدَتْ وسْط مَجلِسٍ ... وفي يدِهـا عُـودٌ فَصيحٌ يَزينُها
وقـد أَنْطَقَتْـه والشَّمالُ جَرِيَّـةٌ ... على عَقْدِ مـا تُلقي عليها يمينُها

قال : فلم يزل يُردِّدُه عليّ حتى قضَيْتُ وطري من لذَّتي وحَفِظْتُه عنه .

[يبكي إبراهيم الموصليّ]

أَخبرني جَحْظة قال : حدَّثني حمّاد بنُ إسحاق ، عن أَبيه قال : دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالِسٌ بين بابين له ، ومُخارقٌ بين يديه يُغنّيه : [من الكامل]

يا رَبْعَ بِشْرَةَ إن أَضرَّ بِكَ البِلى ... فلقـد رأَيتُـكَ آهِـلاً مَعْمورا

قال : واللَّحنُ الذي كان يُغنِّيه لمالِك ، وفيه عدَّة أَلحان مشتركة ، فرأيتُ دموعَ أبي تَجْري على خَدَّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج أَحَرَّ نشيج . فلمّا رآني قال : يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غداً إن مات أبوك .

[إبليس يعقد له لواء الغناء]

أَخبرني الحَسَنُ بن عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه قال : حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق ، عن أَبيه قال : رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأَنَّ شيْخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني ، فقال لي : غنِّني يا مُخارِقُ ، فقلت : أَصوتاً تقترحه أم ما حضر ؟ فقال : ما حضر ؛ فغنَّيته بصَنْعتي في : [من الطويل]

صوت

دَعِي القَلبَ لا يزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... بـه منكِ أَو داوِي جَواه المُكتَّما
وليس بتزْوِيـق اللسانِ وصوْغِه ... ولكنَّـه قـد خالط اللَّحمَ والدَّما

ولحن مخارق فيه ثقيلٌ أوّل ، وفيه لابن سُرَيج رمل .

قال : فقال لي : أَحسنتَ يا مُخارق ، ثم أَخذ وتراً من أَوتار العود فلفَّه على المِضراب ، ودفعه إليّ ، فجعل المِضرابُ يطول ويغلُظ ، والوتر ينْتشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ

كالرُّمح ، والوتر كالعذَبة عليه ، وصار في يدي علماً ؛ ثم انتبهْتُ فحدَّثْتُ برؤياي إبراهيمَ الموصليّ ، فقال لي : الشيخُ ، بلا شكّ ، إبْليسُ ، وقد عقَدَ لك لواء صَنْعتِك ، فأنتَ ما حييتَ رئيسُ أهلها .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأَظُنّ أنّ الشاعرَ الذي مدح مخارقاً إنّما عَنى هذه الرؤيا بقوله : [من الطويل]

لقد عَقَد الشَّيخُ الذي غَرَّ آدماً وأَخرجَــه من جنّةٍ وحدائقِ
لِواءَيْ فُنــونٍ للقريض وللغِنا وأقسَم لا يُعطيهما غيرَ حاذِقِ

[يصحح لحناً لجواري الواثق]

وذكر محمد بن الحسنَ الكاتب ، أنَّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثَه فقال : كان الواثقُ شديدَ الشَّغف بأَبي ، وكان قد اقْتَطعه عنَّا ، وأمَرَ له بحُجْرة في قصره ، وجعل له يوماً في الأسبوع لنَوْبته في منزِله ؛ وكان جواريه يَخْتَلِفْن لذلك اليوم . قال : فانصرف إلينا مرّة في نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجر على أسِرَّة في صحن الدّار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح ، فما راعَنا إلاّ خَدَمٌ بيضٌ قد دخلوا فسَلّموا عليه وقالوا : إنّ أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة ، فأَعَدْنا عليه الصوتَ الذي طرحتَه علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منّا ، وأمَرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك . قال : فأمَر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسيّ فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرضَه من أحدٍ منهم . فدَعا بجاريته عَمِيم ، فردَّته عليهم ، فلم يَرضَه منها ، قال : فَتَحوَّل إليهم ثم اندفع فرَدَّ الصوت على الخَدَم ، فخرج الوصائفُ مِنْ حُجَر جَواريه حتى وقَفنَ حوالي الأَسِرَّة ، ودَخَل غلامٌ من غِلمانِه وكان يستقي الماءَ ، فهَجَمَ على الصَّحْن بدلوه ، وجاءت جارية على كتِفها جرّة من جِرار المُزمَّلات[1] ، حتى وقفتْ بالقُرْبِ منه ، قال : وسبقتني عيناي فما كففتُ دموعهما حتى فاضت .

ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه ، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سعياً إلى حُجَر الجواري ، وخرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة ، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرّة المُزمَّلة شدّاً إلى الموضع الذي خَرجت منه . فتَبَسَّم أبي وقال : ما شأنُكَ يا هارون ؟ فقلت : يا أبتِ جَعلني اللهُ فداءَك ، ما ملكتُ عَيْني ، قال : وأبوك أيضاً لم يَملِك عينَه .

[نام وهو يغنّي]

وذكر هارونُ بن الزيّات عن أُصحابه قال : جمع إبراهيم بنُ المهديّ المغنّين ذات يوم في

1 المزملات : جمع مزملة ، وهي الجرة يبرد فيها الماء .

منزله ، فأقاموا ، فلمّا دَخَلوا في الليل ثمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً ، فسألوه أن يغنّي صوتاً ، فغنّى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبي ربيعة المخزوميّ[1] : [من الخفيف]

قــال : سارُوا وأُمعَنوا واستَقلّوا وبرَغْمــي لــو استَطعتُ سبيلا

فانتهى منه إلى قوله : واستقلوا . وانثنى نائماً ، فقال إبراهيم بن المهديّ : مهِّدُوه ولا تُزعِجوه ، فمهَّدوه ونام ، حتى مضى أكثر الليل ، ثم استقلَّ من نَوْمِه فانتبه وهو يُغنّي تمام البيت : [من الخفيف]

وبرغْمــي لــو استَطعتُ سبيلا

وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته .

قال : فجعل إبراهيم يتَعَجَّب منه ، ويَعْجب منه مَنْ حَضَرَه ، من جودة طَبْعِه وذكائِه وصحَّة فهمه .

[مفاضلة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثنا يحيى بنُ عليِّ بن يحيى المُنجّم قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قال محمد بن الحسن بن مصعب : قلت لإسحاق يوماً : أسألك بالله إلاّ صدَقْتَني في مُخارِق وإبراهيم بن المَهْديّ ، أيّهما أحذَق وأحسنُ غِناء ؟ فقال لي إسحاق : أجادٌّ أَنت ؟ والله ما تقاربا قطّ ، والدَّليل على فضلِ مُخارق عليه أنَّ إبراهيم لا يؤدِّي صوتاً قديماً ثقيلاً جيِّداً أبداً ولا يستوفيه ، وإنّما يُغنِّي الأهزاج والغناء الخفيف ، وأمَّا الذي فيه عمل شديد فلا يُصيبه .

أخبرني يحيى قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ قال : حدَّثني بعضُ ولد سعيد بن سَلْم قال : دخلَ مُخارِقٌ على سعيد بن سَلْم فسأله حاجةً ، فلمّا خرج قيل له : أما تعرف هذا ؟ هذا مُخارق ، فقال : ويحكم ! دخل ولم نَعرفه ، وخرج ولم نَعرفه ، رُدُّوه ، فردُّوه ؛ فقال له : دخَلْتَ علينا ولم نعرفك ، فلمّا عَرَفناك أحبَبْنا ألاَّ تخرُج حتى نسمعك . فقال له : أيّ شيء تشتهي أن أسمِعك ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

يــا ريحُ مــا تَصْنَعِينَ بالدِّمَنِ كَم لكِ من مَحْوِ مَنْظرٍ حَسَنِ !

فغنَّاه مُخارِق ، فلمّا خرَج قال لبعض بنيه : أبوكم هذا نِكْس[3] يَتَشَهَّى على مثلي : [من المنسرح]

يــا ريحُ مــا تَصنعِينَ بــالدِّمَنِ

---

1 ديوان عمر (صادر) : 333 .

2 البيتان لعلي بن أمية وسيردان في ترجمته في الجزء 23 من الأغاني .

3 نكس : لا خير فيه .

أُخبرنا يحيى بنُ عليّ قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي محمد قال : سمعتُ أبي يقول وقد غنَّى مُخارق : نعم الفسيلة[1] غَرْس إبليس في الأرض .

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمد قال : سمع محمد بن سعيد القارىء مهدِيَّةَ جارية يعقوب بن السَّاحِر تغنّي صوتاً لمخارق بحضرته ، وقد كانت أخذته عنه وهو : [من الخفيف]

ما لِقلبي يــزداد في اللهوِ غيّا والليالي قـــد أنضَجَتْنيَ كيّا
سَهُلَــت بعدك الحوادثُ حتّى لستُ أخشى ولا أُحاذِر شيّا

فأحسَنَتْ فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنه : ﴿يا يحيى خُذِ الكِتابَ بقُوَّةٍ﴾[2] .

[خبر الذي حلف بالطلاق أن يسمعه]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله قال : حدَّثني محمد قال[3] : كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام ، فلعب مع هارون بالنّرد فَقَمَره مُخارق مائتي رطل باقلاً طريّاً ، فقال مُخارق : وأنتم عندي أُطعِمكم من لحمِ جَزور من الصناعة ، يعني من صِناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزّار .

قال : ومرَّ بهارون بن أحمد فصيلٌ يُنادى عليه ، فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجَّه به إلى مُخارق ، وقال : يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل ، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً ، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[4] شُوِيت في التَّنُّورِ ، وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشَّر في نهاية الطِّيب . فأكلنا وجلسنا نشرب ، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطِّ : يا أبا المُهنَّا ، اللهَ اللهَ فيَّ ! حلَف زوجِي عليَّ بالطّلاق أن يَسْمع غِناءك ويَشْرب عليه ، فقال : اذهبي وجيئي به . فجاء فجلس ، فقال له : ما حَمَلَك على ما صنَعْتَ ، فقال له : يا سيِّدي ، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فطَرِبْتُ عليه حتى استَخَفَّني الطَّربُ ، فحلفتُ أنْ أسْمَعه منك ثِقةً بإيجابك حقَّ زوجتي ، وكان زوجتُه دايةَ هارونَ بن مُخارِق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال[5] : [من الكامل]

1 الفسيلة : النبتة الصغيرة أو العود يؤخذ من الشجرة ليغرس .
2 سورة مريم ، الآية : 12 .
3 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 67–69 .
4 غضائر : قطع .
5 شعر الحسين بن مطير (بغداد) : 49 .

بكَـــرتْ عليَّ فهيَّجَتْ وَجْدا هُـوجُ الرِّياحِ وأَذْكرتْ نَجْدا
أَتحِنُّ مـــن شَوْقٍ إذا ذُكِرتْ نجـدٌ وأَنْتَ تركتَهـا عَمْدا

الشعر لحُسين بن مُطَير ، والغِناء لمُخارِق ثقيل أوّل ، وفيه لإسحاق ثقيل أوّل آخر ، فغنّاه إيّاه وسقاه رِطْلاً ، وأَمَره بالانصراف ، ونهاه أن يُعاوِدَ ، وخرَج فما لبِثْنا أَن عادت المرأةُ تصرُخ : اللهَ اللهَ فيَّ يا أبا المُهنَّا ! قد أعادَ زوجي المشؤوم اليمينَ أنَّك تُغنِّيه صوتاً آخر ، فقال لها : أَحْضِرِيه ، فأحضرتْه أيضاً ، فقال له : ويلك ، ما لي ولك ! أيُّ شيءٍ قصَّتك ؟ فقال له : يا سيِّدي أنا رجلٌ طَرُوب ، وكنتُ قد سمِعتُ صوتاً لك آخر فاستفزَّني الطَّرَبُ إلى أن حَلَفتُ بالطّلاق ثلاثاً أنِّي أَسمعه منك ، قال : وما هو ؟ قال لَحنُكَ[1] : [من البسيط]

أَبلِغْ سَلامةَ أنَّ البَينَ قـد أَفِـدا وأَنَّ صَحْبَكَ عنهـا رائحُونَ غَدا
هذا الفِراق يَقيناً إن صَبرتَ لهُ أو لا فإنَّـكَ منهـا مَيِّتٌ كَمَدا
لا شَكَّ أَنَّ الذي بي سَوْفَ يُهْلِكُني إن كانَ أَهلكَ حُـبٌّ قبله أَحَدا

فغنَّاه إيّاه مُخارق وسقاه رِطلاً ، وقال له : احذَرْ ويْلك أَن تُعاوِد ، فانصرف . ولم تَلبَثْ أَن عاودَتْ الصَّياح تَصرُخ : يا سيِّدي ، قد عاوَدَ اليمينَ ثلاثة ، اللهَ اللهَ فيَّ وفي أولادي ! قال : هاتِيه ، فأحضرتْه . فقال لها : انصرفي أنتِ ، فإنّ هذا كلّما انصرفَ حَلَفَ وعاد ، فدَعيه يُقيم يومه كلَّه ، فتركَتْه وانصرَفَتْ . فقال له مُخارِق : ما قصَّتَك أيضاً ؟ قال : قد عرَّفتك يا سيِّدي أنَّني رجُلٌ طَرُوبٌ ، وكنت سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فاستخَفَّني الطَّربُ له فحلفْتُ أنِّي أَسمَعُه منك ، قال : وما هو ؟ قال : [من مجزوء الرمل]

أَلِــفَ الظَّبـيُ بِعادِي ونَفـى الهـمُّ رُقادي
وعَدا الهَجْرُ على الوصْـ ــلِ بـأَسيافٍ حِـدادِ
قل لِمَنْ زيَّف وُدِّي : لستَ أَهــلاً لوِدادي

قال : فغنَّاه إيّاه وسَقاه رِطْلاً ، ثم قال : يا غُلام ، مَقارِعَ ! فجيء بها ، فأَمَر به فبُطِح ، وأَمَر بضَرْبِهِ فَضُرب خمسين مِقْرعةً ، وهو يَسْتَغِيث فلا يُكلِّمه ، ثم قال له : احلِفْ بالطَّلاق أَنّك لا تذكرني أبداً ، وإلاّ كان هذا دأْبَك إلى الليل . فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أَمَرَه به ، ثمّ أُقيم فأُخرِج عن الدار ، فجعلنا نَضحَك بقيّة يَوْمِنا من حُمْقِه .

1 البيت الأول مطلع قصيدتين لعمر بن أبي ربيعة مع بعض اختلاف والبيتان التاليان ليسا في ديوانه .

[يشرف على المقابر ويغنّي ويبكي]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال : حدَّثنا أحمد بنُ محمد قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عُمر بنِ بَزيع قال : أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعي زُرزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده ، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناحٍ له ، وهو مُشرِف على المقابر يُغنّي هذا البيتَ ويبكي :

أينَ الملوكُ التي كانت مُسَلَّطةً

قال : فاستَحْسنّا ما سمِعناه منه استحسانَ مَنْ لَم يَسْمَع قطّ غناءً غيره . فقال لنا : انصَرِفوا ، فليس فيَّ فضلٌ اليوم بعد ما رأيتُم . قال محمد : وكان والله مُخارِق مِمّن لو تنفَّس لأطْرَبَ مَنْ يسمعه استماع نَفَسِه .

[الظباء تصغي له]

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أحمد بن يحيى المكّيَّ حدَّثه عن أبيه قال : خرج مُخارِق مع بعض إخوانِه إلى بعض المتنزَّهات ، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبة مع أحدِ مَن خرج معه ، فسأله إيّاها ، فكأنَّ المسؤول ضَنَّ بها . قال : وسَنَحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القَوْس : أرأيتَ إن تغنّيتُ صوتاً فعَطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء ، أتدفع إليَّ هذه القوْسَ ؟ قال : نعم . فاندفع يغنّي : [من المجتث]

صوت

مــاذا تقــولُ الظِّباءُ	أفُرْقَــةٌ أمْ لِقــاءُ
أمْ عهْدُهــا بسُلَيْمى	وفي البيــانِ شِفــاءُ
مَــرَّت بِنــا سانحاتٍ	وقــد دَنــا الإمساءُ
فمــا أحارَتْ جواباً	وطــالَ فيهــا العَناءُ

في هذه الأبيات ليَحيى المكّي ثقيل أوّل بالوسطى .

قال : فعطفت الظِّباءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقربِ منه ، مُستَشرفةً تنظر إليه مُصغيةً تَسمعُ صوتَه . فعَجب مَنْ حَضَرَ من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغناء ، فعاودت الظِّباء نِفارَها ، ومَضَتْ راجعةً على سَنَنِها .

قال ابن المكّي : وحدَّثني رجلٌ من أهلِ البصرة كان يألف مُخارِقاً ويَصحبه قال : كنتُ معه مرّةً في طيّار[1] ليلاً وهو سكران ، فلمّا توسَّط دِجْلة اندفَع بأعلى صوتِه فغنّى ، فما بقي

1 الطيار : القارب السريع .

أحدٌ في الطَّيّار من ملاّح ولا غلام ولا خادم إلاّ بكى من رِقّة صوته ، ورأيت الشَّمع والسُّرُج من جانبي دِجلة في صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدي أهلها يستمعون غناءَه .

[ابن الأعرابيّ يستكثر هبته]

حدَّثني الصُّوليُّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله التَّميميُّ الحُزُنبل قال : كنّا في مجلس ابن الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ ، وكان يُحِبّه ويأنس به ، فقال له : ما أخَّرَك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء منها أنّه قال : كنتُ مع مُخارِق عند بعض بني الرشيد ، فوهَبَ له مائة ألف درهم على صوت غنّاه إيّاه ، فاستكثر ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله ، وعجب منه وقال له : بأيِّ شيءٍ غنّاه ؟ قال : غنّاه بشعر العبّاس بن الأحنف[1] : [من الهزج]

صوت

بكــتْ عَيْنــي لأنواعٍ ... مــن الحُــزْنِ وأَوْجاعِ
وإنّــي كلَّ يــومٍ عنــ ... ـدكم يَحْظى بِيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيِّ : أمَّا الغناء فما أدري ما هو ، ولكن هذا والله كلام قريب مليح .

لَحْن مخارق في هذين البيتين ثقيل أوّل من جامع صنعته ، وفيهما لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكَر حَبَش أنَّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحناً ماخوريّاً .

[خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه]

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جحظةُ قال : حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : غنَّت شاريةُ يوماً بحضرة أبي صوتاً ، فأحدَّ النظر إليها وصَبر حتى قطَعتْ نفسَها ثم قال لها : أمسِكي ، فأمسكت ؛ فقال لها : قد عَرفتُ إلى أيّ شيءٍ ذهَبتِ ؛ أردت أن تتشبَّهي بمُخارِق في تزايُدِه ، قالت : نعم يا سيِّدي . قال : إيّاك ثمّ إيّاك أن تعودي ، فإنّ مُخارِقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونَفَسه ، يتصرّف في ذلك أجمعَ كيف أحَبّ ، ولا يلحقه في ذلك أحد ، وقد أراد غَيرُك أن يتشبَّه به في هذه الحال فهلِك وافتضح ولم يلحقه ، فلا أسمعنَّك تتعرَّضين لمثل هذا بعد وقتك هذا .

[غلمان المعتصم يتجمعون للاستماع إليه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال : كنّا بين يدي المُعتصم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً ، فقام ، فنام وتوَسَّدنا أيدينا ونمْنا في مواضِعنا ، ثمّ انتبَه فصاح فلم يُجبه أحد ؛ وسَمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن

1 ديوانه (صادر) : 205 .

الغلمان ، فإذا مُخارِق قد انتبَه قبلنا فخرج إلى الشَّطّ يتنسَّم الهواء ، واندفَعَ يغنّي ، فتلاحق به الغلمان جميعاً ، فجئتُ إلى المعتصم فأخبرتُه وقلتُ : مُخارِق على الشَّطّ يغنّي والغلمانُ قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لشيء غير استماعِه . فقال لي : يا ابن حمدون ، عُذْرٌ واللهِ وأيُّ عُذْرٍ ! ثم جلس بين يديه إلى السَّحر .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحَسَن الكاتِب أنَّ أُبان بن سعيد حدَّثه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومُخارِق ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إذا تغنّى إبراهيم بعِلمه فَضَل مُخارِقاً ، وإذا تغنّى مُخارِق بطبعِه وفضْل صوتِه فضَل إبراهيم ، فقال له : صَدَقْتَ .

[ندم الأمين على إعطائه جبته]

نسختُ من كتاب هارون بن الزيّات : حدَّثني هارون بن مُخارِق عن أبيه قال : دعاني محمد الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح عليّ[1] : [من البسيط]

استَقبلَتْ وَرَقُ الرّيحـانِ تَقطِفُهُ ... وعنْبرَ الهِنْـدِ والورْدِيَّـةَ الجُدُدا

ألستَ تَعرفني في الْحَـيِّ جاريةً ... ولم أُخُنْكَ ولَـم تَرْفـع إليَّ يدا

فغنّيْتُه إيّاه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاءً ، وأمَر لي بألف دينار وخَلَع عليَّ جُبَّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبَة ، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلَها تكاد تُعْشي البصر من كثرة الذهب . فلمّا لبِسْتُ ذلك ورآه عليّ ندِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ؛ فقال لبعض الخَدَم : قُل للطبّاخ يأْتينا بمَصْلِيَّة[2] مَعقُودَة الساعة ، فأُتي بها ، فقال لي : كُلْ معي ، وكنتُ أعرفَ النّاس بمذهبه وبكراهته لذلك ، فامتنعتُ . فحلَفَ أن آكُل معه ، فحين أدْخلْتُ يدي في الغضارة[3] رفع يدَه ، ثم قال : أُفٍّ نغَّصتَها علَيَّ والله وقذَّرْتَها عندي بإدخالِك يدك فيها ، ثمَّ رَفَس القَصعة رفسةً فإذا هي في حِجْري ، وودكُها[4] يَسِيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جِلدي . فقُمْتُ مُبادراً فنزَعتها ، وبَعَثتُ بها إلى منزلي وغيَّرت ثيابي وعُدْتُ وأنا مغمُومٌ منها وهو يضحَك . فلما رجعتُ إلى منزلي جَمَعتُ كلَّ صانع حاذِق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرُج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتُها فأخذْتُ ذهبها ، وضرب الدَّهرُ بعد ذلك ضربانه .

---

1 ديوان عمر : 112 .

2 المصلية : الشاة المشوية .

3 الغضارة : القصعة الكبيرة .

4 الودك : الدسم المتحلب من اللحم والشحم .

[المأمون يكره مؤاكلة الرعية]

ثم دّعاني المأمون يوماً ، فدخَلتُ إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان ؛ فقال لي : تعالَ فكلْ ، فامتنَعْتُ ، فقال لي : تعالَ وَيْلك فساعِدْني . فجلستُ فأكلْتُ معه حتى استَوْفى ، ووضع النبيذ ودعا عَلُّويَه فجلس ، وقال لي : يا مُخارِقُ ، أتُغنّي[1] : [من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُذْرِ لَمّا ظَلَمْتِني وحَمَّلتِني ذَنْباً وما كنتُ مُذْنِبا

فقلتُ : نعم يا سيِّدي ، قال : غنّه ، فغنّيته فعبس في وجْهي ثم قال : قبَّحك الله أهكذا يُغنّى هذا ! ثم أقبل على عَلُّويَه فقال : أتُغنّيه ؟ قال ، نعم يا سيِّدي ، قال : غنّه ، فغنّاه ، فوالله ما قاربَني فيه . فقال : أحسنْتَ والله ، وشرِب رطلاً ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، واستعادَه ثلاثاً ، وشرِب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كلٍّ عشرة آلاف درهم ، ثم خَذَف بإصبَعِه[2] وقال : برْقٌ يمانٍ ، وكان إذا أراد قَطْع الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعَلِمتُ من أين أُتِيتُ .

فلمّا كان بعد أيّام دَعاني فدخلْتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ؛ فقال لي : تعالَ ويْلَك فساعدْني ، فقلت : الطلاق لي لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : وَيْلك ، أتراني بخيلاً على الطَّعام ! لا والله ، ولكنّني أردتُ أن أُؤدِّبَك ، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلَها ، أفهمت ؟ فقلتُ : نعم ، قال : فتَعالَ الآن فكلْ على الأمان . فقلتُ : أكون إذاً أوّل مَن أضاع تأْديبك إيّاه واستَحقّ العُقوبة من قريب . فضحِك حتى استغرب ، ثمّ أمَرَ لي بألف دينار ، ومضيت إلى حُجرتي المرسومة لي للخدمة ، وأُتِيتُ هناك بطعام فأكلتُ ، ووُضِع النّبيذ ودعاني وبعلُّويَه ، فلمّا جلسنا قال له : يا عليّ ، أتُغنّي : [من البسيط]

ألَـم تَقُولي : نَعَمْ ، قالت : أرى وَهَماً منّي وهل يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَمِ ![3]

فقال : نعم يا سيِّدي ، فقال : هاتِه ، فغنّاه ، فعَبس في وجهِه وبَسَر وقال : قبَّحكَ اللهُ ، أتُغنّي هذا هكذا ثمّ أقبل عليّ فقال : أتُغنّيه يا مُخارِق ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وعلمتُ أنّه أراد أن يستقيد لي من عَلُّويَه ويرفع منّي ، وإلاّ فما أتى علُّويَه بما يُعاب فيه ، فغنّيته ، فطَرِبَ وشَرِبَ رطلاً ، وأمَر لي بعشرة آلاف دِرهم ، وفعل ذلك ثلاثَ مرّات كما فعل به .

ثُمَّ أمر بالانصراف فانصرفنا ، وما عاوَدْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خَلِيفة إلى وقْتِنا هذا .

1 ديوان الأحوص (النجف) : 139 .
2 خذف باصبعه : حرك إصبعه كأنّه يرمي شيئاً .
3 الوهم : السهو أو الخطأ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

استقبلتْ ورَقَ الرّيحـان تقطُفهُ وعَنْبَرَ الهِنْـد والوردِيَّـةَ الجدُدا
ألستَ تعرفني في الحـيِّ جاريـةً ولم أخُنْكَ ولم تَمْـدُدْ إليَّ يَدا

الشعر ، فيما يُقال ، لعُمر بن أبي ربيعة ، والغِناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأصله يماني ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

[من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُـذر لمـا ظَلمتِني وحمَّلتني ذَنبـاً ومـا كنتُ مُذْنِبا
هبينـي امـرءاً إمّـا بريئاً ظلمتِه وإمّـا مُسِيئاً قـد أنـاب وأعْتبا

الشعر للأحوص ، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من البسيط]

ألَم تَقولي : نَعم ، قالت : أرى وهَماً مِنّي وهل يُؤخَذ الإنسان بالوَهَمِ !
قُولي : نَعمْ ، إنّ «لا» إن قُلتِ ، قاتِلتِي ماذا تُرِيدِين مـن قَتْلي بغيرِ دَمِ !

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، ولم يقع إليَّ لَمن الشِّعر .

[تنافس مع علّويه]

قال هارون : وحدَّثني أبو معاوية الباهليُّ قال : حَضَرتُ عَـلُّويَه ومُخارقاً مُجتمعين في مجلس ، فغنّى علّويَه صوتاً فأحسن فيه وأجادَه ، فأعادَه مُخارِق وبرَّزَ عليه وزاد ، فردَّه علُّويَه وتعمَّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق . فجثا مُخارق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزَّ منكباه ، فما ظَنَنَّا إلاّ أنَّ لأرضَ قد زُلزِلت بنا ، وغلب والله ما سمِعنا على عُقولنا . ونظرتُ إلى لون عَـلُّويَه وقد امتُقِع وطار دمُه . فلمّا فرَغ مُخارِق توقّعنا أن يُغنّي علُّويَه ، فما فعل ولا غنّى بقيّة يومه . قال : وكان مُخارِق إذا صاح قطع أصحاب النايات .

[أرسله الأمين إلى إسحاق ليعلّمه]

أخبرني وَسواسةُ بنُ المَوْصليّ ، وهو أحمد بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : قال لي مُخارِق : دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن

المهديّ ، فقال : غنّني يا مُخارق ، فغنّيتُه أصواتاً عديدة ، فلم يَطْرب لها وقال : هذا كلّه مُعاد ، فَغَنِّني : [من الطويل]

لقــد أزمعــتْ للبــين هِنــدٌ زِيالها

فقلت : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من الكامل]

لا والــذي نُحِــرتْ لــه البُدْنُ

فقلتُ : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من البسيط]

يا دارَ سُعْدى سقى أَطْلالَـك الدِّيَما

فقلتُ : لا والله لا أحسنه ، فغضب وقال : ويلك ! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسِن منها واحداً ! فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما ذَنبه ؟ إسحاقُ أُستاذُه وعليه يَعْتمد ، وهو يُضايقه في صوت يُعلّمه إيّاه . فقلتُ : قد والله صدَقَ ، ما يُعطِيني شيئاً ولا يُعلِّمنيه ، قال : فما دَواؤه ؟ فقد والله أعياني . فقال له إبراهيم : تُوكّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسِه العذابَ حتى يُعلِّمه مائةَ صوت . قال : أمَّا هذا فبَعيد ، ولكن اذْهب إليه عنّي فمُرْه أن يُعلِّمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فَعَلَ وإلاّ فصُبَّ السَّوط على رأْسِه حتى يُعلِّمك .

فدَخلتُ إلى إسحاقَ ، فجلست بغير أمْره ، وسلَّمت سلاماً مُنكَراً . ثم أَقبلتُ عليه فقلت : يأمُرك أميرُ المؤمنين أن تُعلِّمني كذا وكذا . قال : ما أُحسِنه ، فقلت : إنّي أُنفّذ فيك ما أَمرني به . فقال : تُنفِّذ فيَّ ما أُمِرْتَ به ، ألا تَستَحي وَيْحَكَ منّي ومن تربيتي إيّاك ! قلت : فلا بُدّ من أن تُعلِّمني ما أمرَك به أميرُ المؤمنين . قال : فإنّي لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه ، هاتُوها . فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذتُ الأصوات الثّلاثة ، وجعل كلّ مَن جاءَ يومئذٍ لا يَحجُبُه لِيَروني وجاريتَه تُطارحني .

فلمّا أَخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأَخبرته الخبر وحضر إسحاقُ ، فغنّيتُـه إيّاها ، فطَـرِب . وجعـل إبراهيمُ بن المهـديّ يقول : أحسن والله ، أحسن والله . فلمّا فرِغتُ قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أَصاب هو ولا إبراهيم في استحسانِه ، ولقد جَهَدت الجاريةُ جهدَها أن يأخذَه عنها فلم يَتَوجَّه له ، ثم اندفع فغنَّاها ، فكأنّي والله كنتُ ألعب عندما سمعتُ .

ثم أقبل على إبراهيم بن المهديّ فقال له : كم أقولُ لك : ليس هذا من عِلْمك ولا مِمّا تحسنه وأنتَ تكابر وتُدخِل نفسك فيما لا تُحسنه . فقال : ألا تراه يا أمير المؤمنين يُصيِّرني مُغنِّياً ! فقال له إسحاق : ولِم تجحد ذلك ؟ أوَ أسررتَ إليَّ منه شيئاً لم تُظْهِره للنّاس وتُعلِّمهم إيّاه ؟ ومتى صِرْتَ تأْنف من هذا وأنتَ تَتَبَجَّح به ؟ فليتك تُحْسِنه ، والله ما تَفْرُق بين الخطأ والصواب فيه ، وإن شئت الآن أَلقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ عِلم

شئت ، فإن أجبْتَ في واحدة منهنّ وإلاّ علِمتُ أنّك مُتكلِّف . فقال : يا أمير المؤمنين يَستقبلُني بهذا بين يديك ؟ قال : وما هذا ممّا لا أستقبِلُك به ؟ فقال له محمد : نعم اختَر ما شئتَ حتى نسألك عنه . فقال : إنّما يفعل هذا الصبيان ، وانكسر حتى رَحِمْتُه . فقلتُ لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلّك ترى مع هذا القول أنّه لا يُحسن ، بلى والله إنّه ليُحسن كلَّ شيء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري ، وإنّه ليتقدَّم كثيراً من الناس في كلِّ شيء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول : تَشُجُّه بيدٍ وتدْهُنه بيَد ، وتجرحه بيَد وتأسوه بيَد !

نسبة هذه الأصوات

صوت[1]

[من الطويل]

لقـد أزمعتْ لِلْبيـنِ هندٌ زِيالَها ... وزَمُّـوا إلى أَرْضِ العِراقِ جِمالَها

فما ظبيةٌ أُدْمـاءُ واضحةُ القَرا ... تَنُصُّ إلى بَـرْدِ الظِّلالِ غَزالها[2]

تَحُتُّ بقَرنيهـا بَريـرَ أَراكةٍ ... وتَعْطو بظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالها[3]

بأَحسنَ منهـا مُقلـةً ومُقَلَّـداً ... وجيداً إذا دانَتْ تنوطُ شِكالَها[4]

الشِّعْرُ لكُثيِّر ، والغِناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لابن سُرَيج في الثالث والثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، ولإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، في الثاني ثمّ في الثالث ، وفي كتاب حَكَمٍ : لحَكَم فيه خفيف ثقيل ، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى ، وذكر أيضاً أنّ لحن معبد ثاني ثقيل .

صوت

[من البسيط]

يا دارَ سُعدى سَقى أَطلالَك الدِّيما ... مُسْقي الرَّوايا وإن هيَّجتِ لي سَقَما

دارٌ خَلتْ وعفَـتْ منهـا معالِمُها ... إلاّ الثُّمامَ وإلاَّ النُّؤْيَ والحُمَما[5]

الغناء لقَفا النجّار ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

---

1 ديوان كثير : 468 .

2 أدماء : البيضاء البطن في ظهرها غبرة . القرا : الظهر . تنص : تسوق وتحث .

3 البرير : ثمر الأراك . تعطو : تتناول . طالها : ارتفع عنها .

4 تنوط : تعلق . الشكال : ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلي .

5 الثمام : نبت ضعيف لا يطول . والنؤي : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والحمم : جمع حمة وهو الفحم وكل ما احترق بالنار .

صوت

[من الكامل]

لا والذي نُحِرتْ لـه البُدْنُ ... ولـه بمكّـةَ قُبِّـلَ الرُّكُنُ
مـا زلتُ يا سَكَني أخا أَرَقٍ ... مُتكنِّفـاً بـي الهـمُّ والحَزَنُ
أخشى عليـك وبعضه شَفَقٌ ... أن يَفتنـوك وأنـتَ مُفْتَتِنُ

الغِناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق وذكر الهشاميُّ أنّه لسليمان الوادي أوّله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبّاد ولم يُجنِّسه .

أخبرني عمّي : حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني عبدُ الوهّاب المؤذِّن قال : انحدَرْنا مع المُعتَصم من السنّ[1] ونحن في حَرَّاقته[2] ؛ وحضر وقْتُ الأذان فأذَّنتُ ، فلمّا فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدي فأذَّن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنَّيتُ والله أن دجلة أهرقتْ لي فغرقتُ فيها .

[غضب المعتصم يعقبه رضى]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ عبد الله بن حمدون قال : حدَّثني أبي قال : غَضِب المعتصمُ على مُخارِق فأمر به أن يُجعل في المؤذِّنين ويلزَمهم ، ففُعِل ذلك ، وأُمهِلَ حتى علِم أنَّ المعتصم يشرب وأُذِّنتِ العصرُ ؛ فدخل هو إلى السّتر حيثُ يقف المؤذِّن للسلام ، ثمَّ رفع صوته جُهْدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصّلاة يرحمك الله . فبكى حتى جَرَتْ دُموعه ، وبكى كلُّ مَنْ حضره . ثم قال : أدْخِلوه إليَّ ، ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قطُّ ! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه . فأمِر به فأدخِلَ إليه ، فقبَّل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها ، وأمرَه بإحضار عودِه فأُحضِر ، فأعاده إلى مرتبته .

وجَدتُ في بعض الكتب ، عن عليِّ بن محمد البسّاميّ ، عن جدِّه حمدون بن إسماعيل قال : غنّى علُّويه يوماً بين يدي إسحاق الموصليّ : [من الطويل]

هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى ... وخـوفَ الأعادي واتِّقاءَ النمائمِ

فقال له إسحاق : أحسنت يا أبا الحسن أحسنت ، واستعاده ثلاثاً وشرب . فقال له علّويَه : يا أُستاذ ، أين أنا الآن من صاحبي ، يعني مخارقاً ، مع قولك هذا لي ؟ فقال : لا تُردْ أن تعرف

1 السن : مدينة على دجلة .

2 الحراقة : سفينة خفيفة .

هذا . قال : بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة . فقال : إذا غنّيتما مَلِكاً اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك . فضجر علّويه وقال لإسحاق : أُفٍّ مِن رضاك وغضبك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

هجرتُك إشفاقاً عليكِ من الأذى وخوفَ الأعادي واتّقــاءَ النمائمِ

وإنّــي وذاك الهجْرَ لــو تَعْلَمينَه كسالِيَةٍ عن طِفلِهـا وهـي رائِمُ[1]

الشعر لهلال بن عمرو الأسديّ ، والغناء لعلّويه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

[ثلاثة يهابون ثلاثة]

وقال الجاحظ : قال أبو يعقوب الخُرَيميّ : ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً ، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار : كان هشامُ بن الكَلبيّ علاّمة نسّابة وراوية للمثالب عيّابة ، فإذا رأى الهيثم بن عديّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علي بن الهيثم جونقاً مُفْقِعاً[2] نِيّاً صاحب تَقَعُّر ، يستولي على كلِّ كلام لا يَحْفِل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى موسى الضَّبّيَّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علّويه واحد الناس في الغناء رواية وحِكاية ودِرايةً وصنعةً وجودةَ ضَرْبٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق ، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

[مخارق يهوى جارية أمّ جعفر]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خرْداذبه قال : هَوِيَ مُخارِقٌ جاريةً لأمِّ جعفر ، فحجَّ في السنة التي حَجَّت فيها أُمُّ جعفر بسبب الجارية ، فقال أحمد بن هشام فيه : [من الوافر]

يَحُــجُّ الناسُ من بِــرٍّ وتَقْوى وحــجُّ أبــي المُهنَّأ للتّصابي

قال : وكان المعتصم قد وهب دارَ مخارق لمّا قدِم بغدادَ لِيُونازَةَ خليفةِ الأفشينِ ، فقال عيسى بن زينب في ذلك : [من الكامل]

يــا دارُ غَيَّر رَسمَهـا يُونازَهْ وبَقِي مخارقُ قاعداً في فازَهْ[3]

---

1 في هذا الشعر إقواء . ورائم من رأمت الناقة ولدها : عطفت عليه .

2 المفقع : التشدّق في الكلام .

3 الفازة : مظلة بعمودين .

لا تَجْزَعَنَّ أبا المُهَنَّأ إنَّها دُنيا تُنال بِذِلّةٍ وعَزازَهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة . وحدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : وجدت بخطّ عبد الله بن الحسين : حدَّثني الحسن بن إبراهيم بن رِياح ، قالا .

وكان مخارق يهوى جارية لأُمِّ جعفر يقال لها بَهارُ ، ويستر ذلك عن أُمِّ جعفر ، حتى بلغها ذلك ، فأقصَتْه ومنعته من المرور ببابها ، وكان بها كلفاً . قال الصُّوليّ : في خبره : فلمّا علِم أنَّ الخبر قد بلغ أُمَّ جعفر قطعها وتجافاها إجلالاً لأُمِّ جعفر ، وطمَعاً في السُّلُوِّ عنها . وضاقَ ذرْعُه بذلك ، فبينا هو ذاتَ ليلة في زلّال[1] ، وقد انصرف من دار المأمون ، وأُمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذى دارَها ، فرأى الشمع يزْهَر فيها ، فلمّا صار بمَسْمعٍ منها ومرْأى اندفعَ فغنَّى[2] : [من البسيط]

صوت

إنْ تَمنَعوني مَمَرّي قُرْبَ دارِهِمُ فسوف أَنظُر من بُعْدٍ إلى الدّارِ
سِيما الهَوى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها أنّي مُحِبٌّ وما بالحُبِّ من عارِ
ما ضَرّ جيرانَكم ، والله يُصلِحهم لولا شَقائيَ ، إقْبالي وإدْباري
لا يَقدِرون على منْعِي ولو جَهَدُوا إذا مررتُ وتَسليمي بإضْماري

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقالت أُمُّ جعفر : مُخارِقٌ والله ، ردُّوه ! فصاحُوا بملاَّحِه : قدِّمْ ! فقدَّم ، وأمَرَه الخَدَم بالصُّعود ، فصعد ، وأمرت له أُمُّ جعفر بكُرْسيٍّ وصينيَّة فيها نبيذ ، فشرب ، وخلَعَت عليه ، وأمَرتْ الجواري فغنَّيْن ، ثمَّ ضربن عليه فغنَّى فكان أوَّل ما غنَّى[3] : [من البسيط]

صوت

أغيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه نأْيُ المَحلِّ ولا صَرفٌ من الزمَنِ
فإن أعِش فلعلَّ الدَّهْرَ يجمعُنا وإن أَمُتْ فقتِيلُ الهَمِّ والحَزَنِ

1 الزلال : قارب نهري .
2 لم نعثر على أبيات العباس بن الأحنف في ديوان (صادر) .
3 ديوان العباس : 309 .

قد حسَّن الله في عَيْنيَّ ما صنعَتْ حتّى أرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

الشِّعرُ للعبّاس بن الأحنف ، والغناءُ لمخارق رمل .

قال : فاندَفعتْ بَهارُ فغنّت كأنّها تُباينه ، وإنّما أجابتْهُ عن معنى ما عرَّض لها به[1] : [من البسيط]

تعتلُّ بالشُّغلِ عنّا ما تُلِمُّ بنا والشُّغلُ للقلبِ ليس الشُّغل للبَدنِ

ففطِنَت أُمُّ جعفر أنّها خاطبته بما في نفسها ، فضَحِكَت وقالت : ما سمعنا بأملحَ ممّا صَنَعْتما ، وقال إسماعيل بن يونس في خبره : وَوَهَبْتها له .

وقال هارون بنُ الزيّات : حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه : أنَّ المأمون سأله لما قَدِم مكّة عن أحدث صوت صنعه ، فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أقبلَتْ تحصِبْ الجمارَ وأقْبلْـ ـتُ لرمْي الجمارِ من عَرفاتِ

ليتَني كُنتُ في الجِمارِ أنا المحـ ـصُوب من كَفِّ زَيْنبٍ حَصياتِ

الشعر للنّميريّ ، والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر ، قال : فضحك ، ثمّ قال : لعَمري إنّ هذا لأحدَثُ ما صنعت ، ولقد قنِعتَ بيسير ، وما أظنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحْصِبك بحصاة كما تحصبْ الجمار . واستَعاده الصوتَ مرّات .

[المأمون يبكي لصوت في جارية له]

أخبرني جعفر بنُ قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ مخارق قال : حدَّثني أبي قال : كنّا عند المأمون يوماً ، فجاءه الخادم الحرَميّ فأسرَّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذْرف . فقال لنا : دخلتُ الساعةَ إلى جارية لي كنت أتخطّاها ، فوجدْتها في الموت ، فسلّمتُ عليها فلم تستطع ردَّ السّلام إلاّ إيماءً بإصبعها ، فقلتُ هذين البيتين : [من الطويل]

سلامٌ على مَنْ لم يُطِق عند بَيْنِه سلاماً ، فأَوْمى بالبَنانِ المخضَّبِ

فما اسطَعْتُ توديعاً له بِسوى البُكا وذلك جُهْدُ المُستهامِ المُعذَّبِ

ثم قال : غنِّ فيها يا مخارق ، ففعلتُ ، فما استعادني ذلك الغِناء قطّ إلاّ بكى .

[حاج يهبه حجّته]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ إجازةً قال : حدَّثني أحمد بن أبي العلاء قال :

---

1 البيت تابع لأبيات العباس السابقة .

حدَّثني أبي قال : حجَّ رجُلٌ مع مخارق ، فلمّا قضَيا الحجَّ وعادا ، قال له الرجل في بعض طريقه : بحقّي عليك غنِّني صوتاً ، فغنّاه : [من الطويل]

رَحَلنـا فشرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبُوا ففاضَتْ لرَوْعاتِ الفـراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال : اللهمّ إنّي أُشهِدُك أنّي قد وهَبْتُ حَجَّتي له .

[وفاته]

وتوفّي مخارق في أوّل خلافة المتوكّل ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق ، وذكر ابن خُرْداذْبه أنّ سبب وفاته أنّه كان أكل قِنَّبيطِيّةً باردةً فقتلتْه من فوره .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا مِتّ فادفِنّي إلى جنبِ كَرْمة تُروِّي مُشاشي بعد موتي عُرُوقُها[2]
ولا تَدْفِنَنِّـي بالفـلاةِ فإنّنـي أخافُ إذا مـا مِتُّ ألاَّ أذوقَها

عروضه من الطويل ، ويُروى : [من الطويل]

إذا رحـت مدفوناً فلستُ أذوقها

الشعر لأبي مِحْجَن الثقفيّ ، والغناءُ لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحُنَين لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجنِّسْه .

* * * *

1 ديوان أبي محجن .
2 المشاش : رؤوس العظام اللينة وفي الديوان : عظامي .

الفهرس